

اسم

فوق کُلِّ

اسم



اليسٲر ٲٲج &  
سٲنكلٲر فٲر جسون

اسم<sup>۲۹</sup>  
فوق  
كُل اسم<sup>۳۰</sup>  
=

أليستر بيچ &  
سينكلير فيرجسون

«لا يوجد موضوع كتابي أو لاهوتي يأسر قلبي ويحفّز ذهني أكثر من موضوع مجد المسيح. فيومًا ما، ستجتو كل ركبة عند ذكر اسمه. وإن أردت أن تفهم سبب هذا (وأن يتّضع قلبك، ويمتلئ بالامتنان، ويحفّز على السجود والعبادة)، أدعوك أن تتغذى على هذه النظرة العامة البسيطة، لكن العميقة في الآن ذاته، على مَنْ هو يسوع، وماذا فَعَلَ».

جون ماك آرثر (John MacArthur)

راعي كنيسة (Grace Community Church)؛

ورئيس كلية لاهوت (Master's College and Seminary)؛

ومتحدث في هيئة (Grace to You)

«إننا نجد كمؤمنين سهولة في التحدّث عن عمل الله في كنائسنا وفي جميع أنحاء العالم. كما يسهل علينا وصف نمونا في المسيح، وما نتعلّمه منه. لكن مَنْ منا يتلذذون فقط بالتحدّث عن يسوع؟ فإن فن التأمّل في روعة المسيح — وغرس هذا الإعجاب والتقدير في حديثنا اليومي — هو تدريب إماتة. لكن في كتاب اسمٌ فوقَ كُلِّ اسمٍ، يدعونا صديقاى أليستر بيج وسينكلير فيرجسون إلى التأمّل من جديد في مخلصنا المذهل، وفي كل ما يجعله فائق الجمال وجديرًا بالحمد. أوصي بشدة بقراءة هذا الكتاب اللافت للنظر».

جوني إيريكسون تادا (Joni Eareckson Tada)

المؤسس والمدير التنفيذي لمركز

(Joni and Friends International Disability Center)

«مَنْ هو يسوع؟ لا يوجد سؤال يمكن أن يواجهه البشر أهم من هذا. يمدّنا أليستر بيج وسينكلير فيرجسون بمعرفة غزيرة عن المسيح، عن طريق تناوّل كيفية حديث العهد الجديد عنه، وذلك باستخدام مجموعة من الصور البديعة. سيشيد كلُّ مؤمن بهذا

الكتاب، إذ يصل بنا هذان الكاتبان الموهوبان إلى فهم أعمق بشأن مَنْ هو المسيح، وَمَنْ هو بالنسبة لنا».

ر. ألبرت مولر الابن (R. Albert Mohler Jr)

رئيس كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية

«لن يسعنا أن نكتفي البتة من الكتب الجيدة عن شخص يسوع المسيح وعمله. وهذا كتاب أكثر من رائع. يتناول أليستر بيج وسينكلير فيرجسون في هذا الكتاب أهم عقائد الإيمان بوضوح، وأمانة، وبصيرة رعوية، وحس فكاهاة. فإن المؤمنين الجدد، وغير المؤمنين، والمؤمنين منذ زمان طويل سيستفيدون على حد سواء من هذه الشروحات المذهلة».

كيفين ديانج (Kevin DeYoung)

الراعي الرئيسي لكنيسة (University Reformed Church)

بمدينة شرق لانسينج، في ولاية ميشيغان

«بالنسبة لجميع مَنْ قد قضاوا مثلي كلّ عمرهم في الكنيسة يستمعون إلى قصص الكتاب المقدس، لكنهم بدأوا فقط مؤخراً في استيعاب القصة المركزية للكتاب المقدس، يضع كتاب اسمٌ فوق كُلِّ اسمٍ بطريقة جذابة وواضحة النقاط فوق الحروف. ففيه يساعدنا مرشدان حكيمان على رؤية يسوع في كُلِّ الكتاب المقدس — منذ الوعد بمجيئه نسلًا للمرأة في سفر التكوين، وحتى الوعد بمجيئه ثانية حملاً فوق العرش في سفر رؤيا يوحنا».

نانسي جوثري (Nancy Guthrie)

معلّمة للكتاب المقدس

وكاتبة لسلسلة (Seeing Jesus in the Old Testament)

# اسمٌ فوقَ كُلِّ اسمٍ

© 2019 هيئة ائتلاف الإنجيل «The Gospel Coalition»  
كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة.

تم طباعة هذا الكتاب باللغة الإنجليزية تحت عنوان

*Name above All Names*

Copyright © 2013 by Alistair Begg and Sinclair B. Ferguson

Published by Crossway, 1300 Crescent Street, Wheaton, Illinois  
60187, U.S.A.

This edition published by arrangement with Crossway. All rights  
reserved.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك،  
إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

إهداء  
إلى  
ديريك برايم  
المؤمن  
والراعي  
والقدوة  
والمشجّع  
والصديق  
بكل الحب والامتنان

# المحتويات

|                                               |     |
|-----------------------------------------------|-----|
| تمهيد .....                                   | ٩   |
| ١. يسوع المسيح، نسل المرأة .....              | ١٣  |
| ٢. يسوع المسيح، النبي الحقيقي .....           | ٤٥  |
| ٣. يسوع المسيح، رئيس الكهنة العظيم .....      | ٧١  |
| ٤. يسوع المسيح، الملك الغالب .....            | ١٠٣ |
| ٥. يسوع المسيح، ابن الإنسان .....             | ١٣٩ |
| ٦. يسوع المسيح، العبد المُتألِّم .....        | ١٨٧ |
| ٧. يسوع المسيح، الخروف الجالس على العرش ..... | ٢٢٩ |







## تمهيد



يُعد هذا الكتاب، كما يوحي عنوانه، شرحًا مختصرًا لما يسمّيه المؤمنون عادة «شخص المسيح وعمله». فهو يركّز على بعض الطرق المختلفة التي يتحدث بها الكتاب المقدس عن هوية المسيح، ويصف خدمته. وإن فصوله هي أبعد ما يكون عن أن تكون وافية أو شاملة، إذ لا تتناول سوى سبعة من أوصاف يسوع الكثيرة التي نجدها في الكتاب المقدس، كما أنها لم تتناول أيًا من تلك الأوصاف بتفصيل واستفاضة. لكن كان الغرض من هذه الصفحات هو أن تكون لمحة بسيطة، أو استكشافًا مبدئيًا. صلاتنا أن تساعد هذه الصفحات البعض ممّن لم يصيروا بعد مؤمنين، وأن تنير أعين مَنْ هم بالفعل مؤمنون، وأن تكون بمثابة تشجيع للمؤمنين الناضجين، ولذة جميع مَنْ يحبون المسيح.

لا يسعنا أن ندّعي أن هذا كتاب «مميّز»، لكننا نستطيع أن نقول إن به شيئين مميّزين، ربما يحفّزان على قراءته.

أولاً، هذا الكتاب هو تعبيرٌ ملموسٌ عن صداقة، بدأت في السبعينيات من القرن العشرين، حين كان كلانا قسيسين في ريعان الشباب في إسكتلندا، أي منذ خمسة عقود. فقد وُلدنا في المدينة نفسها، وعشنا السنوات الأولى من حياتنا فيها. وقد كنا نرتاد الأماكن نفسها، وتعلَّمنا المزامير والترايل والأغاني الروحية نفسها، وسمعنا الوعاظ أنفسهم، وقمنا بتكوين شبكة من الأصدقاء المشتركين، بل وكنا نشجع فريق كرة القدم نفسه، ولعبنا في بعض من ملاعب الجولف نفسها. ثم أتى كلانا للخدمة في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٣، في العام نفسه فقط مع فارق بضعة أشهر.

قطعاً نحن شخصيتان مختلفتان، ولكلٌ منا عالمه الخاص (فقد صار أحداً مواطناً أمريكياً، على عكس الآخر؛ ويعزف أحداً على آلة الجيتار، على خلاف الآخر؛ كما أن أحداً معمداني، والآخر مشيخي؛ وقيم أحداً في كليفلاند، بينما يقيم الآخر في كولومبيا؛ وغير ذلك). أيضاً لكلٌ منا دائرته الخاصة من الأصدقاء، بالإضافة إلى دوائر أخرى متداخلة. لكن على مدار هذه السنوات الكثيرة، استمتعنا معاً بنوع من الصداقة، والتقدير، والمحبة أشعرنا بأننا أخوان. لم يحظَ أحداً بأخ قط، بينما فقد الآخر أخاه. ولهذا، وبشكل جزئي، يعبرُ هذا الكتاب وموضوعه عن امتناننا المشترك للمخلص، الذي تمَتَّعنا فيه بصداقة ومحبة كتلك التي توجد بيننا.

لكن بالإضافة إلى ذلك، يتيح لنا كتاب اسم فوق كُل اسم الفرصة كي نفعل شيئاً تحدّثنا عنه كثيراً على مدار السنوات الماضية: وهو أن نعبرَ بطريقة ملموسة عن امتناننا المشترك لديرِك برايم (Derek Prime)، الذي كان بالنسبة لنا نموذجاً للراعي، والصديق، والمشجّع. ينطبق هذا بشكل خاص على أليستر الذي خدم مع ديرِك برايم في كنيسة (Charlotte Chapel)، بمدينة إدينبرج، من عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٧٦. فإن شعورنا الشديد بالامتنان لأجل ذلك القدر الكبير من التمرّكز حول المسيح ومشابھته، الذي رأيناه ظاهراً بوضوح في حياته وخدمته، يجعل إهداءنا له هذا الكتاب الصغير عن مخلصنا وربّنا أمراً طبيعياً جداً.

بدأ جمع محتويات صفحات هذا الكتاب كما هي في صورتها الحالية في أثناء إعدادنا لمؤتمر في الكنيسة المشيخية الثانية بمدينة ممفيس، في ولاية تينيسي. فإننا مدينون لأعضاء تلك الكنيسة، ولراعيها ساندي ويلسون (Sandy Willson)، لأنهم أتاحوا لنا فرصة أن نخدمهم معاً، ونقدّم لهم البعض من محتوى هذا الكتاب في صورة منطوقة. كما أننا مدينون للسيدة إيف هوفمان (Eve Huffman) لأجل مساعدتها الإداريّة لنا، والتي دُونها لما اكتمل هذا المشروع.

رجاؤنا هو أن تشجّع هذه الصفحات كل قارئ، وترشده، وتنعشه، وتحدّاه. وحتى نزيد من الفائدة العملية لهذا

الكتاب، ولا سيما مَنْ لا زالوا مبتدئين في معرفتهم بالكتاب المقدس، قمنا بإدراج الشواهد الكتابية للنصوص التي أشرنا إليها. هذه الشواهد موجودة في الحواشي السفلية، حتى يمكن قراءة الكتاب دون مقاطعة مستمرة من أقواس.

وإننا لسنا نطلب من قارئنا سوى خدمة واحدة. فمن فوق الكثير من المنابر في إسكتلندا، كثيراً ما رأينا كلمات يراها الواعظ، بينما ظلت مكتومة عن مستمعيه: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» (يوحنا ١٢: ٢١). نرجو إذن أن تكون هذه صلاتكم فيما تبتدئون في تقليب هذه الصفحات.

أليستر بيچ

سينكلير فيرجسون

# الفصل الأول

## يسوع المسيح، نسل المرأة



أُعطي يسوع المسيح اسمًا فوق كُلِّ اسمٍ<sup>١</sup> وتبدأ الأسماء التي نُسبت إليه من سفر التكوين وتنتهي في سفر رؤيا يوحنا. وهي تعبّر معًا عن طبيعة يسوع المسيح، مخلصنا وربنا، التي لا مثيلَ لها. وإن التأمل في هذه الأسماء يُعدُّنا على نحو أفضل كي نستجيب لتحريضات الكتاب المقدس، ونثبّت أنظارنا على المسيح، ونتأمّل في مدى عظّمته.

فإن القدرة على التفكير في الرب يسوع، مطوّلًا وفي وِلَعٍ، هو نشاط يندثر. ففي الحياة المسيحية المعاصرة، هبطت التدريبات اللازمة للتأمل فيه لمدة طويلة، والافتتان به، إلى مرتبة ثانوية. وصار الفعل، لا التأمل، هو سمة العصر.

---

<sup>١</sup> فيلبي ٢: ٩.

وللأسف، في غالبية الأحيان، لا يكون ذلك الفعل مصبوغاً  
بنعمة المسيح وقوّته.

كم يختلف هذا عن مثال الرسول بولس — الذي  
بالنسبة له كانت «الحياة هِيَ الْمَسِيحُ»<sup>٢</sup> — أو عن مثال  
كاتب الرسالة إلى العبرانيين، الذي حثَّنَّا قائلاً: «لَا حِظُّوا  
... يَسُوعَ».<sup>٣</sup>

نحتاج أن نتعلَّم كيف نستعيد مركزية المسيح في عصرنا  
المزدحم والمحموم هذا. فإن كثيرين منا بالطبيعة نافذو  
الصبر. وقد زادت الأجهزة التي نستخدمها بشكل يومي —  
مثل أجهزة الحاسوب وجميع الأجهزة التكنولوجية الأخرى  
— ببساطة من نفاذ الصبر هذا.

ولهذا، سيفيدنا كثيراً أن نقضي هذه الساعات القليلة في  
قراءة هذه الصفحات التي تسلَّط الضوء وتلفت الانتباه  
إلى شخص ربنا يسوع المسيح وعمله.

وكما تُذكِّرنا جولي أندروز (Julie Andrews)، إن البداية  
«هي أفضل مكان نبدأ منه». ويُعَدُّ سفر التكوين هو  
سفر البدايات. وفيه نجد التلميح الأول إلى مجيء فادٍ؛  
وهو نسل المرأة.

## في جنة عدن:

إن عنوان هذا الفصل مُستمد من الكلمات التي نطق

<sup>٢</sup> فيلبي ١: ٢١.

<sup>٣</sup> عبرانيين ٣: ١.

بها الله في جنة عدن. ففي حديث الله مع الحية التي كانت قد نجحت لتوّها في إغواء آدم وحواء بارتكاب الخطية، قال:

وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ،  
وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا.  
هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ،  
وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.<sup>٤</sup>

نعلم جيداً خلفية هذا الكلام. فقد وضع الله آدم وحواء في جنة رائعة. وكانت كل شجرة في تلك الجنة شهيّة لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةً لِلأَكْلِ. لكن من جهة شجرة واحدة فحسب قال الله: «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».<sup>٥</sup>

من الواضح أن الأمر لم يكن يتعلق بوجود شيء سام في هذه الشجرة بالتحديد. بل في حقيقة الأمر، توصف هذه الشجرة تماماً كما وُصفت جميع الأشجار الأخرى. فهي لم تكن تحمل ثماراً قبيحة المنظر، ذات عبير سام. لا، بل كان الشيء الوحيد الذي ميّز هذه الشجرة هو ما قاله الله بشأنها. فإن الإله كليّ السخاء، الذي أعطى آدم وحواء كلّ شيء في الجنة للتمتّع، أيضاً قال لهما:

<sup>٤</sup> تكوين ٣: ١٥.

<sup>٥</sup> تكوين ٢: ١٧.



الآن برهننا على محبتكما لي، وثقتكما فيّ، وطاعتكما لي أنا الإله السخي؛ لا لوجود اختلاف بين تلك الشجرة وأية شجرة أخرى، بل فقط لأنني، بصفتي أباكم، قد أوصيتكما قائلاً: «ثقا بي وأطيعاني» من جهة هذه الشجرة الواحدة.

تُعد هذه دعوة إلى حياة الإيمان، وهي تمتد منذ بداية الكتاب المقدس وحتى نهايته:

Trust and obey, for there's  
no other way

ثِقْ وَأَطِعْ،  
فلا سبيل آخر

To be happy in Jesus, but  
to trust and obey.<sup>6</sup>

كي تَسْعَدَ في يسوع،  
سوى أن تثق وتطيع.

لكن بعد هذا، ظهرت الحية منسدة لحناً مختلفاً:

ثِقْ بي وأطعني، فلا سبيل آخر  
كي تَسْعَدَ دون الله، سوى — أن تفعل ما أقول.

«هل وضعكما الله في هذه الجنة المليئة بكل هذه الأشجار الرائعة، وبكل هذه الثمار الشهية، ثم قال لكما: «لا تأكلا من ثمار أي شجرة منها؟»

قطعاً حاولت حواء أن تتجادل مع الحية، لكنها أخفقت في هذا، وفي النهاية انجذبت إلى مكيدتها. فقد قِيّمت أهمية الشجرة بواسطة عينيها، لا بواسطة أذنيها! وبدلاً

<sup>6</sup> John H. Sammis, "Trust and Obey," 1887.

من أن تصغي إلى ما قاله الله بشأنها، فكَثُرَتْ فيها فقط من حيث ما استطاعت أن تراه فيها. ففي النهاية، بدت الشجرة بالفعل شهية وجذابة. فهي لم تستوعب المبدأ الإلهي القائل إن المؤمنين «يرون» بأذانهم، لا بعيونهم، أي بالاستماع إلى كلمة الله!<sup>٧</sup>

لطالما كانت هذه بالتأكيد هي حيلة الحية.<sup>٨</sup>

بالإضافة إلى ذلك، أية وسيلة يمكن إسقاط آدم بها أفضل من — كما أقرت حواء نفسها لاحقًا — خداع حواء ثم استخدامها؟ فقد استخدم إبليس أفضل هبات الله لآدم حتى يكتسب نفوذًا وتأثيرًا عليه، ويجتذبه إلى الخطية. وهكذا أيضًا، جلب آدم بدوره الخراب على الكون.

ثم جاء الله وافتضح الزوجين الخاطئين؛ وحينئذ نطقا بتبريرათهما المثيرة للشفقة، إذ ألقى الرجل باللوم على المرأة، وألقت المرأة باللوم على الحية.

بعد ذلك، أصدر الله ثلاث كلمات دينونة.<sup>٩</sup>

١) كانت الدينونة الأولى التي وقعت على آدم متصلة بمهمته التي تقتضي الاعتناء بالجنة، وأيضًا بدعوته بأن يحوّل العالم بأكمله إلى جنة لله.

<sup>٧</sup> ارتكب داود الملك هذا الخطأ نفسه (٢ صموئيل ١١: ١-٢).

<sup>٨</sup> انظر يشوع ٧: ١٨، ٢٠-٢١؛ ٢ صموئيل ١١: ٢ للاطلاع على أمثلة إضافية من قصتي عخان ودادود.

<sup>٩</sup> تكوين ٣: ١٥-١٧.

(٢) وكانت الدينونة الثانية التي وقعت على حواء متصلة بشكل خاص بولادة الأبناء، وبتوجهها من نحو زوجها.

(٣) ثم جاءت الدينونة الثالثة على الحية.

من المذهل أن تتضمن هذه الدينونة التي صدرت ضد الحية وعداً بنسلٍ يحقق رجاء الإنجيل المجيد:

وَأَضَعُ عَدَاوَةَ بَيْنِكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ،

وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا.

هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ،

وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقْبَهُ.<sup>١٠</sup>

### قراءات الطريق إلى عمواس:

فيما نتتبع كيفية توسُّع العهد القديم في شرح هذه الفكرة، نجد أنفسنا نحاول، بشكلٍ ما، اللحاق بيسوع نفسه فيما كان يتحدث مع اثنين من تلاميذه في الطريق إلى عمواس، بعد ظهر يوم قيامته،<sup>١١</sup> كي نسترقَّ السمع إلى ما كان يقوله.

كان التلميذان متحيِّرَيْن، ومرتبكين، ومنزعجين بسبب موت يسوع. لكنه في المقابل وجَّه أعينهما إلى الأسفار المقدَّسة، قائلاً: «ألا تدركان كيف توضح هذه الأسفار المقدسة أنه كان ينبغي للمسيا أن يتألم، ويموت، ويقوم ثانية، ويدخل إلى ملكوته، ثم ينشر ذلك الملكوت في العالم أجمع؟»

من الواضح أنهما لم يكونوا مدرِّكين لهذا.

<sup>١٠</sup> تكوين ٣: ١٥.

<sup>١١</sup> لوقا ٢٤: ١٣-٣٥.

كم كنا نود لو تواجدنا هناك في ذلك الوقت، ومعنا مسجّل، كي نسجل هذا الحوار، فنتمكن من الاستماع إلى جميع نصوص العهد القديم التي لفت الرب انتباه التلميذين إليها. من الواضح أنه كان يعرف هذه النصوص عن ظهر قلب! ويبدو أنه في تلك الرحلة القصيرة قد انتقل بسهولة وسرعة من نص إلى الآخر.<sup>١٢</sup> ثم لاحقًا، وخلال عدة أسابيع، ظل يعاود المجيء إلى التلاميذ، موضحًا لهم جميع الطرق التي أشار بها العهد القديم إليه.<sup>١٣</sup>

حين فعل الرب يسوع هذا — وكلما فعل هذا الآن بواسطة كلمته وبروحه القدس — حقّق ثلاثة أشياء:

- أولاً، قدّم شرحًا تفسيريًّا للأسفار المقدسة.
- ثانيًا، جلب استنارة إلى الذهن.
- ثالثًا، خلق داخل القلب شغفًا من نحوه.

كان هذا هو رد فعل التلميذين بعد أن تركهما يسوع: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟»<sup>١٤</sup>

وهذا هو الدور الذي تقوم به أية دراسة للكتاب المقدس. وهذا ما نرغب في حدوثه كلما قرأنا ما يعلمه

<sup>١٢</sup> يقول لوقا: «ثُمَّ ابْتَدَأَ ... يُقَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» (لوقا ٢٤: ٢٧؛ انظر أيضًا ٢٤: ٤٤-٤٧).

<sup>١٣</sup> أعمال الرسل ١: ٣.

<sup>١٤</sup> لوقا ٢٤: ٣٢.

لنا الكتاب المقدس عن يسوع. فإننا نقرأ الأسفار المقدسة أو نستمع إليها، ونطلب من الروح القدس أن يجلب استنارة إلى أذهاننا. وحين يفعل هذا، تلتهب قلوبنا فينا، أي «تشعر بدفء عجيب» (بحسب كلمات جون ويسلي). وإن حدث واختبرنا هذا النوع من التهاب القلب مرة واحدة، سنرغب في أن تلتهب قلوبنا مرارًا وتكرارًا بالمحبة تجاه المخلص وتجاه تعليمه.

إن أردنا أن يحدث هذا، لا توجد نقطة انطلاق نبدأ منها أفضل من النقطة التي نعتقد أن يسوع نفسه قد بدأ منها، أي تكوين ٣: ١٥ — الوعد بصراع بين نسلين.

كان أول وصف للخصمين هو: نسل المرأة ونسل الحية. لكن تعيّن أن تكون ذروة هذا الصراع شخصية وفردية بدرجة أكبر — أي بين نسل المرأة والحية ذاتها. لم يعد الخصم الشرير الأخير هو نسل الحية بل الحية ذاتها. يوحى هذا ضمناً إذن بأن النسل الأخير للمرأة أيضاً سيكون فرداً واحداً. سيسحق كل من الخصمين الآخر. لكن بينما لن تسحق الحية سوى عقب نسل المرأة، سيسحق نسل المرأة رأس الحية — أي سيوجه إليها ضربة سيُتضح أنها قاضية.

إن أُعطيت بطاقة فارغة، وطلب منك أن تجيب على هذا السؤال: «لماذا ظهر ابن الله؟» ماذا ستكون إجابتك؟ شاهد إجابة الرسول يوحنا:

لَأَجْلِ هَذَا أَظْهَرَ ابْنُ اللَّهِ لِكِي يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ.<sup>١٥</sup>

هذا هو أول بعد من أبعاد رسالة الإنجيل المسجل لنا في الكتاب المقدس. رأى يوحنا نبوة الأصحاح الثالث من سفر التكوين تتحقق في فادينا يسوع المسيح. فقد أظهر المسيح كي يُبطل ما فعلته الحية. ومن خلال حياته وخدمته، وفي النهاية من خلال موته وقيامته، نَقَضَ جميع أعمال إبليس. ما هو الضوء الذي تلقيه هذه الكلمات على خدمة ربنا يسوع المسيح؟

حين نفكر في الخلاص، كثيرًا ما نستخدم كلمات من قبيل الغفران والتبرير — وهذا صوابٌ. لكن لاحظ أنه لم يرد في تكوين ٣: ١٥ أي ذكر للغفران أو للتبرير. هل يشكل هذا أهمية؟ قطعًا! فإن كلمات الله هنا تسلط كل الضوء على الصراع («وَأَضَعُ عَدَاوَةً...»)، ومن ثم على حاجتنا إلى أن نُعْتَقَ من عبوديتنا للشرير، حتى لا نصير بعد أسرى «رئيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الْآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ».<sup>١٦</sup>

ولهذا، تُكسبنا هذه الكلمات، التي ترد في أوائل سفر التكوين، فهمًا خاصًا عن رسالة الكتاب المقدس ككل. فإن هذا الكتاب المقدس هو سلسلة من أسفار تتبّع أثر صراع كونيٍّ قديم للغاية بين «النسليين».

<sup>١٥</sup> ١ يوحنا ٣: ٨.

<sup>١٦</sup> أفسس ٢: ٢.

## الإنجيل الأول:

لطالما سُمِّي تكوين ٣: ١٥ باسم «الإنجيل الأول» (protevan-gelium)، أي الإعلان الأول عن بشارة الإنجيل. فهو يحوي أقدم وعد بمجيء المسيح — أي أنه يحوي نبوة بأن ظهوره سيشكّل ذروة صراع دام طويلاً. لاحظ كيف عبّر النص عن هذا:

(أ) وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ،

(ب) وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا.

(ج) هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ

- في التصريح الأول (أ) يُعلن الله نشأة عداوة بين الحية والمرأة.

- وفي التصريح الثاني (ب) يوضح أن هذه العداوة ستستمر حتى إلى ما بعد حواء، إذ ستشمل ذرية (نسل) الحية ونسل المرأة.

- في التصريح الثالث (ج) يقول الله إن هذه العداوة ستبلغ ذروتها حين يسحق (في صيغة المفرد المذكر) نسل المرأة رأس الحية. وسينتهي الصراع بانتصار نسل المرأة.

هناك إذن في هذه الآية تطوُّر وتدرُّج، من عداوة بين شخصين (الحية وحواء)، إلى عداوة بين سلالتين (نسلهما)، وصولاً إلى الخاتمة النهائية للعقدة: سيسحق نسل المرأة (في المفرد) رأس الحية.

## إبليس؟

لا ترد في الأصحاح الثالث من سفر التكوين أية إشارة إلى إبليس. لكن حين تأملت بقية أسفار الكتاب المقدس في الحدث الذي ورد في هذا النص، يتبيّن لنا أن شخصية إبليس كانت تكمن وراء الحية.

ردّد بولس صدى تكوين ٣: ١٥ حين أخبر المؤمنين في رومية بأن «إِلَهُ السَّلَامِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا».<sup>١٧</sup> فقد أمسك بهذا الوعد القديم، مطبّقًا إياه على مؤمني رومية. وكان المعنى الضمني لهذا هو أن الحية في الأصحاح الثالث من سفر التكوين كانت تتحدث بلسان الشيطان، وأن ذلك الصراع الذي تحدث عنه هناك كان قد بلغ ذروته. فقد غلب المسيح الشيطان — وهكذا سنغلبه نحن أيضًا.

يظهر هذا بأكثر وضوح في سفر رؤيا يوحنا. فإن الأصحاح الثاني عشر من سفر رؤيا يوحنا يعرض لنا صورة دراميّة ومؤثرة عن بلوغ هذا الصراع القديم ذروته. يرى يوحنا تينًا عظيمًا أحمرًا يبتلع البشرية. كان هذا هو «الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ أَعْلَامَ كُلِّهِ».<sup>١٨</sup> فإذا كانت حية عدن قد ابتلعت بالفعل، الكثيرين جدًّا من الجنس البشري على المستوى الروحي، نمت وصارت تينًا عظيمًا.

<sup>١٧</sup> رومية ١٦: ٢٠.

<sup>١٨</sup> رؤيا ١٢: ٩.



في حقيقة الأمر، تبدو هذه الرؤيا النبوية وكأنها نسخة فيلمية من نص تكوين ٣: ١٥. فإننا فيها نُدعى إلى أن نشاهد — في صورة درامية، عالية الدقة، بالألوان مع تأثيرات خاصة — هذا الصراع المستمر المُتنبأ به بين نسل المرأة ونسل الحية، وناتجه النهائي.<sup>١٩</sup>

هذا هي القصة الأساسية التي تمتد في الكتاب المقدس ككل. فإن هذا الصراع يظهر كجنينٍ في الأصحاح التالي مباشرة من سفر التكوين؛ حين خاض أخ (قايين) صراعاً مع أخيه (هابيل) بسبب قبول الله للذبيحة الأخير.<sup>٢٠</sup> فقد أسفر قبول الله للذبيحة عن غيرة وقتل، إذ سعى نسل الحية (قايين) إلى القضاء على نسل المرأة (هابيل).

أيضاً تظهر هذه القصة نفسها في حادثة برج بابل، حيث سعى الإنسان إلى بناء مملكته الخاصة في معاداة ملكوت الله. لكن أسقط الله، في سلطان سيادي، هذه المملكة، وقضى على وحدتها.<sup>٢١</sup> كما أن هذه هي القصة الكامنة وراء صراع مصر ضد إسرائيل،<sup>٢٢</sup> وجليات ضد داود،<sup>٢٣</sup> وبابل ضد أورشليم، ونبوخذ ناصر ضد دانيال.<sup>٢٤</sup> كما أنها

<sup>١٩</sup> يربط العهد الجديد ضمناً، في نص آخر، بين الحية وإبليس: يوحنا ٨: ٤٤ ب.

<sup>٢٠</sup> تكوين ٤: ١ وما يليه.

<sup>٢١</sup> تكوين ١١: ٩-١٠.

<sup>٢٢</sup> خروج ١-١٢.

<sup>٢٣</sup> ١ صموئيل ١٧: ١٠، ٤٥.

<sup>٢٤</sup> دانيال ١: ١ وما يليه.

تَكْمُن وراء صراع إبليس ضد يسوع،<sup>٢٥</sup> ووراء سعي بيلاطس البنطي وهيرودس إلى القضاء على المخلص.<sup>٢٦</sup> وهي القصة التي تتغلغل داخل الأناجيل وما بعدها. فقد سعى اليهود إلى القضاء على يسوع في أثناء خدمته، فقال لهم: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ».<sup>٢٧</sup> ثم انصبت هذه العداوة نفسها بعد هذا على الكنيسة المسيحية.<sup>٢٨</sup>

هكذا إذن، بدأت قصة العصور تتكشف بالفعل في تكوين ٣: ١٥.

## صراع مستمر:

نحتاج أن نتذكر هذا الصراع ونحن نقرأ الأناجيل. فقد كان هو الطابع الأساسي الخفي الذي ميّز حياة الرب يسوع وخدمته. وهو يتخلل كل صفحة من صفحات القصة. تروي الأناجيل قصة الصراع بين يسوع ونسل الحية — سواء في هيئة الأرواح النجسة، أو في إثارة العداء ضده، أو من خلال جهود الحية لتجنيد بطرس ويهوذا، تلميذي يسوع، لخدمتها. نجد هذا في الملخص المختص بالمقتضب الذي قاله يوحنا الشيخ: «لِأَجْلِ هَذَا أَظْهَرَ أَبْنُ اللَّهِ لِكَي يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ».<sup>٢٩</sup>

<sup>٢٥</sup> متى ١٦: ٢١-٢٣؛ لوقا ٤: ١-١٣، ٢٨-٢٩، ٣١-٣٧؛ ٢٢: ٥٣؛ يوحنا ١٢: ٢٧-٣٣؛ ١٣: ٢، ٣٢-٣١.

<sup>٢٦</sup> أعمال الرسل ٤: ٢٣-٢٨.

<sup>٢٧</sup> يوحنا ٨: ٤٤.

<sup>٢٨</sup> أعمال الرسل ٧: ٥٤-٨: ٣.

<sup>٢٩</sup> ١ يوحنا ٣: ٨.

هكذا إذن، منذ البداية وحتى النهاية — أي منذ تحوُّل جنة عدن إلى برية بسبب الخطيئة، وحتى الأصحاحين الحادي والعشرين والثاني والعشرين من سفر رؤيا يوحنا، حين صارت هذه البرية جنة مرة أخرى — يروي الكتاب المقدس ككلُّ قصة هذا الصراع. فقد كان الوعد هو بأن يدوم هذا الصراع طوال العصور حتى يأتي المسيح، ثم أن يصل هذا الصراع، في خدمته، إلى مرحلة حرجة ومصيرية.

يعبِّر العهد الجديد عن هذا بعدة طرق مختلفة.

تَدَكَّر قول بولس إنه لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ إِلَهُ ابْنَهُ. وَاصْفًا يسوع في جملتين اعتراضيتين، «مَوْلُودًا مِنْ أَمْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ».<sup>٣٠</sup> «مَوْلُودًا مِنْ أَمْرَأَةٍ» — هل كان بولس هنا يردُّ صدى تكوين ٣: ١٥؟ نعم بالتأكيد؛ ففي كل الكتاب المقدس، كانت العادة هي تتبَّع النسب من الذكور.<sup>٣١</sup> لكن قال الله: «سيسحق نسل المرأة رأس الحياة». إذن، كان بولس، إن جاز التعبير، يقول: «الآن يمكنكم حقًا في التجسد إدراك هوية نسل — أي مولود — المرأة. فهو الرب يسوع المسيح، وليس غير ذلك».

هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الذي لأجله خاطب الرب يسوع مريم أمه بلقب «امرأة»؟ فقد فعل هذا في لحظتين لافتتين، لم يسجلهما سوى إنجيل يوحنا.

<sup>٣٠</sup> غلاطية ٤: ٤.

<sup>٣١</sup> انظر، على سبيل المثال، تكوين ٥: ١؛ ٦: ٩؛ ١٠: ١؛ متى ١: ١-١٧؛ لوقا ٣: ٢٣-٣٨.

أولاً، حدث هذا في العرس الذي ذهب إليه يسوع في قانا الجليل، في ردّه على إصرار مريم بأن «يفعل شيئاً» بشأن كارثة وشيكة الحدوث. فقد كان الخمر على وشك النفاد. لكن أجابها يسوع: «مَا لِي وَلَكَ يَا أُمْرَأَةً؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». لكنه بعد هذا بقليل، حوّل الماء إلى خمر — وكانت هذه هي الآية الأولى، أي استعلانه الأول لمجده!<sup>٣٢</sup>

ثم لاحقاً، وفي الساعة الأخيرة تقريباً من حياة يسوع، خاطب أمه مرة أخرى بلقب «امرأة». فقد كان على وشك إكمال عمله على الأرض، العمل الذي فيه «جَرَدَ [الله] الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا».<sup>٣٣</sup> وفي غصون ذلك، التفت إلى يوحنا وأودع مريم أمه إلى رعايته. ثم قال لها: «يَا أُمْرَأَةً، هُوَذَا أَبْنُكَ».<sup>٣٤</sup>

لطالما وجد المفسّرون صعوبة في تفسير الدلالة الدقيقة لكلمات يسوع. ويبدو أنها تزعجهم قليلاً. ففي النهاية، متى كانت آخر مرة خاطبت فيها والدتك بهذا التعبير الجامد؟ وإن كنت قد فعلت هذا، ماذا كان جوابها؟ هل ذكّرتك بهويتها؟ يبدو لنا وقع هذه اللغة وقحاً حين يستخدمها ابنٌ ليخاطب والدته التي تحبه. وقد تمادى بعض المفسرين وقالوا: «لا داعي أن يثير هذا ذهولنا. فقد كان من الطبيعي أن يقول يسوع هذا».

<sup>٣٢</sup> انظر يوحنا ٢: ١-١١.

<sup>٣٣</sup> كولوسي ٢: ١٥.

<sup>٣٤</sup> يوحنا ١٩: ٢٦.

لكن هل هذا صحيح؟ فإن هذا الأسلوب في الحديث بين يسوع وأمه لا يَظْهَرُ في أي موضع آخر في الأناجيل. هل يمكن أن يكون هناك سبب أعمق دعا يوحنا إلى تسجيل هذه الكلمات في كلٍّ من بداية خدمة يسوع العلنية ونهايتها؟ هل كان يقول: «ألا ترون ما يجري هنا؟ كان يسوع يدرك أنه نسل المرأة الذي سيسحق رأس الحية». هل كان يسوع يذكّر أمه بمصيرهما الذي عيّنه لهما الله؟ ففي النهاية، تعلّمنا إنجيل يوحنا بأنه فوق صليب الجلجثة، سحق ربنا يسوع المسيح حقًا رأس الحية. فحين أراد الأمم أن يروه، قال: «الآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا أَلْعَالَمِ. الآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا أَلْعَالَمِ خَارِجًا».<sup>٣٥</sup>

### يسوع يلتقي بالعدو:

يبدو أن هناك نصًّا آخر في إنجيل يوحنا يتماشى مع هذا المنظور العام، مع أن تفسيره أيضًا أبعد ما يكون عن السهولة.

ففي منتصف الحديث الوداعي الذي ألقاه الرب يسوع (يوحنا ١٣-١٧)، قال لتلاميذه: «قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هَهُنَا» (١٤: ٣١). لكن لا ترد في النص أية إشارة إلى تغيير فعلي للمكان، أو إلى تحركهم على الإطلاق. لكن اللغة التي استخدمها يوحنا هنا قد استُخدمت خارج العهد الجديد في سياق حربي، بمعنى مواجهة العدو. إذن، ربما لم يكن

<sup>٣٥</sup> يوحنا ١٢: ٣١.

يسوع يقول: «دعونا نتحرك من هنا»، بل بالأحرى، كان يقول: «في ضوء كل ما قلته لكم، وكل ما يحدث، حان الوقت أن نخوض الصراع الأخير ضد قوات الظلمة».<sup>٣٦</sup> فإنه «هَذِهِ سَاعَتُكُمْ [ساعتهم] وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ».<sup>٣٧</sup> وسواء كان التلاميذ قد غادروا المكان بالجسد في ذلك الوقت أم لا، كان يسوع قطعاً على وشك دخول أرض يحتلها العدو.

وهكذا، يبدو أن الأناجيل تقول لنا: «هل تستطيعون رؤية كيف يبلغ وعد الصراع ذروته في خدمة الرب يسوع؟» ويمثل الأصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا صورة مسرحية لوعده تكوين ٣: ١٥. ففي رؤيا يوحنا، رأى أبنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ الْأُمَمِ؛ وكان على وشك أن يُوَلَّد.<sup>٣٨</sup> لكن كان هناك تين عظيم يقف منتظراً خروجه من رحم أمه. وكان التين ينوي ابتلاع الطفل. ويُعرَّف التين بوضوح بأنه إبليس، وحية جنة عدن.<sup>٣٩</sup> يذُكِّرنا هذا بوضوح بالمجزرة الوحشية والبشعة التي شنها هيرودس على أطفال بيت لحم.<sup>٤٠</sup> ففي هذا الهجوم، كان هناك تأثير

<sup>٣٦</sup> انظر يوحنا ١٤: ٣١. وانظر:

C. H. Dodd, *The Interpretation of the Fourth Gospel* (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1953), 407-9.

<sup>٣٧</sup> لوقا ٢٢: ٥٣.

<sup>٣٨</sup> تبين لغته هنا أنه يرى هذا الابن من خلال عدسات مزمو ٢: ٩. فهو الملك المسياني الموعود به.

<sup>٣٩</sup> رؤيا ١٢: ٩.

<sup>٤٠</sup> متى ٢: ١٦-١٨.

شيطاني كبير، إذ كان يستهدف شخص الرب يسوع المسيح. فإن قصة الخلاص هي قصة حرب.

ظهرت هذه الحقائق نفسها في التجربة التي تعرّض لها مخلصنا في البرية.<sup>٤١</sup>

### آدم الثاني يدخل المعركة:

نرتكب أحياناً خطأ بسيطاً ونحن نقرأ روايات قصة التجربة؛ إذ نفترض أن الغرض الرئيسي منها كان أن نتعلّم شيئاً عن تجاربنا الشخصية، وكيف ينبغي أن نقاومها.

هذا صحيح؛ فإن المثال الذي قدّمه لنا ربنا في مقاومته للتجارب يساعدنا بالفعل في الصمود أمام تجاربنا. لكن لم يكن الغرض من هذه التجارب هو أن نقول: «قد جُرب يسوع، ونحن نجرب مثله تماماً، ولهذا لنستجب للتجربة كما استجاب هو». من شأن هذا أن يجعل تجاربه مجرد نموذج نحتذي به. ليس هذا صحيحاً — فإننا نقرأ أن الروح القدس اقتاد يسوع، أي أنه «أخرجه» أو «ساقه» إلى البرية كي يُجرب.<sup>٤٢</sup>

لم تكن تجارب يسوع إذن سلسلة من الأحداث المؤسفة التي أصابته على حين غرة؛ بل هي تمثّل مواجهة ملحمية تقع ضمن الخطة الإلهية. فإننا فيها نرى عمل يسوع من صراع، ونصرة، وخلاص. فقد وقف يسوع أمام إبليس

<sup>٤١</sup> متى ٤: ١-١١؛ مرقس ١: ١٢-١٣؛ لوقا ٤: ١-١٣.

<sup>٤٢</sup> «يقناد» هو تعبير إنجيل لوقا، بينما «أخرجه» هو تعبير إنجيل مرقس.

وجهًا لوجه، بصفته الإنسان الجديد، أي آدم الثاني، حتى  
ينجح فيما أخفق فيه الإنسان القديم، أي آدم الأول. كان  
السؤال هو: مَنْ سيأخذ ممالك هذا العالم؟ وكيف سيُسْتَرَدُّ  
ملكوت الله ويؤسَّس؟ والإجابة هي أن يسوع سيأخذها  
مرة أخرى نيابة عنا، ولأجل مسرة ومجد أبيه. وسيُسْحَق  
إبليس تحت الأقدام!

O loving wisdom of our  
God!

يا لحكمة الله  
المُحِبَّة!

When all was sin and shame,

فحين سادت الخطية والعار،

A Second Adam to the fight

جاء آدم ثانٍ

And to the rescue came.

إلى أرض المعركة نجدةً.

O wisest love! that flesh and  
blood,

ما أحكم هذه المحبة! إن اللحم  
والدم،

That did in Adam fail,

الذي أخفق في آدم،

Should strive afresh against  
the foe,

يَهْبُ من جديد  
ضد العدو،

Should strive and should  
prevail.<sup>43</sup>

يَهْبُ  
ويغلب.

لهذا السبب قاسى يسوع الضعف والجوع الجارف  
(في مقابل آدم، الذي تمتّع بالوفرة والخير). ولهذا واجه

---

<sup>43</sup> J. H. Newman, "Praise to the Holiest in the Height," from the poem The Dream of Gerontius, written in 1865 and later set to music by Edward Elgar for his oratorio of the same name.



التجربة في برية (على خلاف آدم، الذي وُضع في جنة فاتنة وجوادة). ولهذا أحيط بحيوانات برية (ليس كما كان آدم محاطًا بحيوانات طيعة، وطائفة، وعلى الأغلب مُروضة). فقد كان على يسوع، آدم الأخير، أن ينتصر ويغلب في خضم حالة الفوضى التي جلبتها خطية آدم الأول إلى العالم.

ولهذا، منذ بداية خدمة يسوع وحتى نهايتها، كان في مواجهة حربية مستمرة مع قوات الظلمة. ففي واقع الأمر، بعد التجارب التي تعرض لها يسوع مباشرة، وفيما كان يبدأ خدمته العلنية، اضطر أن يواجه هجومًا آخر من نشاط شيطاني في مجمع الناصرة.<sup>٤٤</sup> وبعد قليل، التقى برجل في كورة الجديين كانت حياته واقعة تحت تأثيرٍ دخيلٍ مدمرٍ وخارج عن السيطرة. فقد كان يهيم في القبور كحيوان بري، لا أحد يستطيع أن يخضعه.

وحين سأل يسوع الروح النجس في رفقٍ: «ما اسمك؟»

أجاب: «أُسْمِي لَجِئُونُ، لِأَنَّ كَثِيرُونَ».<sup>٤٥</sup>

كان اللجئون الروماني يتألف نظريًا من حوالي أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جندي. كان الرجل إذن يقول: «قد اجتاحت آلاف الشياطين حياتي».

لكن انتبه إلى هذا جيدًا. لا يتطلّب الأمر للقضاء على إنسان سوى روحًا نجسًا واحدًا. لماذا إذن اجتاحت آلاف

<sup>٤٤</sup> لوقا ٤: ٣٠-١٦.

<sup>٤٥</sup> مرقس ٥: ٩.

الأرواح النجسة هذا الرجل؟ لأن الرب يسوع كان هناك. كان هذا هو بيت القصيد. لم يكن هذا مجرد رجل مسكين يسكنه لجئون من الأرواح النجسة. كان من شأن هذا أن يكون إسرًا من إبليس في نشر قواته، لم يكن بوسعه تحمّل نفقاته. لم يكن هذا الإنسان هو الهدف الأساسي، بل كان الهدف هو القضاء على خدمة يسوع.

لم يكن سبب كثرة سُكنى الأرواح الشريرة في البشر في الفترة الزمنية التي تسجلها الأناجيل هو — كما يُفترض أحيانًا — أن هذا كان شيئًا طبيعيًا في ذلك الزمان. بل في حقيقة الأمر، لم يكن هذا هو الوضع الطبيعي. بل قد اجتاحت الأرض آنذاك من الأرواح النجسة لأن المخلص كان يخوض حربًا لتحقيق النصر التي يَعدُّ بها تكوين ٣: ١٥. ولهذا أُطلق العنان لكل الجحيم كي يقاومه.

يتضح ذلك من خلال رد فعل الأرواح النجسة نفسها تجاه يسوع. فحين واجه الرجل المسكون بالأرواح النجسة يسوع في مجمع كفرناحوم، كان رد فعل الروح النجس هو: «أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا!»<sup>٤٦</sup>

ثم بعد ذلك، بالتأكيد، اتخذت هذه المقاومة الشريرة صورة أكثر مكرًا، إذ استخدمت واحدًا من أكثر ثلاثة رجال أحبهم يسوع في العالم؛ وذلك حين ردد سمعان بطرس

<sup>٤٦</sup> مرقس ١: ٢٤؛ قارن متى ٨: ٢٩ «أَجِئْتُ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟»

صدى تجربة إبليس للمخلّص، قائلاً له: «يا يسوع، لا تسلك طريق الصليب».<sup>٤٧</sup>

كم كان يسوع حازماً — وكم كان فطناً إذ تبين في كلمات بطرس لهجة الشرير — فأجابه: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!»<sup>٤٨</sup>

### تغيير في الخطة:

في النصف الأول من روايات الأناجيل، وحتى مجاهرة بطرس بأن يسوع هو المسيح، كان إبليس يسعى إلى جعل يسوع ينحرف ويحيد عن الصليب. فقد قال له في البرية: «لا تذهب إلى الصليب. سأعطيك ممالك العالم إن انحنيت أمامي وسجدت لي». ومن خلال سمعان بطرس قال له: «لا تذهب إلى الصليب. ابحث عن وسيلة أخرى». وبدأ أن الأرواح النجسة أيضاً كانت تقول له: «لا تذهب إلى الصليب».

لكن حدث بعد هذا شيء غير متوقّع. فقد سلكت خطة إبليس مساراً مختلفاً. فقد صار يحاول الذهاب بيسوع إلى الصليب بأقصى سرعة ممكنة، محاولاً إفساد توقيت الله بحيث يصير موت يسوع مأساة بشعة، وليس خدمة خلاصية في طاعة. ولذلك، بدلاً من أن يستخدم عضواً متقلقاً في جماعة التلاميذ (سمعان بطرس)، استخدم

<sup>٤٧</sup> انظر متى ١٦: ٢٢-٢٣.

<sup>٤٨</sup> متى ١٦: ٢٣؛ مرقس ٨: ٣٣.

أمين صندوقها (يهوذا الإسخريوطي). كان التلاميذ الآخرون يثقون في يهوذا ثقة عمياء، لدرجة أنه حين غادر العلية كي يسلم يسوع، ظن الكثيرون منهم حقاً أنه كان ذاهباً للقيام بأحد خدمات الرحمة.<sup>٤٩</sup>

استخدم إبليس فيما سبق سمعان بطرس — ولكن كان هذا دون جدوى. لكنه بعد هذا دخل فعلياً يهوذا الإسخريوطي.<sup>٥٠</sup> كانت هذه إشارة إلى بداية الصراع الأخير ليسوع. فقد قال لمن جاؤوا ليمسكوا به في بستان جثسيماني: «هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ».<sup>٥١</sup> كان هذا السلطان عتيداً أن يسحق عقبه؛ لكنه في ذلك الصراع كان عتيداً أن يسحق رأس الحية.

إذن، تروي قصة الكتاب المقدس ككل قصة صراع مستمر. وتأتي بنا قصة الأناجيل إلى ذروة هذا الصراع.

## الانتصار:

كيف سحق يسوع رأس الحية وقضى على تأثيرها؟

قاوم يسوع إبليس تماماً حيث استسلم له آدم. فقد كانت طاعته التامة لأبيه هي السمة التي ميّزت مسار حياته ككل.

<sup>٤٩</sup> يوحنا ١٣: ٢٩.

<sup>٥٠</sup> يوحنا ١٣: ٢٧.

<sup>٥١</sup> لوقا ٢٢: ٥٣.

وبعد ثلاث سنوات، اقتيد يسوع أيضًا إلى شجرة، وجُرب هو أيضًا. لكن في حالته، كانت التجربة هي أن يمتنع عن الأكل من الثمار السامة لهذه الشجرة.<sup>٥٢</sup> لكن أبطلت طاعة آدم الأخير عصيان آدم الأول.

منح الله آدم وحواء متعة الأكل من كل شجر الجنة، عدا شجرة واحدة. لم تكن الثمار المحرّمة، كما رأينا قبلاً، ثمارًا قبيحة، تبدو مشؤومة؛ كما لم يكن ينبعث منها عير منقّر. بل بدت الثمار شهية. كانت كل غريزة طبيعية تقول من جهة هذه الشجرة: «هذه الشجرة — مثلها مثل جميع أشجار الجنة — شهية للنظر. ويبدو ثمرها جيد الشكل والرائحة».<sup>٥٣</sup>

لماذا إذن، في حين بدت شجرة جنة عدن جذابة بهذه الصورة، قال الله: «لا تأكلا من هذه الشجرة»؟ هذا لأن هذه الشجرة كانت تمتحن طاعة آدم، وتخلق بيئة يمكن لعلاقته بالله أن تنمو وتتطوّر فيها. كان الله في الحقيقة يقول لآدم: «يا آدم، أطعني في هذا، حتى تبرهن على ثقّتك بي ومحبتك لي. وإن فعلت هذا ستتمو في علاقتك بي». لكن للأسف، سلك آدم المسار نفسه الذي اندفعت إليه زوجته، متبعًا حواسه — كالنظر، والشم، والتذوق — لا كلمة الله.

<sup>٥٢</sup> المترجم: أي أن تجربة إبليس ليسوع كانت أن يحاول منعه من الذهاب إلى خشبة الصليب وإتمام الخلاص.

<sup>٥٣</sup> انظر تكوين ٢: ٩.

لكن حين جيء بالإنسان الثاني إلى شجرة الجلجثة، أُوقِفَ أمام صورة مرآة معكوسة لتجربة الإنسان الأول.

لم يكن في الشجرة الأولى أي شيء ينقُر آدم بالغريزة من الأكل من ثمارها الشهية للنظر. ولم يكن في الشجرة الثانية أي شيء يجتذب يسوع نحو الأكل من الثمار المنفرة لترك الله. فقد كانت هذه شجرة ملعونة.<sup>٥٤</sup>

لم تكن هناك عظمة واحدة في جسد المسيح، أو جرام واحد من لحمه، أو عاطفة واحدة في روحه، كان من الممكن أن ترغب على الإطلاق في اختبار شعور تخلي الله. بل كانت كل ذرة في كيانه تنكمش من ذلك، إذ قد أحبَّ أباه!

هناك المزيد أيضًا. فإن أي رد فعل من جانب يسوع غير الانكماش من الموت على الخشبة، باعتباره شيئًا منفردًا، كان لينقص من قداسته. فقد دُعي يسوع إلى أن يقاسي شيئًا كانت كل غريزة فيه تشمئز منه. كان على يسوع ألا يرغب في الأكل من ثمار الشجرة بكل كيانه، ومع ذلك أن يكون على استعداد للأكل منها. فقد أبدى استعدادًا للطاعة في حين لم يكن يرغب في أن يُترك! هذا هو ثمن خلاصنا. لا عجب أن يسوع صُلِّيَ قائلًا: «يَا أَبَا أَلَّابْ ... أَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَاسَ».<sup>٥٥</sup>

<sup>٥٤</sup> انظر غلاطية ٣: ١٣.

<sup>٥٥</sup> مرقس ١٤: ٣٦.

نستطيع وضع التناقض بين آدم ويسوع في جدولٍ كالتالي:

|         |                    |                        |
|---------|--------------------|------------------------|
| شخصان:  | آدم الأول          | آدم الأخير             |
| مكانان: | الشجرة المحرّمة    | الشجرة الملعونة        |
| وصيتان: | لا تأكل من الثمرة! | تجرّع محتوى هذه الكأس! |
| رغبتان: | يريد أن يأكل       | لا يريد أن يشرب        |
| فعلان:  | عصيان              | طاعة                   |
| نتيجتان | موت                | حياة                   |

وفي ضوء هذه الخلفية يقول بولس: «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّليبِ».<sup>٥٦</sup> فقد أبدى يسوع استعدادًا أن يأخذ على عاتقه اللعنة الإلهية، مع أن كلّ ذرة في كيانه، وكلّ رغبة مقدّسة، كانت تتوق إلى البركة الإلهية، وتستحقها. فقد أخذ مكاننا — ومَن يستطيع أن يسبر غور لغز شعوره بالوحشة والاغتراب عن مجد السماء؟ فقد حمل اللعنة — كل هذا من أجل المحبة.

In my place, condemned he  
stood

عوضًا عني،  
وقف مدانًا

Sealed my pardon with his  
blood

خاتمًا عفوي  
بدمه

Hallelujah! What a Savior!<sup>٥٧</sup>

هللويا! يا له من مخلص!

<sup>٥٦</sup> فيلبي ٢: ٨.

<sup>٥٧</sup> Philip Bliss, "Man of Sorrows," 1875.

لكن هناك المزيد أيضًا. فقد فعل يسوع شيئًا آخر ذات أهمية شديدة.

## كشف القناع:

فقد افترض يسوع كذب إبليس.

يصف بولس سقوط الإنسان بهذه الكلمات: «أَسْتَبَدَّلُوا حَقَّ اللَّهِ بِالْكَذِبِ».<sup>٥٨</sup> ما هو هذا الكذب؟ بالتأكيد كان الكذب هو ما قالته الحية لحواء:

لقد وضعكما إلهكما في هذه الجنة، وأعطاكما خيرات كثيرة، وأشجار جذابة، والكثير جدًا من الثمار الشهية. لكنه قال لكما: «ها أنا قد أحطتُكما بكل هذه الأشياء الرائعة والشهية، لكن يتحتم عليكما ألا تحصلا على أيٍّ منها».<sup>٥٩</sup>

هل ترى التلميح الشيطاني هنا؟ «إن الله إله قاسٍ ومتبلد الشعور؛ فهو لا يريد الأفضل لكما، كما أنه لا يعطيكما الأفضل. بل هو يعيث بكما لأجل متعته الشريرة. فهو لا يحبكما بالحقيقة، بل يحتقركما».

لا داعي أن نروي بقية القصة. فقد صارعت حواء مع التجربة، لكن كانت الفكرة السامة قد غرست بالفعل داخل ذهنها المشوّش، لتصل إلى عواطفها وإلى إرادتها. ومن هناك انتقلت إلى شراييننا؛ وهي الآن داخل أجهزتنا. فهي

<sup>٥٨</sup> رومية ١: ٢٥.

<sup>٥٩</sup> انظر تكوين ٣: ١ وما يليه.



ذلك الالتواء الموجود بداخلنا، الذي يدفعنا ألا نؤمن أو نشق في أن الله نفسه وكل شيء فيه — في شخصه، وفيما يفعله، ويوصي به، ويعد به — هو صلاحٌ وخيرٌ.

أحيانًا يقول لنا غير المؤمنين: «إن الإله الذي أؤمن به هو إله المحبة». لكن لا يعرف هؤلاء أنفسهم جيدًا، لأن تحليل الكتاب المقدس لهم هو: «لا — بل قد استبدلتهم حق الله بالكذب. لستم تؤمنون بأنه إله المحبة. لن تسلكوا هكذا لو كنتم حقًا تؤمنون بهذا».

إن لبَّ الإنجيل هو هذا: كإثبات من الآب السماوي لمحبهته، أرسل ابنه الوحيد كي يموت على الصليب عوضًا عنا، ولأجل خطايانا. «وَلَكِنَّ أَلَهَ بَيِّنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا».<sup>٦٠</sup>

الصليب وحده — وليس ظروف حياتنا — هو البرهان الأساسي على محبة الله من نحونا. ينبغي ألا نسمح لأنفسنا بأن ننخدع لنظن أنه إن كانت أحوالنا تسير على ما يرام، فإننا حينئذ نستطيع أن نتيقن من محبة الله. فكثيرًا ما تبدو الحياة مظلمة ومؤلمة؛ ولا تسير الأحوال دائمًا على ما يرام. لكن في المقابل، علينا أن نتطلع إلى ذبيحة الصليب، وإلى الإثبات الذي قدّمه الله هناك عن محبهته. هذا هو البرهان الذي نحتاجه. وهذا هو الحق الذي نحتاج أن نسمعه إن أردنا للكذب أن يتبدّد.

<sup>٦٠</sup> رومية ٥: ٨.

إن كان يسوع قد مات عني، فإنني إذن أستطيع أن أتيقن من أن الآب، والابن، والروح القدس سيفعلون كل ما يستلزمه الأمر (دون أي استثناء!) كي يقدموا لي الخير والفائدة:

الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ،  
كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟<sup>٦١</sup>

لاحظ كيف كانت الجلجثة هي محور اهتمام رسالة الإنجيل، وكيف كان الصليب هو محور تركيزها، والمسيح هو مركزها. لكن الجلجثة، بكل ما فيها من شعور كئيب بالترك، هي إعلان أكثر تفصيلاً ووضوحاً عن النعمة. لأنها لا تمثل فقط:

(١) ذروة طاعة يسوع. إذ قد «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتِ الصَّليبِ».<sup>٦٢</sup>  
لكنها تمثل أيضاً:

(٢) ذروة محبة الآب لابنه المتجسّد. فقد قال يسوع: «لِهَذَا يُحِبُّنِي الْآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي».<sup>٦٣</sup> وكانت اللحظة التي صرخ فيها: «يا إلهي، إنني قد تُرَكْتُ! لماذا؟» هي اللحظة نفسها التي كان أبوه ينشد فيها، من خلال دموعه، هذه الكلمات:

<sup>٦١</sup> رومية ٨: ٣٢.

<sup>٦٢</sup> فيلبي ٢: ٨.

<sup>٦٣</sup> يوحنا ١٠: ١٧.

|                            |                       |
|----------------------------|-----------------------|
| My Jesus, I love thee,     | يا يسوعي، إنني أحبك،  |
| I know thou art mine . . . | أعلم أنك لي ...       |
| If ever I loved thee,      | إن أكثر وقت أحبك فيه، |
| My Jesus, 'tis now.        | يا يسوعي، هو الآن.    |

حدث كل هذا حتى يسحق يسوع رأس الحية، وينتزع من بين أنيابها الكذب السام الذي لا زال يدمي قلوب الكثير من المؤمنين، ويصيرهم مؤمنين خائفين ومتشككين. لدينا هنا ملاحظة إضافية، يبدو أنها تلقي بالضوء على عمل المسيح بصفته النسل.

## عودة البستاني:

تذكر العمل الذي خُلق آدم ليؤديه: أن يكون البستاني.

كان كلُّ ما خلقه الله «حسنًا» — لكن لم يكن الكلُّ بعد جنة. أراد الله إذن أن يمارس آدم سلطته حتى يوسّع من نطاق الجنة. وإذ أعطاه جنة كنقطة انطلاق، كان بهذا يقول له: «إليك يا آدم نقطة الانطلاق». كما حين نقول لأبنائنا: «إليك البداية. الآن اذهب وأكمل الباقي».

كان على آدم أن «يزرع» الأرض بأكملها، لمجد الآب السماوي. لكنه أخفق في هذه المهمة. وإذ خُلق كي يحوّل التراب إلى ثمر، صار هو نفسه جزءًا من التراب.<sup>٦٤</sup>

وصارت جنة عدن برّية هذا العالم. لكن هل تتذكّر كيف سجّل لنا إنجيل يوحنا ما حدث في صباح يوم قيامة يسوع من الأموات؟ فقد كان يسوع «هُوَ الْبَدَاءُ [بداية الخليقة الجديدة]، بِكْرٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ»؛<sup>٦٥</sup> لكن لم تتعرّف عليه مريم المجدلية، بل تحدثت معه ظناً منها «أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ».<sup>٦٦</sup> حسنًا، مَن يمكن أن يكون غير ذلك، في هذا الوقت من الصباح؟

البستاني؟ نعم، حقًا. فهو البستاني؛ وهو الإنسان الثاني؛ وآدم الأخير، الذي كان يبدأ الآن في استعادة الجنة واستردادها. ثم في وقت لاحق من ذلك اليوم، أظهر يسوع لتلاميذه آثار المسامير والحربة في يديه وجنبه. فقد سحقت الحية عقبه بالفعل، لكنه سحق رأسها! والآن كان يخطّط لتحويل البرية إلى جنة مرة أخرى. ولهذا، سرعان ما أرسل تلاميذه إلى العالم حاملين بشارة انتصاره. فإن كلّ سلطان على الأرض — فقدّه آدم — قد تم الآن استرجاعه. ينبغي الآن أن يسترد يسوع الغالب كلّ العالم!

في المشاهد الختامية من سفر رؤيا يوحنا، رأى يوحنا الأرض الجديدة نازلة من السماء. وكيف بدت؟ كانت عبارة عن جنة تقف في وسطها شجرة الحياة!<sup>٦٧</sup>

<sup>٦٥</sup> كولوسي ١: ١٨.

<sup>٦٦</sup> يوحنا ٢٠: ١٥.

<sup>٦٧</sup> انظر رؤيا ٢١-٢٢.

يومًا ما، سيتحقَّق كل هذا.

هكذا إذن، جاء النسل، ونضح عقبه بالدماء من جراء سحقه. لكن في غضون ذلك، سُحِقَ رأس الحية. والآن يملك يسوع، وسيعظم أنْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا!<sup>٦٨</sup>

لكن لا يزال الطريق حتى خط النهاية طويلًا، ولا يزال هناك الكثير لتتعلَّمه عن المسيح إن أردنا أن نعرفه معرفة تامة. وقد حصلنا الآن بالفعل على بعض التلميحات بشأن ما لا بد أن يكونه يسوع: فهو لا بد أن يكون شخصًا يتكلَّم بالصدق الذي ينقض كذب إبليس، أي أن يكون نبيًّا؛ وأن يكون شخصًا قادرًا على أن يمنحنا اليقين بشأن غفران خطايانا، أي أن يكون كاهنًا؛ وأيضًا أن يكون شخصًا قادرًا على أن يُخضعنا ويملك علينا، أي أن يكون ملكًا. وهناك المزيد أيضًا.

## الفصل الثاني يسوع المسيح، النبي الحقيقي



يُحْتَنَى الكتاب المقدس على أن نثبَّت أعيننا على يسوع.<sup>٦٩</sup>

لم تُجِدْ الكثير من الكتب تأثيراً على حياتنا مثل كتاب (Memoir and Remains of Robert Murray M'Cheyne). كان روبرت ماكين (Robert M'Cheyne) هو الراعي الإسكوتلندي لكنيسة القديس بطرس بمدينة دندي، من عام ١٨٣٦ وحتى عام ١٨٤٣. وقد مات عن عمر يناهز التاسعة والعشرين. لكن تميّزت حياته، ووعظه، بل وخدمته ككلٍّ بمركزية المسيح الشديدة. وإننا كثيراً ما نتأمل في كلماته التي تقول: «اعرف الكثير عن الرب يسوع. وأمام نظرة واحدة إلى ذاتك، ألقِ على المسيح عشر نظرات؛ دع نفسك

---

<sup>٦٩</sup> عبرانيين ١٢: ١-٢.

تمتلى بشعور بتميُّزه وروعه».<sup>٧٠</sup>

هذه هي حاجتنا العظمى — أن تمتلى أذهاننا وقلوبنا بوحيٍ بعظمة المسيح، وبمجده الذي لا مثيل له. وحين نفكر في عصر الزجسية الشديدة هذا الذي نعيش فيه، وكم أننا نُغَوَى ونُحَثَّ على التركيز على أنفسنا، يتردّد صدى كلمات ماكين هذه في آذاننا عبر أروقة الزمن. نحتاج أن نأخذ هذه الكلمات على محمل الجد، وأن نعيّرها انتباهنا الكامل كلّ يوم.

ذكرنا بالفعل أن واحدة من «النظرات» التي يمكن أن نلقيها على يسوع هي أن نراه بصفته نسل المرأة. يساعدنا الكتاب المقدس أيضًا على أن نراه بصفته المسيح. كلمة **المسيح** تعني «الممسوح». في العهد العتيق، كان ثلاثة أشخاص على وجه التحديد يُمسّحون لخدمة الله: النبي، والكاهن، والملك. هذه الأبعاد الثلاثة تُظهر لنا بأشد وضوح كلاً من شخص يسوع وعمله.

تدين الكنيسة بأسرها من نواحٍ عديدة لجون كالفن لأجل الشرح الذي قدّمه عن أهمية هذه «الوظيفة الثلاثية». في المقدمة التي كتبها كالفن عن هذا الموضوع في كتابه «**أُسُس الدين المسيحي**» (Institutes of the Christian Religion)، ذكر أن بعض معاصريه قد استخدموا ألقاب يسوع هذه

<sup>70</sup> Andrew Bonar, Memoir and Remains of Robert Murray M'Cheyne (1844; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1966), 293.

«برودة وبصورة عقيمة، إذ هم لا يدرون ما تعنيه أيُّ من تلك الحقائق».<sup>٧١</sup> في كلماتٍ بسيطة، ربما نبرع في استخدام هذه التعبيرات، بل ونستخدمها على نحو ضليع، لكن مع ذلك تظل قلوبنا باردة بحيث يخفق تعليمنا في التعبير عن قوة الحق الذي نصفه. ينتهي بنا الحال إذن مفسرين مفاهيم، دون أن نوجه العيون إلى يسوع نفسه. ثمة أهمية، إذن، أن نستخدمها بصورة سليمة إن أردنا استخدام هذه الشبكة من المصطلحات كي نفهم المسيح.

سنتحدث في هذا الفصل عن يسوع بصفته النبي المرسل من السماء، وسنتأمل في هذا من أربع نواحٍ. جرت العادة أن تُسمَّى أساسيات التعليم والتعلُّم باسم «the three R's» - نسبة إلى reading (القراءة)، writing (الكتابة)، arithmetic (الحساب). هذه الأساسيات هامة ولازمة كي نتمكن من أداء وظيفتنا في العالم. كذلك أيضاً، نستطيع أن نقول إنه توجد أربعة أشياء هامة ولازمة كي نتمكن من معرفة المسيح باعتباره نبياً، ونستمتع بالشركة معه (وهي أربعة أشياء تبدأ في اللغة الإنجليزية بحرف «R»، ولذلك نستطيع تسميتها «the four R's»).

<sup>71</sup> John Calvin, Institutes of the Christian Religion, ed. J. T. McNeil, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 2.15.1.



فإن وظيفة النبي:

### ١- لازمة (Required):

فإن حالتنا الساقطة تستلزم أن يكون يسوع نبينا. استُخدمت كلمة «لازمة» هنا في معناها الأساسي، وهو: «شيء ضروري لأجل تحقيق غرض معين؛ ونعتمد عليه في النجاح أو في البقاء على قيد الحياة».

يحمل كلُّ لقب من ألقاب يسوع الثلاثة — نبي، وكاهن، وملك — في طياته قضاءً ودينونة علينا. فإن يسوع، كملك، يأتينا كي يُخضع ويكبح عصياننا وتمردنا؛ وككاهن، يأتي كي يتولّى أمر خطايانا. لكنه يأتينا كنبي كي يتولّى أمر جهلنا.

كان الجهل الروحي هو السبب الذي دعا الله إلى إرسال أنبياء طوال التاريخ الكتابي — وأيضاً في النهاية إلى إرسال نبيّه الحقيقي والنهائي، الرب يسوع.

فبعد خطية الإنسان الأولى، وسقوطه الذي تحدث عنه الأصحاح الثالث من سفر التكوين، رأى الله «أَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِمَّا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ».<sup>٧٢</sup> فقد انحرف قلب الإنسان وذهنه في الاتجاه الخاطئ.

وحين نتابع القراءة في الكتاب المقدس، نكتشف شيئاً آخر: أنه بسبب تمردنا المتعمد، اندسّت حماقة إلى قلوبنا،

<sup>٧٢</sup> تكوين ٦: ٥.

فزادت من التأثير على جهلنا. يقول كاتب المزمور: «قَالَ  
الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلَهُ»».<sup>٧٣</sup> وحين نأتي إلى العهد  
الجديد، مثلاً في رسالة رومية، ثم أيضاً رسالة أفسس، نجد  
بولس يؤكّد على هذا الحق نفسه:

بَلْ حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قُلُوبُهُمُ الْغَيْيُّ.<sup>٧٤</sup>

إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ  
الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلَاطَةِ قُلُوبِهِمْ.<sup>٧٥</sup>

إلى هذا الوضع المأساوي والمحزن من الجهل الأخلاقي  
والروحي، جاء المسيح. ومن خلال خدمته النبوية، كان  
ينبغي أن يسطع النور داخل ظلمتنا. «فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ،  
وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ».<sup>٧٦</sup>

يرتعب الأطفال بالطبيعة من الظلام، ولهذا يطلبون  
من أبويهم ترك ضوء غرفة نومهم مضاءً. يدلي توماس  
واطسون (Thomas Watson)، التطهري البريطاني، بتعليق  
حكيم في هذا الشأن. فقد لاحظ أننا في حين ندرك المخاطر  
التي تهدّدنا في الظلام الطبيعي، يبدو أننا لا نعرف الخوف  
في الظلمة الروحية.

<sup>٧٣</sup> مزمور ١٤: ١؛ ٥٣: ١.

<sup>٧٤</sup> رومية ١: ٢١.

<sup>٧٥</sup> أفسس ٤: ١٨.

<sup>٧٦</sup> يوحنا ١: ٩.

لكن الظلمة الروحية لا يصاحبها رعبٌ؛ فإن البشر لا يرتعدون من حالتهم، بل يحبونها بما فيه الكفاية.<sup>٧٧</sup>

قطعاً، يوضح ويؤكد هذا ما قاله يوحنا: «أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِّيرَةً».<sup>٧٨</sup> بل إن هذه الظلمة — أي الظلمة الداخلية — تكون شديدة لدرجة أن الشخص نفسه يصير أعمى عن حقيقة عماه ذاتها! فهو لا يعي عنها شيئاً إلا حين يأتي الرب يسوع فيكشفها له. فبسبب خطيته وحالته الساقطة، فقط بواسطة نعمة الله يكتشف في النهاية أنه لا يوجد طريق عقلي يؤدي إلى الله. أبدى مارتن لوثر ملاحظة تقول إن الإنسان بطبيعته *incurvatus in se* — أي متمحور حول ذاته. ونتيجة لهذا، لا يتَّسم منظوره عن العالم بالحيادية، بل هو منظور مشوّه، ويتسم بالتحيز — من جهة كل شيء. يقول جون كالفن: «إن قلب الإنسان مصنع مستديم للأوثان».<sup>٧٩</sup> أو بكلمات ويليام تمبل (William Temple): «إنني في كل يوم أضع نفسي في مركز هذا الكون بآلاف الطرق والوسائل».<sup>٨٠</sup>

<sup>77</sup> Thomas Watson, *A Body of Divinity* (1692; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1958), 169.

<sup>٧٨</sup> يوحنا ٣: ١٩.

<sup>79</sup> Calvin, *Institutes*, 1.11.8.

<sup>80</sup> Cited in James Philip, *The Growing Christian* (Ross-shire, UK: Christian Focus, 2010), 57.

داخل هذه الظلمة وهذا الجهل تكلم الله بواسطة الأنبياء «بأنواعٍ وطُرُقٍ كَثِيرَةٍ».<sup>٨١</sup> وقد صَّرح الأنبياء بوضوح شديد وباستمرار بأن الله هو من كان يتكلم بواسطتهم، قائلين: «هذا ما يقوله الرب»، و«استمعوا إليَّ يا بيت يعقوب وبيت إسرائيل». على الشعب إذن أن يستمعوا إلى كلمة الرب. فقد «كانت نبوة العهد القديم وسيلة استخدم بها الإله المعصوم من الخطأ بشراً غير معصومين من الخطأ كي يقدم كلمة معصومة من الخطأ لبشر غير معصومين من الخطأ».<sup>٨٢</sup> وقد واجه هؤلاء الأنبياء معاصريهم بحماقة وبُطل عبادة الأوثان.

فإننا نجد إشعياء يتحدث بأشدَّ أسلوب لاذع، قائلاً:

قَطَعَ لِنَفْسِهِ أَرْزًا وَأَخَذَ سِنْدِيَانَا وَبَلُوطًا، وَأَخْتَارَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَشْجَارِ الْوَعْرِ. غَرَسَ سَنُوبَرًا وَالْمَطَرُ يُنْمِيهِ. فَيَصِيرُ لِلنَّاسِ لِلْإِيقَادِ. وَيَأْخُذُ مِنْهُ وَيَتَدَفَّأُ. يُشْعِلُ أَيْضًا وَيَخْرِزُ خُبْرًا، ثُمَّ يَصْنَعُ إِلَهًا فَيَسْجُدُ! قَدْ صَنَعَهُ صَنَمًا وَخَرَّ لَهُ. نِصْفُهُ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ. عَلَى نِصْفِهِ يَأْكُلُ لَحْمًا. يَشْوِي مَشْوِيًّا وَيَشْبَعُ! يَتَدَفَّأُ أَيْضًا وَيَقُولُ: «بَخْ! قَدْ تَدَفَّأْتُ. رَأَيْتُ نَارًا». وَبَقِيَّتُهُ قَدْ صَنَعَهَا إِلَهًا، صَنَمًا لِنَفْسِهِ! يَخْرُ لَهُ وَيَسْجُدُ، وَيُصَلِّي إِلَيْهِ وَيَقُولُ: نَجِّنِي لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهِي.

<sup>٨١</sup> عبرانيين ١: ١.

<sup>٨٢</sup> John Blanchard, Major Points from the Minor Prophets (Carlisle, PA: Evangelical Press, 2012), 25.

لَا يَعْرِفُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ لِأَنَّهُ قَدْ طَمَسَتْ عُيُونُهُمْ  
عَنِ الْإِبْصَارِ، وَقُلُوبُهُمْ عَنِ التَّعْقُلِ. وَلَا يُرَدُّ  
فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا فَهْمٌ حَتَّى يَقُولَ:  
«نِصْفَهُ قَدْ أَحْرَقْتُ بِالنَّارِ، وَخَبَزْتُ أَيْضًا عَلَى  
جَمْرِهِ خُبْزًا، شَوَيْتُ لَحْمًا وَأَكَلْتُ. أَفَأَصْنَعُ بَقِيَّتَهُ  
رِجْسًا، وَلِسَاقِ شَجَرَةٍ أُحْرُقُ؟» يَرَعَى رَمَادًا. قَلْبٌ  
مَخْدُوعٌ قَدْ أَضَلَّهُ فَلَا يُنَجِّي نَفْسَهُ وَلَا يَقُولُ:  
«أَلَيْسَ كَذِبٌ فِي يَمِينِي؟»<sup>٨٣</sup>

حين نقرأ هذا، نُغَوَى بِأَن نقول لأنفسنا: «كان هذا  
منذ أمدٍ طويل، وقد تجاوزنا اليوم هذه الحماقة». لكن  
الحقيقة هي أننا لا زلنا ن صنع آلهتنا الخاصة — دائماً على  
صورتنا نحن. تتخذ هذه الآلهة التي من ابتكارنا الكثير  
من الصور المختلفة، لكن تجمع بينها جميعاً نظرة حلولية  
وجودية عن الواقع. «فإن جميعها، بشكل أو بآخر، تفترض  
أن الطبيعة تشمل وتحوي ما هو مقدّس؛ كما تفترض أن  
وسيلة تواصلنا مع الله هي أن نجده داخل أنفسنا. فهو  
موجود في أعماق جزء من كياننا».<sup>٨٤</sup>

نُشر مؤخراً مقال في جريدتنا المحلية يصف روح عيد  
الميلاد بأنها احتفالٌ بالإيمان بوجود طاقة سرمديّة! ونجد  
صورة شخصية متطرّفة من فكرة اكتشاف هذه الطاقة

<sup>٨٣</sup> إشعياء ٤٤: ١٤-٢٠.

<sup>٨٤</sup> David F. Wells, What Is the Trinity? Basics of the Faith (Philipsburg, NJ: P&R, 2012), 11.

بداخلنا في كتاب صدر في الثمانينيات من القرن العشرين بعنوان (Habits of the Heart).<sup>٨٥</sup> يعرّفنا هذا الكتاب بشخصية شيلا لارسون، وهي ممرضة شابة ابتكرت ديانة خاصة بها، فيها يكون الله هو كل ما يسدّد احتياجاتها. وقد أطلقت على هذا «الإيمان»، دون أدنى خجل، اسم «الديانة الشيلاوية» (نسبة إلى اسمها).

علّق ج. ك. تشسترتون (G. K. Chesterton) في فطنة على هذا النوع من التفكير، حين قال إنه بمجرد توقّف الناس عن الإيمان بإله الكتاب المقدس، لن يؤمنوا بلا شيء — بل سيبدوون في الإيمان بأي شيء!

لهذا نحتاج إلى نبي يستطيع أن يطيح بجهلنا من فوق العرش. وما لم نتحرّر من هذا الجهل بواسطة هذا النبي العظيم والحقيقي، سنمكث في الظلمة، وفي بطل ذهننا.

## ٢- إعلانية (Revealed):

الكلمة الثانية هي — كما هو متوقّع — هي كلمة «إعلانية». يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «أَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ».<sup>٨٦</sup>

---

<sup>٨٥</sup> Robert N. Bellah and Richard Madsen, *Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life* (Berkeley, CA: University of California Press, 1985).

<sup>٨٦</sup> عبرانيين ١: ١-٢.

يشكّل هذا الدور النبوي الإعلاني جزءاً حيويّاً من خدمة يسوع.

في حين كان موسى هو النبي الرئيسي الأول، إلا أنه تحدث عن نبي آخر عتيد أن يأتي: «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيّاً مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ». وأيضاً: «قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ».<sup>٨٧</sup>

هذا وصف مثالي لخدمة ربنا النبويّة: جعل الله كلامه في فم يسوع، فتكلّم يسوع بكل ما أوصاه به الآب. أيضاً تكمن هذه الفكرة بالتأكيد وراء صلاة الرب كرئيس كهنة في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا. فقد كانت هذه الصلاة هي صلاة النبي العظيم:

وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أُعْطِيتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لِأَنَّ  
الْكَلَامَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي قَدْ أُعْطِيتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا  
وَعَلِمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ  
أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.<sup>٨٨</sup>

يتغلغل هذا التوقُّع بشأن خدمة المسيح هذه في كلِّ العهد القديم وصولاً إلى العهد الجديد. يعلّق كالفن على

<sup>٨٧</sup> تثنية ١٨: ١٥-١٨.

<sup>٨٨</sup> يوحنا ١٧: ٧-٨.

هذا قائلاً إنه «لطالما رسخت في عقول الأتقياء تلك القناعة بأنهم يجب ألا يتوقعوا أن يفهموا ذلك التعليم فهمًا كاملاً قبل مجيء المسيا».<sup>٨٩</sup> انظر، على سبيل المثال، كيف حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع بين ذراعيه في الهيكل، قائلاً: «لَإِنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرْتَا خَلَاصَكَ ... نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ ...».<sup>٩٠</sup> فإنه في تقواه الشديدة التي تمثّلت في انتظاره، كان ينتظر تجسيد وتتميم الكلمة النبوية القديمة.

نرى الشيء ذاته في حديث يسوع مع المرأة السامرية التي التقى بها عند بئر يعقوب. فإن هذا التوقّع (كما يقول كالفن أيضاً) «قد تجاوز الأمانة، وتسَلَّلَ إلى أذهان السامريين».<sup>٩١</sup> فقد كانت المرأة السامرية تعرف قدرًا كافيًا من اللاهوت مكّنها من أن تقول ليسوع: «فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ [المسيا] يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ».<sup>٩٢</sup> يا له من تصريح مذهل من مصدر غير متوقّع تمامًا! فهوذا امرأة سامرية، كان لها من قبل عدة أزواج، والآن تعيش مع رجل ليس زوجها. وقد التقت بهذا الرجل اليهودي الغريب الجنس عند البئر، فدار حديث غير مألوفٍ بينهما. أليس هذا لافتًا للنظر؟ وبينما كان يسوع يتحدث إليها، أجابت على الفور: «أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ!». ثم في أثناء الحوار، حاولت، على ما يبدو، إنهاء

<sup>89</sup> Calvin, Institutes, 2.15.1.

<sup>٩٠</sup> لوقا ٢: ٣٠-٣٢.

<sup>٩١</sup> Calvin, Institutes, 2.15.1.

<sup>٩٢</sup> يوحنا ٤: ٢٥.



الحديث بإخبار هذا الغريب ببساطة بأن كل شيء سيتضح حين يأتي المسيا. «لأنه متى جاء — سيصير كل شيء واضحًا وضوحًا مطلقًا». لكنها لم تكن تتوقع ردَّ يسوع: «أنا الَّذِي أَكَلْتُمْ هُوَ».<sup>٩٣</sup> يتساوى ذهولها هنا مع ذهول الحاضرين في مجمع الناصرة بعد أن قرأ يسوع من إشعيا ٦١ ثم قال: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الِّمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ».<sup>٩٤</sup> فقد تعجَّب الجميع من كلماته!

كان أول وصف قاله معاصرو يسوع عنه هو أنه نبيٌّ. نرى هذا في جميع أنحاء الأناجيل. فبعد إشباع الخمسة آلاف مباشرة، كانت الكلمات التي ترددت على شفاه الجميع هي: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الَّاتِي إِلَى الْعَالَمِ!»<sup>٩٥</sup>

وحين أوقف يسوع موكبًا جنازيًا خارج قرية نابين كي يقيم الشاب الميت، ويعيده إلى أمه. كان رد فعل الشعب هو: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ».<sup>٩٦</sup>

وحين جاء نيقوديموس، ذلك الفريسي واسع الاطلاع وشديد التدين، إلى يسوع متسترًا بالظلام، كي يطرح عليه بعض الأسئلة، قال له: «نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ آتَيْتَ مِنْ اللَّهِ

<sup>٩٣</sup> يوحنا ٤: ٢٦.<sup>٩٤</sup> لوقا ٤: ٢١.<sup>٩٥</sup> يوحنا ٦: ١٤.<sup>٩٦</sup> لوقا ٧: ١٦.

مُعَلِّمًا». بمعنى آخر، «أرى أنك نبي».<sup>٩٧</sup> ولاحقًا، حين سأل يسوع تلاميذه: «ما هو الكلام الذي يقال عني في الخارج؟» «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا» كان أحد الردود الأولى هو: «وآخَرُونَ ... وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ».<sup>٩٨</sup>

صدَّق يسوع على هذه التسمية — لكنه أراد أن تُفهم بطريقة صحيحة، لأنها لم تكن كذلك. فعلى سبيل المثال، بعد أمسية مجمع الناصرة، استشعر يسوع رد الفعل العدائي للشعب، فقال: «لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ».<sup>٩٩</sup> ولاحقًا قال إنه لَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ.<sup>١٠٠</sup>

نحتاج إلى نبيٍّ بسبب جهلنا. إن يسوع هو نفسه نبي، بل هو بالحقيقة النبي الوحيد الذي نحتاجه.

### ٣- مُدْرَكَة (Recognized):

يصحبنا هذا إلى مرحلة أبعد من «الإعلان». فبشكل أساسي، ينبغي أن يُعرَف يسوع ويُدرك، ليس فقط بصفته رسولًا جاء بإعلان من الله، بل بصفته المصدر نفسه لذلك الإعلان. فإن يسوع ليس المُعلن فحسب، بل هو الإعلان ذاته! لهذا السبب كانت الهمهمة التي انتشرت في أنحاء المدينة بعد الكلمات التي قالها في مجمع الناصرة

<sup>٩٧</sup> انظر يوحنا ٣: ١-٢.

<sup>٩٨</sup> انظر متى ١٦: ١٤.

<sup>٩٩</sup> لوقا ٤: ٢٤.

<sup>١٠٠</sup> لوقا ١٣: ٣٣.

هي: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ يُوسُفَ؟ مَنْ يَظُنُّ نَفْسَهُ حَتَّى يَقْرَأَ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟ مَنْ يَظُنُّ نَفْسَهُ حَتَّى يَنْصُبَ نَفْسَهُ مُعَلِّمًا؟ مَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي ظَلَّتْ أَعْيُنُنَا شَاطِئَةً إِلَيْهِ وَكَأَنَّهُ مَغْنَاطِيْسٌ؟ مَنْ هُوَ هَذَا الَّذِي يَقُولُ «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ»؟»<sup>١٠١</sup>

ثم لاحقًا، وكما قرأنا في الفصل الأول، حدث الشيء نفسه مرة أخرى في الطريق إلى عمواس. لم يكن لدى التلميذين خائبي الآمال أدنى فكرة عن أنهما كانا يكلمان ذاك الذي قام من الأموات. ولهذا السبب، في أثناء حديث يسوع معهما، وبخهما برفق، قائلًا:

«أَيُّهَا الْعَبَّيَّانِ وَالْبَطِيَّانِ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟». ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُقَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ».<sup>١٠٢</sup>

هل كان بإمكان أيّ نبي من الأنبياء الآخرين أن يقول هذا؟ فقد كان يسوع وحده هو التجسيد لكل ما قاله الأنبياء سابقًا. كان يسوع هو الوحيد القادر أن يُسَكِّك بالكتب المقدسة، ويفتحها قائلًا: «أترون؟ هذا السفر يدور حولي. بل إن هذا الكتاب ككل هو عني!»

<sup>١٠١</sup> انظر لوقا ٤: ١٦-٢٢.

<sup>١٠٢</sup> لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧.

وفيما كان يسوع يفسّر لهما الكتب، انفتحت أعينهما. فقد استمعا إلى شرح وتفسير دقيق للكتب، واختبرا استنارة لأذهانهما، واكتشفا حماسًا وشغفًا جديدًا — أي لهيب نار — بزعم داخل قلبيهما؛ وحينئذ عرفاه وأدركاه!

فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ اخْتَفَى عَنْهُمَا، فَقَالَ  
بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهَبًا فِينَا إِذْ كَانَ  
يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟<sup>١٠٣</sup>

فعل يسوع الشيء ذاته في ظهوره التالي للتلاميذ. فقد جاء لا كي يفتح، أي يوضح، الكتب فحسب، بل أيضًا كي يفتح القلوب، فقد «فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ». وَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الْأَمْوَاتِ ...».<sup>١٠٤</sup> كان يسوع بهذا يقول: «هذا هو ما كُتِبَ آنذاك، وما حدث الآن فيَّ هو التتميم لكل شيء». كان كلُّ هذا جزءًا من خطة إعداد لهؤلاء التلاميذ ليخرجوا بقوة روح الله، ويكرزوا بالحق المتجسّد فيه بصفته نبي الله النهائي والآخر.<sup>١٠٥</sup>

إذن، تُعد وظيفة يسوع النبوية لازمة للقضاء على جهلنا. وهي إعلانية في يسوع نفسه. وهي مُدركة في كل ملئها في ختام خدمته على الأرض.

<sup>١٠٣</sup> لوقا ٢٤: ٣١-٣٢.

<sup>١٠٤</sup> لوقا ٢٤: ٤٥-٤٦.

<sup>١٠٥</sup> انظر لوقا ٢٤: ٤٦-٤٩.

لكن يلزَم أن نخطو خطوة إضافية إن أردنا أن نستوعب بالكامل معنى أن يكون يسوع نبياً. تصف الجوانب الثلاثة الأولى أعلاه عمل يسوع المُكتمل، وخدمته المُتَّمة. لكن هناك جانب رابع — وهو عمله الذي لم يكتمل بعد. فإن الرب يسوع لا يزال يخدم كنبيٍّ لله.

#### ٤- تُستكمل (Realized):

ينبغي أن تُستكمل خدمة يسوع النبوية — لكن كيف؟ من خلال الكرازة وتعليم الكتاب المقدس. فقد استمرت خدمة المسيح النبوية من خلال خدمة الكرازة والتعليم التي قام بها الرسل. لكن ينطبق هذا أيضاً على كافة الكارزين الذين خلفوا هذه السلطة الرسولية في الصف، وأُفرِزوا باعتبارهم عطايا المسيح الصاعد إلى السماء. وتقتضي مهمتهم المستمرة أن يقدّموا الكتب المقدسة إلى أذهان الحمقى والجهال في زمانهم وجيلهم.

إن أخفقنا في فهم هذا، تصير كلُّ من كرازتنا واستماعنا إلى الشهادة الكتابية عن المسيح إذن مفلسة وضعيفة. مرة أخرى، قدم لنا كالفن مساعدة في هذا الشأن، حين قال عن يسوع إن:

مسحّه هذا لم يكن لأجل نفسه فقط ليقوم بدور المعلّم، بل من أجل جسده كلّ، كيما تظهر قدرة الروح القدس من خلال الكرازة المستمرة بالإنجيل.<sup>١٠٦</sup>

<sup>106</sup> Calvin, Institutes, 2.15.2.

إذن، لا تقدّم خدمة المسيح النبوية الحالية أية أفكار غريبة، أو عجيبة، أو جديدة من محض الخيال. بل تكمن هذه الخدمة في فتح وتوضيح الكلمة، وفي المناداة بالإنجيل، وفي الكرازة بالمسيح. هذه هي الوسائل التي نرى من خلالها — أو ربما من الأفضل أن نقول إننا نسمع من خلالها — العمل النبوي المستمر للمسيح. وهذا هو ما قصده بولس حين كتب لأهل كورنثوس هذه الكلمات: «إِذَا نَسَعَى كَسْفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعِظُ بِنَا».<sup>١٠٧</sup> هل كان الله يعظ به هو؟ وبتيموثاوس؟ وبتيطس؟ ألا يعني هذا ضمناً أنه يعظ بنا نحن أيضاً؟ إن الله يعظ بنا!

في ختام خدمة يسوع على الأرض، قال لتلاميذه: «أريدكم أن تخرجوا من هنا إلى العالم، وتكرزوا بالإنجيل. لكن اسمعوا هذا جيداً: ها أنا معكم كلّ الأيام».

كان هؤلاء الرجال ذاهبين لمواجهة عالم معادٍ، وهم على دراية شديدة بمحدوديتهم، وهشاشتهم الشخصية، وعدم فاعليتهم. ولهذا قطع يسوع لهم وعداً يقينياً ثابتاً: «سأكون معكم هناك. فقد ارتفعت عن الأرض مرة على الصليب، وسأرتفع مرة أخرى بواسطة شهادتكم، لأجذب إليّ الجميع».<sup>١٠٨</sup>

<sup>١٠٧</sup> ٢ كورنثوس ٥: ٢٠.

<sup>١٠٨</sup> انظر يوحنا ١٢: ٣٢.

تنطوي مهمة الكرازة بالإنجيل على الشهادة ببساطة ووضوح عن المسيح. كما تنطوي على التحدث عن شخصه وعما فعله في التاريخ، مع توضيح معنى ودلالة موته، ومعجزة قيامته من الأموات، وحقيقة صعوده إلى السماء، وغير ذلك. وقد وعد المسيح بأنه سيكون حاضرًا في هذه الخدمة المستمرة لكلمة الله، وبأنه سيظل يتكلم. لكن سنحتاج أن نقول المزيد عن هذا في الفصل الثالث.

## الشغف والحماس:

هناك فرق شاسع بين نقل معلومات للآخرين، على نحو يمكن أن يكون باردًا وعقيمًا، والكرازة والشهادة الحقيقية.

كان صديق قديم لنا يقود سيارته ذات مرة في شمال إسكتلندا، وكان برفقته الأستاذ الراحل جون موراي (John Murray)، الذي كان من أبناء وطننا، وكان معلمًا في كلية وستمنستر للاهوت بمدينة فيلادلفيا. وقد قرر الأستاذ موراي أن يحوّل هذه الرحلة إلى امتحانٍ صغير! فطرح سؤالاً: «تُرى ما الفرق بين المحاضرة والكرازة أو الوعظ؟» حاول صديقنا جاهدًا أن يعطي إجابة جيدة، لكن لم ترض الأستاذ موراي أية إجابة.

وحين استسلم صديقنا أخيرًا، قال: «حسنًا يا أستاذ موراي، ما هي الإجابة؟ ما الفرق بين المحاضرة والكرازة أو الوعظ؟»

أجابه جون موراي: «هذا هو الفرق ببساطة: الكرازة هي مناشدة شخصية بحماسٍ وشغفٍ».

حينئذ أجاب صديقنا: «لكن ما هي المناشدة الشخصية بحماس وشغف؟»

في سرعة البرق، أجابه الأستاذ موراي، مستعيراً كلمات بولس: «نَطْلُبُ [المترجم: أو «نتوسل إليكم» (implore you) بحسب الترجمة الإنجليزية] عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالِحُوا مَعَ اللَّهِ».<sup>١٠٩</sup>

هذا هو كُلُّ ما في الأمر!

لا يقتصر هذا على كرازة المنبر أو على الكرازة في حدث علني ضخم، لكنه ينطبق على كرازة متجر البقالة، وملعب الجولف، والمقهى. فأينما نكلّم الآخرين عن الرب يسوع، بقوة الله، وعن وعي بأن المسيح نفسه هو النبي العظيم لله، فإننا نقول — بتعبيرنا الشخصي — «أناشدكم وأتوسل إليكم أن تتصالحو مع الله. اقبلوا المصالحة التي أتاحها لكم». وحين يبدأ عمل الله، يقول الناس: «لم أكن أعلم شيئاً عن هذا! أخبرني بالمزيد». وحينئذ نستطيع أن نجيبهم: «حسنًا إذن، يُسرُّني أن أحدثك عن هذا؟ دعني أخبرك بالقصة». وهكذا إذن، تتاح لنا الفرصة كي نتكلّم إلى ظلمة عقولهم، وبُطل ذهنهم.<sup>١١٠</sup>

ينبغي أن نفعل هذا كأدوات متّضعة في يد خدمة المسيح المستمرة. استمع مرة أخرى إلى كلمات جون كالفن في هذا الشأن:

<sup>١٠٩</sup> ٢ كورنثوس ٥: ٢٠.

<sup>١١٠</sup> رومية ١: ٢١.



حتى إن الذين لم يرضهم مضمون البشارة، فباتوا يلصقون بها ما هو دخيل عليها، ينتقصون من سلطة المسيح.<sup>١١١</sup>

علينا أن نحذر جيداً من هذا الخطر! لماذا قال كالفن «ينتقصون من سلطة المسيح»؟ لأن ما يقدم إلى أذهاننا من خلال هشاشة ووهن الأدوات التي يختار الله أن يستخدمها هي كلمة المسيح النبوية — الموجودة في الكرازة وتعليم الكتاب المقدس.

ننال من هذا إذن تشجيعاً ضخماً. فإن لم يكن الأمر كذلك، لما عرفنا بالحقيقة مَنْ يفعل ماذا، أليس كذلك؟ لكن حين نكون على دراية بالحق القائل إن الله قد وضع هذا الكنز في «أوانٍ خزفية»،<sup>١١٢</sup> سنقول: «حسنًا، لا بد أن الله هو مَنْ يفعل هذا!» استمع إلى ما يقوله كالفن عن هذه الفكرة:

فهو يتنازل ويقدّس أفواه البشر وألسنتهم لخدمته، جاعلاً صوته يُسمَع فيهم. وكلما سُرَّ الله بمباركة تعبهم، يعطي فاعلية لتعليمهم بقوة روحه، فيصير الصوت الذي هو في ذاته فأنَّ أداةً لنقل الحياة الأبدية.<sup>١١٣</sup>

<sup>١١١</sup> Calvin, Institutes, 2.15.2.

<sup>١١٢</sup> ٢ كورنثوس ٤: ٧.

<sup>١١٣</sup> مقتبس في المصدر التالي:

James Philip, Pulpit and People, ed. M. Cameron and S. Ferguson (Edinburgh: Rutherford House, 1986), 13.

استخدم جيمس س. ستewart (James S. Stewart)، في محاضرات مؤسسة ليمن بيتشر (Lyman Beecher)، التي أُلقيت في جامعة ييل، تعبيراً رائعاً. فقد قال إن الرسل ضربوا شوارع أورشليم «برياح فوق طبيعية».<sup>١١٤</sup> رياح فوق طبيعية! لم يكن يقصد بهذا تلك الظواهر العجيبة وغريبة الأطوار التي نراها في البرامج الدينية التي تُعرض على التلفاز، بل كان يتحدث عما لا بد أن بطرس قد شعر به في يوم الخمسين.

كان بطرس يعلم جيداً مدى اقترابه في وقت سابق من حافة الإخفاق التام؛ لكنه وجد نفسه في يوم الخمسين محاطاً بأبناء أمتة بالإضافة إلى زائرين من الخارج. وهناك وقف بطرس — في شوارع أورشليم نفسها التي شهدت ركوضه منذ بضعة أسابيع للاختباء، بعد أن أنكر حتى أنه يعرف يسوع. لكنه الآن كان يخاطب الجموع في بسالة وجرأة، وفي فهم واضح لرسالة الكتاب المقدس التي هي ببساطة رائعة ومذهلة. وفي ذلك اليوم اعتمد ثلاثة آلاف شخص! نعم! قد هبَّت في ذلك اليوم «رياح فوق طبيعية»، وأصابت هدفها.

أليس هذا هو ما من المفترض أن يحدث؟

<sup>114</sup> James S. Stewart, A Faith to Proclaim: The Lyman Beecher Lectures at Yale University (London: Hodder & Stoughton, 1966), 45.

نقتبس هنا كلمات دونالد ماكولو (Donald McCullough)، التي تقول: «حين يُكرّز بالإنجيل ... يتمشّي المسيح بنفسه بين شعبه؛ ففي كل مرة، تُصنّع معجزة ميلاد المسيح مرة أخرى: يتسربل المسيح بالناسوت، رافضاً لغة الملائكة، حتى يتكلم من خلال ألسنة البشر الفانين».<sup>١١٥</sup>

يلزم أن نقول شيئين إضافيين هنا كتطبيق.

### الثقة الباسلة:

إن قبلنا كلّ هذا، وسجدنا أمام حقيقة خدمة المسيح النبوية، ثم وقفنا على أقدامنا متأهبين لخدمة الرب، سيحدث شيءٌ ما. فإننا سنُعطى شعوراً بالثقة واليقين، الذي يستمد عزيمته من الله، والذي سيتيح لنا أن نتحلى بالشجاعة في وجه جميع التحديات التي تواجهنا في أيامنا هذه. فهو سيجعلنا بوسائل كافية — لا طنانين ومتحذلقين، بل بوسائل كافية — كي نكون أمناء من نحو ربنا، ومن نحو إرساليته، على الرغم من كلّ تعددية وتوفيقيّة بين الأديان والمعتقدات موجودة في مجتمعنا.

سيمدُّنا هذا بالشجاعة حتى نقول إنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن يخلصوا.<sup>١١٦</sup> وحينئذ لن يصيبنا الحرج أو الخجل من قول يسوع: «أنا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ...»، ولن نختم الجملة عند

<sup>١١٥</sup> Donald McCullough, The Trivialization of God: The Dangerous Illusion of a Manageable Deity (Colorado Springs, CO: NavPress, 1995), 127.

<sup>١١٦</sup> أعمال الرسل ٤: ١٢.

هذا الحد، بل سنكون على استعداد أن نكمّل تصريح يسوع القائل: «... لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِِي». <sup>١١٧</sup> كما لن تُخِلّنا الطابع الحصري (exclusivism) في خلاص المسيح — أي أنه هو وحده الطريق إلى الله، والوسيط الوحيد بين الله والناس، وسنتحلى بالشجاعة كي نخبر الآخرين عنه لأننا نعلم أنه «يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ». <sup>١١٨</sup>

فإننا نحصل من هذا على بسالة وجرأة وفيرة.

في القرن السادس عشر، شدّد جون نوكس (John Knox) الرعاة الإسكوتلنديين بتذكيرهم بأنه حين تُسَمَع الكلمة النبوية في شرح وتقديم النص الكتابي، «يلتقي مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ، حَتَّى الْجُهَّالُ، بِالْهَمِّ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، وَيَأْخُذُونَ وَعُودَهُ، وَتَعْزِيَاتَهُ، وَتَوْبِيخَاتَهُ بِمَحْمَلِ شَخْصِي وَمُبَاشَرٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَيَفْهَمُونَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكْفِي حَتَّى يَقْبَلُوا، بِالْإِيمَانِ، الْخُلَاصَ». <sup>١١٩</sup>

## تعاطف حقيقي:

لكن إلى جانب هذه الجرأة والبسالة، هناك نتيجة أخرى تأتي من اقتناعنا بأن المسيح هو نبينا الحقيقي، وهي: **التعاطف** — التعاطف الذي يحركنا ونحن نشد

<sup>١١٧</sup> يوحنا ١٤: ٦.

<sup>١١٨</sup> عبرانيين ٧: ٢٥.

<sup>١١٩</sup> مقتبس من المصدر التالي:

## كلمات الترتيلة القديمة التي تقول:

|                                                           |                                         |
|-----------------------------------------------------------|-----------------------------------------|
| Rescue the perishing, care for<br>the dying,              | أنقذوا الهالكين، اهتموا<br>بالمحتضرين؛  |
| Snatch them in pity from sin<br>and the grave;            | اختطفوهم في شفقة من<br>الخطية والقبر؛   |
| Weep o'er the erring one, lift<br>up the fallen,          | نوحوا على الخاطئة، وارفعوا<br>الساقطين، |
| Tell them of Jesus, the mighty<br>to save. <sup>120</sup> | أخبروهم عن يسوع، القادر أن<br>يخلص.     |

يبلي البعض منا بلاءً حسنًا في الجرأة والبسالة، لكن ليس في التعاطف والشفقة. فإننا ننجذب إلى جميع النصوص التي تُظهر بسالة، بينما نشيح بأنظارنا عن دعوة الإنجيل إلى إظهار تعاطف حقيقي.

نحتاج أن نتذكر بسالة يسوع وجرأته. فإنه هو المسيح الذي أكلته غيرة بيت أبيه في الهيكل؛ وهو المسيح الذي طرد الباعة والسيارة لأنهم جعلوا بيت أبيه سوق تجارية.<sup>١٢١</sup> وهو المسيح الذي ثبَّت وجهه ليذهب إلى أورشليم وإلى الصليب — دائمًا كي يتِمَّ عمل أبيه.

لكن ينبغي ألا تغيب عن أنظارنا البتة حقيقة أنه بعد أن رثَّل يسوع مزامير المصاعد<sup>١٢٢</sup> مع الحجاج الآخرين إلى

<sup>120</sup> Fanny Crosby, "Rescue the Perishing," 1869.

<sup>١٢١</sup> يوحنا ٢: ١٣-١٧.

<sup>١٢٢</sup> المزامير ١٢٠-١٣٤.

أورشليم، بلغ أورشليم، فهتف قائلاً:

يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ  
الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكَ كَمَا  
تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!<sup>١٣٣</sup>

حين نُقَرِّبُ يسوع النبي الحقيقي، الذي يمارس خدمته  
في بسالة شفوقة ومتراففة، حينئذ قد نتعلم كيف نتحلَّى  
ببسالة هو مصدرها، على الرغم من ضعفنا الطبيعي؛  
وكيف نُبْدِي شفقة وتعاطُفًا هو مصدرهما، على الرغم  
من أنانيتنا الطبيعية، فنقول: «يا كليفلاند، يا كليفلاند! يا  
كولومبيا، يا كولومبيا! يا جلاسكو، يا جلاسكو! — أو أية  
مدينة أخرى تعيش بها.

فيما تبدأ الآن خدمة المسيح في التَكشُّف تدريجيًّا  
أمامنا، نرى أَنَّ لقب «نبي» غير كافٍ للتعبير جيّدًا عن  
روعة شخصه وعمله. ولهذا السبب ينبغي ألا نراه باعتباره  
نبيًّا إلا إن كان هذا داخل إطار **وظيفته الثلاثية**. ينبغي ألا  
تنفصل خدمته النبوية البتة عن وظيفتيه الأخريين، وكأنه  
يمكننا بشكل أو بآخر أن نرى المسيح نبيًّا بمعزل عن كونه  
أيضًا كاهنًا وملكًا. يجمع نيوتن هذه الوظائف الثلاثة معًا  
في تريلته بعنوان (How Sweet the Name of Jesus Sounds)  
[ما أحلى وقع اسم يسوع!]:

|                                                      |                                |
|------------------------------------------------------|--------------------------------|
| Jesus, my shepherd,                                  | يا يسوع، الراعي، والزوج،       |
| husband, friend                                      | والصديق                        |
| My prophet, priest and king                          | النبي، والكاهن، والمملك.       |
| My Lord, my life, my way,                            | ربي، وحياتي، وطريقي،           |
| my end                                               | وغايتي                         |
| Accept the praise I bring.                           | تقبَّل الحمد الذي آتي به إليك. |
| ينبغي الآن أن نمضي قُدِّمًا كي نتحدث عن المسيح بصفته |                                |
| كاهنًا وملكًا.                                       |                                |

# الفصل الثالث

## يسوع المسيح، رئيس الكهنة العظيم



في بعض الأحيان — وخاصة في الولايات المتحدة — يخترق الناس عن غير قصد مساحتنا الشخصية قليلاً طارحين هذا السؤال: «هل لديك آية تتخذها شعاراً لحياتك؟» ونحن نفهم جيداً أنهم يقصدون هذا: «هل هناك نص معيّن في الكتاب المقدس لطالما كان مُوجّهاً لك طوال حياتك المسيحية؟»

يبدو البعض شديدي الجرأة بطرحهم هذا السؤال، حتى أننا في بعض لحظات التخيّل الجامح نتصورهم يخترقون الجموع، متّجهين مباشرة صوب الرسول بولس، سائلين إياه: «إذن، يا بولس، هل لديك آية تتخذها شعاراً لحياتك؟»

هل تعتقدون أنه كان سيحييهم قائلاً: «ألم تقرأوا

رسائلي؟»



لكن ربما يكون النص الكتابي الأقرب إلى أن يكون  
«شعار حياة» بولس هو نص فيلبي ٣: ٨ القائل:

إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ  
الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي.

بكلمات بسيطة، كان بولس يقول: «أريد أن أعرف  
المسيح».

لم يكن هذا مجرد اختبار شخصي، لأن بولس يفترض  
أن هذا لا بد أن يكون اختبار حياة كل مؤمن. فقد تابع  
حديثه قائلاً:

فليفكّر بهذه الطريقة جميع الذين يظنون منكم  
أنهم مؤمنون ناضجون وكاملون. وَإِنْ أَفْتَكَّرْتُمْ شَيْئًا بِخِلَافِهِ،  
سيعيدكم الله بنعمته مرة أخرى إلى هذا الفكر.<sup>١٢٤</sup>

هذه هي القناعة التي تحرك كل فصلٍ من فصول هذا  
الكتاب. إذن، بعد أن رأينا ما يعنيه أن يكون المسيح نبياً،  
سنتجه الآن إلى التأمل فيما يعنيه أن يكون كاهننا.

إن لقب «الكاهن» هو اللقب الوحيد ليسوع الذي  
تم فعلياً تخصيص سفر كامل في العهد الجديد لشرحه  
وتفسيره — وهي الرسالة إلى العبرانيين.

لا نعلم هوية كاتب الرسالة إلى العبرانيين؛ لكن يصفها  
الكاتب بأنها كلمة وعظ أو كلمة تشجيع.<sup>١٢٥</sup> وإن محور

<sup>١٢٤</sup> انظر فيلبي ٣: ١٥.

<sup>١٢٥</sup> عبرانيين ١٣: ٢٢.

هذا الوعظ هو حث الكاتب إيّاهم على أن «يلاحظوا يسوع»،<sup>١٣٦</sup> و«ينظروا إلى يسوع»<sup>١٣٧</sup> — وعلى وجه الخصوص أن يروه باعتباره رئيس كهنتنا.

## مواجهة المحن:

لماذا شكّل هذا أهمية لدى هؤلاء العبرانيين؟

قاسى هؤلاء العبرانيون المحن ذاتها التي قاساها بولس حين صار مسيحياً.

أولاً، حُرِم هؤلاء من حقوقهم الطبيعية أو من ميراثهم الشرعي. فقد «خسروا كلّ الأشياء».<sup>١٣٨</sup> لا بد أن هذا كان مصير الكثير من اليهود الذين آمنوا بأن يسوع هو المسيح. وإلى يومنا هذا، حين يصير فردٌ من عائلة يهودية محافظة وصارمة مسيحياً، قد يُحرَم حرقياً من ميراثه الشرعي.

يبدو واضحاً إذن أن الكثير من هؤلاء المؤمنين الجُدد قد عانوا من حرمان ومن خسائر مادية فادحة نتيجة إيمانهم بالمسيح.<sup>١٣٩</sup> لم يقتصر الأمر على حرمان شخصي من الميراث الشرعي، لكنهم أيضاً عانوا من الإقصاء الاجتماعي والروحي.

ضع نفسك مكان هؤلاء. فإنك مواطنٌ مستقيم وملتزم بالقانون؛ تعيش في مدينة ممفيس، أو كولومبيا، أو كليفلاند، أو إدينبرغ، أو لندن، أو في أي مكان آخر. لكن لأنك كرست

<sup>١٣٦</sup> عبرانيين ٣: ١.

<sup>١٣٧</sup> عبرانيين ١٢: ٢.

<sup>١٣٨</sup> فيلبي ٣: ٨.

<sup>١٣٩</sup> عبرانيين ١٠: ٣٢-٣٤.

حياتك ليسوع المسيح، حُرمت من حقوقك الطبيعية أو من ميراثك الشرعي. ما الذي يترتب تلقائيًا على هذا؟ يترتب على هذا أن تصير «شخصًا غير مرحَّب به» (*persona non grata*) في كافة المؤسسات، والنوادي الاجتماعية، والشبكات، والدوائر الاجتماعية للأصدقاء (ومدارس الأبناء!)؛ تلك الدوائر التي شكَّلت نسيج حياتك. صار كل هذا الآن محظورًا عليك. فقد أقصيتَ عن عائلتك وعن مجتمعك.

أضف إلى هذا أيضًا مكان العبادة الذي كنت ترتاده منذ الطفولة، حتى ترسَّخ أعضاؤه، وخدماته، واحتفالاته، وأناشيده، وعبادته الجماعية، وكافة أنشطته عميقًا داخل كيانك. لكن الآن فقط، حين لم تُعد تستطيع التواجد هناك، صرت تدرك مدى تشكيل هذه الأشياء لهويتك. لم يُعد الآن مرحَّبًا بك هناك؛ ولم تعد جزءًا من تلك الكنيسة التي لا زالت قائمة كتذكُّار للمجتمع الذي أنشأك، والهوية التي كنت تحملها سابقًا باعتبارك جزءًا منه. وفي المقابل، صرت الآن تلتقي مع بعض الأشخاص الآخرين في منزل أحد الأصدقاء. مضت جميع الأشياء التي اعتدتَ قبلاً الاستمتاع بها — والتي كانت فيما سبق «ذات مغزى» كبير بالنسبة لك — كالطقوس، والقساوسة المسؤولين، والعبادات الجماعية، والموسيقى، وجماعات العابدين، والحشود الضخمة، وأيام الاحتفالات الخاصة. والآن صرتم تلتقون في منزل أحدهم، حتى أنه ليس لديهم بيانو!

كان هذا هو حال القراء الأصليين لرسالة العبرانيين. فإن عبادتهم لم تُعد متصلة بفخامة الهيكل، والجوقة الجماعية، واللحظات الخاصة. لم تعد أعينهم تقع على رئيس الكهنة — الرجل الوحيد الذي كان مسموحًا له، مرة واحدة في السنة، في يوم الكفارة، بدخول قدس الأقداس كي يسأل غفران الله عن الشعب. ولم يعودوا ينتظرون ظهوره من جديد، رافعًا يديه ناطقًا بكلمات البركة الهارونية الشهيرة، مطمئنًا إياهم بأن لهم بركة من الرب وسلامًا لأن «عنده المغفرة». فإن هذا الوعي المنظور بأن خطاياهم قد سُتِرت مرة أخرى، وبأن وجه الله يبتسم لهم باعتبارهم شعب العهد — كل هذا قد مضى، بلا رجعة إلا إذا ...

## إِغْوَاءٌ بِالرَّجُوعِ:

إِلا إذا ماذا؟

إِلا إذا رجعوا إلى كُلِّ هذا.

فقد أُغْوِيَ البعض منهم بالرجوع.

ربما تذهب إلى كنيسة محبَّة بشدة لدى جميع أعضائها، ومركز العبادة فيها هو الله، ووعظها كتابي، والشركة مليئة بالاهتمام والرعاية، والرؤية لأجل الإرساليات إلى العالم قوية وصلبة، وفيها تسدّد الاحتياجات الروحية للرعِيَّة. وقد كان لديك أصدقاء تسبّبت ظروف عملهم في انتقالهم إلى موضع آخر؛ وهم الآن يبحثون عن كنيسة جديدة كي ينتموا إليها. لكن كلما حادثتهم على الهاتف،

وسألت عن أحوالهم، تجدهم يقولون: «نحن بخير، عدا أن ....، يا ليتنا نعود مرة أخرى إلى كنيستنا القديمة؛ فإننا نعجز عن العثور هنا على شيء نظيرها!»

كان هذا هو حال القراء الأصليين لرسالة العبرانيين. ففي الماضي، كانوا يستطيعون أن يروا، ويلمسوا، بل وأن يشمُّوا خدمات العبادة — والصحبة الرائعة من الشعب، والموسيقى، وسائر الجوانب المجيدة الأخرى لعبادة العهد القديم التي أعطاها الله. والآن قد مضى كل هذا.

لكن هل مضى كل هذا بالفعل — مقابل لا شيء؟

ماذا كان الحل؟ وكيف يمكن لكاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يكتب شيئاً يشجّعهم به في هذا الوضع؟ صاغ الكاتب ردّه كالتالي:

لا تترآجعوا. وإن كنتم تغوون بفعل هذا، فأنتم إذن كنتم فيما سبق تنظرون في الاتجاه الخاطئ. فقد كنتم ترون الأشياء من الزاوية الخاطئة! يُعوزكم بُعد النظر! لستم ترون الأمور بوضوح كافٍ! ألا ترون الشيء الذي يمثل أهمية حقيقية؟ ارفعوا عيونكم عن البنايات، وطقوس العبادة، والحشود، والموسيقى؛ وثبّتوها على يسوع!

استمع إلى بعض الأشياء التي قالها عن يسوع كي يشجّعهم:

(١) لهم رئيس كهنة عظيم:

فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٍ قَدْ أَجْتَازَ السَّمَاوَاتِ،  
يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ، فَلْتَنَمَّسْكَ بِالْإِقْرَارِ. لِأَنْ لَيْسَ  
لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْتِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ  
مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ. فَلْتَنَقِّدْ  
بِثَقَّةٍ إِلَى عَرْشِ النُّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ  
نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.<sup>١٣٠</sup>

(٢) لهم خلاص حقيقي:

وَأُولَئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ  
بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ  
يَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. فَمِنْ تَمَّ يَقْدُرُ  
أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّكَمُّلِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى  
اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.<sup>١٣١</sup>

(٣) لهم رئيس كهنة كامل:

لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ  
بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ أَنْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ  
أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ  
كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدَّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلًا  
عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لِأَنَّهُ  
فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ.<sup>١٣٢</sup>

<sup>١٣٠</sup> عبرانيين ٤: ١٤-١٦.

<sup>١٣١</sup> عبرانيين ٧: ٢٣-٢٥.

<sup>١٣٢</sup> عبرانيين ٧: ٢٦-٢٧.

(٤) لهم رئيس كهنة أفضل:

الَّذِينَ [رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ إِسْرَائِيلَ] يَخْدُمُونَ شِبْهَ  
السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا ... وَلَكِنَّهُ [الْمَسِيحُ] الْآنَ قَدْ  
حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ  
أَيْضًا الْعَهْدِ الْأَعْظَمِ، قَدْ تَثَبَّتْ عَلَى مَوَاعِيدِ أَفْضَلَ.<sup>١٣٣</sup>

(٥) لهم ذبيحة نهائية:

وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ  
لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ،  
غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيْ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ  
الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ ثِيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ  
نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ  
فِدَاءً أَبَدِيًّا.<sup>١٣٤</sup>

(٦) لهم موضع مقدس أفضل:

لِأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ ... بَلْ قَدْ  
أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلٍ صَهْيُونَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللَّهِ الْحَيِّ،  
أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مُحْفِلُونَ  
مَلَائِكَةً، وَكَنِيسَةً أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ،  
وَإِلَى اللَّهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكْمَلِينَ،  
وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ  
يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَايِيل.<sup>١٣٥</sup>

<sup>١٣٣</sup> عبرانيين ٨: ٥-٦.

<sup>١٣٤</sup> عبرانيين ٩: ١١-١٢.

<sup>١٣٥</sup> عبرانيين ١٢: ١٨-٢٤.

في حقيقة الأمر، كان الكاتب يقول:

ما سيجعلكم تمضون قُدماً في طريق إنجيل يسوع المسيح هو أن تتروا لمحة من عظمته، وتدركوا عظمته الشديدة كرئيس كهنة. لم تخسروا — بل قد ربحتم. ليس لديكم قدر أقل — بل أكبر. فقد فعل المسيح كل ما عجزت أجيالاً من رؤساء الكهنة عن فعله. لم يكن هؤلاء سوى ضلال — وكان هو الحقيقة!

### بُعدان:

رأينا أن خدمة يسوع كنبيّ كان لها بُعدٌ مكتمل بالفعل، وبُعدٌ لم يكتمل بعد. كلا هذين البُعدين موجودان في كلّ وظيفة من وظائف يسوع — في الوظيفة النبوية، والكهنوتية، والملوكية.

### هناك عمل مكتمل للمسيح.

All his work is ended,

قد أُكْمِلَ كُلُّ الْعَمَلِ،

Joyfully we sing.

ونحن ننشد فرحين.

Jesus has ascended,

قد صعد يسوع،

Glory to our King.<sup>136</sup>

لملكنا المجدّ.

صرخ يسوع: «قَدْ أُكْمِلَ». <sup>١٣٧</sup> ففي موته وقيامته، فعل كلّ ما يلزم كي يتِمَّ خلاصنا.

<sup>136</sup> Frances Ridley Havergal, "Golden Harps Are Sounding," 1871.

<sup>١٣٧</sup> يوحنا ١٩: ٣٠.



لكنه بعد ذلك يطبّق هذا الخلاص.

ومن ثَمَّ، هناك أيضًا عملٌ للمسيح لم يكتمل بعد. لدى يسوع خدمة حالية مستمرة. فهو كنبِيّ لا يزال يتكلم إلى الإنسان برسالة من عند الله.<sup>١٣٨</sup> يجمع الأصحاح الثاني من رسالة العبرانيين هذين البعدين معًا على نحو لافت للنظر. يصف هذا النص عمل المسيح المكتمل كالتالي:

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ  
أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ  
سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ، وَيُعْتَقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
-خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ  
الْعُبُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمَسِّكُ الْمَلَائِكَةَ، بَلْ  
يُمَسِّكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ  
إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَبِّيسَ كَهَنَةٍ  
أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ.<sup>١٣٩</sup>

لاحظ هنا جانبي عمل المسيح:<sup>١٤٠</sup>

(١) هو يعتقنا من عبوديتنا لإبليس:

«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ

<sup>١٣٨</sup> وكما سنرى لاحقًا، هو لا يزال كملكٍ يثبَّت ملكوته، ويملِك على الإنسان نيابة عن الله.

<sup>١٣٩</sup> عبرانيين ٢: ١٤-١٧؛ يوحنا ١٩: ٣٠.

<sup>١٤٠</sup> انظر أيضًا إشعياء ٤١: ٨-٩؛ لوقا ٢٢: ٢٨؛ يوحنا ١: ١٤؛ ١٦: ١١؛ رومية ٨: ١٥؛ ١٥:

١٧؛ ١ كورنثوس ١٥: ٥٤-٥٦؛ فيلبي ٢: ٧؛ كولوسي ٢: ١٥؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٠؛ عبرانيين

٢: ١٨-١٤؛ ٤: ١٥-١٦؛ ٥: ١-٢؛ ٧-٨؛ ٩: ١ يوحنا ٣: ٨.

هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ  
الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ  
أُولَئِكَ الَّذِينَ -خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا  
كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.<sup>١٤١</sup>

(٢) ويعتقنا من غضب الله:

مَنْ تَمَّ كَأَن يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ،  
لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ  
حَتَّى يُكْفَرَ خَطَايَا الشَّعْبِ.<sup>١٤٢</sup>

يصنع المسيح كلا هذين الأمرين من خلال خدمته  
ككاهن. فإن ذبيحة نفسه التي قدّمها كذبيحة خطية  
تتولّى أمر ذنبنا، وتسترضي غضب الله، ومن تَمَّ تطلق  
سراحنا من قبضة إبليس. وإذ ذاق المسيح الموت لأجلنا،<sup>١٤٣</sup>  
لم يعد الموت إذن للمؤمنين هو أجرة الخطية، بل قد صار  
مدخلًا إلى الحياة الأبدية. فقد أبيد النفوذ والسطوة التي  
استخدمها إبليس كي يملأنا بالخوف. وأخيرًا صرنا أحرارًا.

تقابل رسالة العبرانيين بين العمل المكتمل للمسيح،  
وعمل كهنة العهد القديم الذي لم تكن له نهاية، إذ كانوا  
يقدمون الذبائح الحيوانية كلّ يوم. لكن هذه الذبائح لا  
تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيئَةَ لَأَنَّهَا:

<sup>١٤١</sup> عبرانيين ٢: ١٤-١٥.

<sup>١٤٢</sup> عبرانيين ٢: ١٧.

<sup>١٤٣</sup> عبرانيين ٢: ٩.

- كانت تقدّم كلَّ يوم. وبهذا، يبدو بديهيًّا أنها لم تستطع أن تنزع الذنب بصورة تامة ونهائية.
- كانت ذبائح غير كافية، بل وغير ملائمة، لرفع خطية الإنسان. فكيف لحيوان أن يصير بديلًا عن خطايا رجل أو امرأة؟<sup>١٤٤</sup>

لكن، قدم يسوع نفسه ذبيحة — إنسانٌ عوضًا عن البشر. وقد قبل الله ذبيحته التامة، والكاملة، والملائمة؛ ولهذا السبب أقامه من الأموات؛ وهو الآن جالس عن يمين الله. فهو لا يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَارًا كَثِيرَةً ذبيحته مثل الكهنة في الماضي. فهو لا يحتاج إلى هذا! فإذا هو رئيس الكهنة والقربان في آن واحد، أكمل وأنهى عمله الكفاري. ففي المسيح، غُفرت خطايانا نهائيًّا وبالكامل!<sup>١٤٥</sup>

## يوم الكفارة:

يقدم لنا العهد القديم صورة لافتة للنظر عن هذا، في اليوم السنوي للكفارة.<sup>١٤٦</sup> في ذلك اليوم، كان رئيس الكهنة يأخذ تَيْسَيْنِ مِنَ الْمَعْزِ. كان أحدهما يُذَبِّح، ويقرب دمه كذبيحة. ثم كان رئيس الكهنة يقرأ على رأس التيس الآخر بذنوب الشعب، ثم يُرْسَل التيس إلى خارج إلى البرية بيد رجلٍ كان يقف مستعدًّا لفعل هذا. كان «تيس عزازيل» هذا [أو «كبش الفداء» scapegoat بحسب الترجمة الإنجليزية]

<sup>١٤٤</sup> عبرانيين ١٠: ٤.

<sup>١٤٥</sup> عبرانيين ٩: ١٢.

<sup>١٤٦</sup> لاويين ١٦: ١-٣٤.

يحمل إلى البرية الذنوب التي تم الإقرار بها على رأسه. وكان يطلق إلى أرض مقفرة، حاملاً خطايا الشعب وذنوبه. هذه صورة توضيحية نابضة بالحياة تبين لنا جانبي العمل الكفاري الذي عمله يسوع على الصليب.

فقد سفك يسوع دم نفسه، فكان هو رئيس الكهنة الذي قدّم نفسه على الصليب ذبيحة تامة عن خطايانا. لكنه على الصليب، أخذ أيضاً، بقوة الروح، إلى الأرض المقفرة الواقعة بين السماء والأرض. وفي تلك البرية الموحشة التي حمل فيها خطايانا، قاسى شعوراً لا يوصف بالاغتراب عن الله. فقد رُفض من البشر، وذاق الموت كأجرة لخطايانا، وكلعنة من الله.

فقد دخل يسوع محضر الله وكأنه هو الخاطئ الوحيد في العالم، ووقع عليه غضب الله. وإذا دخل إلى جب الوحشة والعزلة المظلم الذي لا يوصف، صرخ: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» فهناك، في الظلام، صار هو الذبيحة وتيس عزازيل الذي حمل خطايانا في آن واحد. فإن دمه، الذي سَفِكَ لأجلنا، يعتق الضمائر المذنبة، ويجلب لنا سلاماً مع الله.

His blood can make the  
foulest clean

يستطيع دمه أن يجعل  
أقذرهم طاهراً

His blood availed for me.<sup>147</sup>

فإن دمه كان نافعاً لي.

<sup>147</sup> Charles Wesley, "And Can It Be That I Should Gain?," 1738.

## لم يَعدْ هناك ما يخيف:

ليت كلُّ طبيب أو معالج نفسي أو مشير في هذه الدولة يدرك أن الخطيئة، والذنب، وغضب الله، وبالتالي الخوف من الموت هو مصدر كافة المخاوف الأخرى، وهو الذي يكمن وراء جميع أنواع الأمراض العصبية. وإن لم يُقَضَى على هذا الخوف الأساسي، ستظل المخاوف الأخرى حتمًا باقية. ولماذا؟ لأنه فقط حين نُعتَق من الخوف الأكبر — أي الخوف من الموت والدينونة — تصير سائر المخاوف الأخرى تافهة. ويمكن تبديدها فقط بمعرفة أنه لم يعد هناك داعٍ للخوف من الموت لأن مخلصنا قد حمل ذنب خطيتنا.

لدينا صديق في إسكتلاندا، وهو أستاذ بارز في علم الرياضيات. ومنذ بضعة سنوات، ماتت واحدة من بناته فجأة، وكانت فتاة مؤمنة تدرس في السنة الأولى في الجامعة. وستظل لحظة معيَّنة من أحداث يوم الجنازة محفورة في ذاكرتنا إلى الأبد. فقد ساندت نعمة الله صديقنا هذا وساعدته على اجتياز ذلك اليوم. وكانت هذه هي كلماته الهادئة حين كنا نسلم عليه: «الآن نعلم أنه لم يَعدْ هناك ما يخيفنا».

حقًا — لم يَعدْ هناك ما يخيفنا.

هذا صحيحٌ فقط لأن يسوع قد تولى أمر أكبر مشكلاتنا.

لا تكمن المشكلة فقط في خوفنا. بل إن مشكلتنا الأكبر هو الله نفسه، لأننا بالطبيعة واقعون تحت غضبه — عن استحقاق. وإن كنا غير قادرين على تولي أمر خطيتنا وذنوبنا، فإننا قطعاً غير قادرين على تولي أمر غضب الله. لكن قد دخل الرب يسوع، رئيس كهنتنا، إلى الأقداس، التي هي محضر الإله القدوس، بالتحديد كي يقح عليه ذلك الغضب؛ وهناك قاسى الدينونة الرهيبة مطلقة العنان.

لهذا السبب، حين أظهر يسوع القائم من الأموات نفسه لتلاميذه، كانت كلمته الأولى لهم هي: «شالوم! سلام! أخيراً صار ممكناً الآن أن تتمتعوا بسلام مع الله».<sup>١٤٨</sup>

هذا هو العمل المُكتمل للمسيح ككاهن.

غالبية المؤمنين على دراية جيدة بالعمل المُكتمل للمسيح، لكنهم لا يدرون الكثير عن عمله الذي لم يُكتمل بعد. لكن يساعدنا كاتب رسالة العبرانيين على أن نفهم أنه مع أن يسوع «جالسٌ عن يمين الله»، بعد أن أكمل عمله الكفاري، لكنه لا يزال يفعل شيئاً. فهو الآن يقوم بعمله الذي لم يُكتمل بعد.

### العمل الذي لم يُكتمل بعد:

إن أمضيتَ بعض الوقت معنا، ستعرف على الأرجح أن معلمي مدارس الأحد في كنيستنا قد علمونا كافة أنواع

التراويل التي نادرًا ما نسمعها اليوم. أحد التراويل التي كان الفصل دائمًا ما يبدأ بها هي:

يا يسوع، قف في وسطنا Jesus, stand among us

بقوة قيامتك. In Thy risen power.

ولیکن وقت العبادة هذا Let this time of worship

ساعة مقدسة. Be a hallowed hour.<sup>149</sup>

ما المقصود بهذه العبارة: «يا يسوع، قف في وسطنا»؟

إن كنتَ غير مؤمنٍ، فربما لن تدري شيئًا عن المقصود بهذا، وسيكون الأمر بالنسبة لك لغزًا تامًا. ربما يكون هذا أحد أسباب شعورك، إن حضرت خدمة عبادة، بأن الكتاب المقدس عبارة عن طلاس، وبأن التراويل ببساطة غريبة على مسامعك، وبأن العظات باعثة على الملل. فإنك لم تختبر قط حضور يسوع ووقوفه في وسط شعبه، جاعلاً الكتاب المقدس كتابًا حيًا، والتراويل مفهومة، والعظات مغيرة للحياة. بدأ شابٌ في حضور الخدمات في أحد الكنائس التي كان أحد أصدقائنا راعيًّا لها. وبعد مرور بعض الوقت، آمن هذا الشاب إيمانًا حيًّا بالمسيح، وطلب الانضمام كعضو إلى الكنيسة. وحين أجرى شيوخ الكنيسة مقابلة شخصية معه، أخبرهم كيف تغيرت كنيستهم تغييرًا جذريًّا منذ أن بدأ في الحضور. فقد صارت الموسيقى أفضل كثيرًا، وصارت

<sup>149</sup> William Pennefather, "Jesus Stand among Us," 1855.

نغمات التراتيل التي يتم اختيارها أكثر سلاسة من ذي قبل؛ ثم أضاف، موجهًا حديثه إلى الراعي: «أما بخصوص العظات — حسنًا، لا أعلم ماذا حدث، لكنها الآن صارت أكثر ارتباطًا بنا، وصارت مفهومة بدرجة أكبر بكثير! فقد أجريت بالحقيقة تحسينات كثيرة عليها!»

كان الشيوخ رجالًا حكماء وناضجين، وربما كانوا يتسمون في داخلهم. فقد كان يعلمون أين وقع التغيير الفعلي — فقد وقع داخل الشاب نفسه. فقد صار هذا الشاب مؤمنًا، والآن بدأ يختبر الفارق الذي تحدثه معرفة يسوع الحاضر في وسط شعبه.

يعلّمنا كاتب رسالة العبرانيين بأن هذا عنصرٌ أساسي في خدمة يسوع الكهنوتية المستمرة. فهو يقف في وسط شعبه حين يجتمعون، ويكون حاضرًا في عبادتهم.

يصف عبرانيين ٨: ٢ يسوع بأنه «خَادِمًا لِلْأَقْدَاسِ» (*leitourgos*). فهو رئيس الكهنة الذي يخدم في الأقداس. ربما تستطيع أن ترصد في هذه الكلمة اليونانية كلمة «ليتورجية» [*liturgy*] أو «*liturgist*». تشير الكلمة اليونانية إلى الشخص الذي يقود خدمة العبادة. هذه هي خدمة يسوع المستمرة — فهو يقود عبادة شعبه.

## قائد العبادة:

يقود يسوع كل خدمة عبادة تذهب إليها! فهو «قائد العبادة».



ربما تكون قائد التسبيح والعزف في أحد الكنائس، أو ربما تكون العازف أو المرنم في فريق التسبيح التابع لها، بل وربما تكون راعي هذه الكنيسة. لكن الشيء الوحيد الذي لا ينطبق عليك هو أنك لست قائد العبادة. فإن يسوع هو قائد العبادة.

في نص سابق من رسالة العبرانيين، قدّم لنا الكاتب بعض التلميحات الهامة عما تنطوي عليه خدمة يسوع هذه:

لأنَّهُ لَاقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ،  
وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ  
خَلَاصِهِمْ بِالْأَلَامِ. لِأَنَّ الْمُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ  
مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوهُمْ  
إِخْوَةً، قَائِلًا:

«أُخَبِّرُ بِأَسْمِكَ إِخْوَتِي،  
وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ».  
وَأَيْضًا:

«أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ».  
وَأَيْضًا:

«هَا أَنَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ».<sup>١٥٠</sup>

لاحظ هنا كيف وُضعت كلمات مزمو ٢٢: ٢٢ على  
فم يسوع. قطعًا هذا يشكّل أهمية. فقد كان المزمور

<sup>١٥٠</sup> عبرانيين ٢: ١٠-١٣.

الثاني والعشرون هو المزمور الذي لجأ إليه يسوع في الساعات الأخيرة من صلبه.<sup>١٥١</sup> يبدأ هذا المزمور بظلمة وكآبة غامرة: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»<sup>١٥٢</sup> لكنه يختتم بكلمات النصر، طبّقها رسالة العبرانيين على قيامة يسوع من الأموات، وصعوده، وخدمته المستمرة — ولا سيما على جوانب من خدمته المستمرة كثيراً ما نتجاهلها:

أُخْبِرْ بِأَسْمِكَ إِخْوَتِي.  
 فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ أَسْبِّحُكَ.  
 يَا خَائِفِي الرَّبِّ سَبِّحُوهُ!  
 مَجِّدُوهُ يَا مَعَشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ،  
 وَأَخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا!  
 لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذَلْ  
 مَسْكَنَةَ الْمِسْكِينِ،  
 وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ،  
 بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ أَسْتَمَعَ.  
 مِنْ قِبَلِكَ تَسْبِيحِي فِي الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ.  
 أُوْفِي بِنُذُورِي قُدَّامَ خَائِفِيهِ.  
 يَأْكُلُ الْوُدَعَاءُ وَيَشْبَعُونَ.  
 يُسَبِّحُ الرَّبَّ طَالِبُوهُ.  
 تَحْيَا قُلُوبُكُمْ إِلَى الْأَبَدِ.

<sup>١٥١</sup> متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٤: ٣٤.

<sup>١٥٢</sup> مزمور ٢٢: ١.

تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي الْأَرْضِ.  
وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ الْأُمَمِ.  
لِأَنَّ لِلرَّبِّ الْمُلْكَ،  
وَهُوَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى الْأُمَمِ.<sup>١٥٣</sup>

### يسوع، الكارز بالكلمة:

إن يسوع هو قائد العبادة، أولاً لأنه يأتي بروحه كي يقدم كلمته. فهو يقول: «أَخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي».

وكيف يفعل هذا؟ يحدث هذا في شرح كلمة الله، وفي الكرازة بها. فهو يفي بوعد القائل: «[خرافي] تَسْمَعُ صَوْتِي».<sup>١٥٤</sup> قطعاً يشير يسوع بهذا في المقام الأول إلى معاصريه، لكنه أيضاً كان يعني أكثر من هذا بكثير. فقد كانت لديه «خراف» أخر لم تسمع صوته حرفياً قط.<sup>١٥٥</sup> هؤلاء أيضاً سيسمعون صوته — وسيعرفون هذا الصوت. هل تتذكر حين اعتاد والداك إيقاظك في الصباح؟ فقد كانا يدعوانك باسمك قائلين: «يا فلان، حان الوقت لتستيقظ».

فقد كانا يناديانك قبل حتى أن تستفيق. في البداية، كان الصوت فقط هو الذي نبهك من نومك. لكنك بعد هذا أدركت أنك تُدعى بالاسم، ثم بعد ذلك عرفت الصوت، فاستيقظت — في غالبية الأحيان على الأقل!

<sup>١٥٣</sup> مزمور ٢٢: ٢٢-٢٨.

<sup>١٥٤</sup> يوحنا ١٠: ١٦.

<sup>١٥٥</sup> يوحنا ١٠: ١٦.

يحدث شيءٌ مشابهٌ لهذا حين يقدّم شرح لكلمة الله بقوة الروح القدس. يدعونا يسوع، ويوقظنا صوته روحيًا. وشيئًا فشيئًا، نبدأ في إدراك أنه كان يعمل في حياتنا، وأنه يدعونا كي نأتي إليه. يعرّ شيء ما صفو سباتنا الروحي؛ فإننا «نُدعى» بالاسم، ونعرف صوت المسيح.

I heard the voice of Jesus say, سمعت صوت يسوع يقول:

“Come unto me and rest; «تعال إلي واسترح؛

Lay down, thou weary one, أيها المنهك،  
lay down أتكئ

Thy head upon my breast.” رأسك على صدري.»

I came to Jesus as I was, جئتُ إلى يسوع كما أنا،

Weary and worn and sad; منهك، ورث، وحزين؛

I found in him a resting فوجدتُ فيه موضع  
place, راحة،

And he has made me glad.<sup>156</sup> وصيرني فرحًا.

هذا هو ما يحدث حين يُكرز بالكلمة بقوة المسيح. فإن المسيح يخاطب بنفسه أذهاننا، ويتكلّم إلى قلوبنا، ويجتذب عواطفنا، ويقتادنا إلى الإيمان والتوبة.

يبدو أن هذا هو ما كان بولس يفكر فيه حين كتب لأهل أفسس هذه الكلمات: «فَجَاءَ [المسيح] وَبَشَّرَكُمْ

<sup>156</sup> Horatius Bonar, “I Heard the Voice of Jesus Say,” 1846.

بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ».<sup>١٥٧</sup> نَعْلَمُ جَيِّدًا مِنْ  
النص أن هذا التبشير قد حدث بعد إكمال يسوع لعمله  
الكفاري. فكيف إذن جاء يسوع وبشر بسلام في أفسس؟  
هل زار أفسس من قبل؟ نعم، زارها من ناحية ما. فقد  
جاء وبشر من خلال كرازة بولس ورفقائه!

نجد هذه الفكرة نفسها في الأصحاح العاشر من رسالة  
رومية: «وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟» [بِمَنْ لَمْ  
يسمعه]»<sup>١٥٨</sup> هذا هو الحق بكل بساطة. فإننا في حاجة  
إلى أن نسمع المسيح إن أردنا أن نعرف صوته، ونؤمن به.

## الاستماع إلى المسيح:

صار ويليام ويلبرفورس (William Wilberforce)، السياسي  
البريطاني المسيحي العظيم، والمصلح الاجتماعي، مسيحيًا  
مؤمنًا عن عمر يناهز الخامسة والعشرين. كما صار واحدًا  
من أقرب أصدقائه، وهو ويليام بيت الأصغر (William  
Pitt the Younger)، رئيس وزراء بريطانيا العظمى عن عمر

<sup>١٥٧</sup> أفسس ٢: ١٧.

<sup>١٥٨</sup> رومية ١٠: ١٤. بحسب ترجمة New American Standard Version الإنجليزية،  
والحاشية السفلية لترجمة ESV الإنجليزية، وآراء بعض المفسرين، نرى أن الترجمة  
الصحيحة لهذا العدد ليست «وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟» بل «وكيف  
يؤمنون بمن لم يسمعه؟». ففي حين أن السمع بالمسيح حق كتابي، لكنه حق  
بديهي، وربما لم يكن هو بالتحديد الحق الذي كان بولس يقصده هنا. فإن الفعل  
الذي استخدمه «يسمعوا» ((akouo يضع الشخص الذي يُسَمَعُ في صيغة المفعول  
به، وليس — كما في الترجمة العربية — في صيغة الجار والمجرور. ولهذا، فإننا  
نترجم هذه العبارة «يسمعه» وليس «يسمعوا به».

يناهز الرابعة والعشرين.<sup>١٥٩</sup>

كان «بيت» يكن محبة شديدة لصديقه، لكنه لم يستطع قط استيعاب ما حدث له. وفي إحدى المرات، دعاه ويلبرفورس إلى الكنيسة كي يستمع إلى واعظ مفضل لديه. وفي ختام العظة، كان ويلبرفورس مفتونًا بما قيل، بينما التفت إليه صديقه بيت — الذي كان رجلًا مفكرًا — وقال: «ويلبرفورس — ما الذي كان هذا الرجل يقوله؟» فلقد جلسا في المقعد نفسه، واستمعا إلى الواعظ نفسه، وإلى العظة نفسها. لكن لم يسمع ويليام بيت صوت يسوع يدعوه.

أخبرنا رجلٌ ذات مرة بأن ابنه كان بعيدًا عن الرب. وفي إحدى الليالي، وصل ابنه هذا إلى المنزل، و«صادف» أنه استمع إلى تسجيل لعظة كنا قد ألقيناها. ظل هذا الشاب يستمع إلى هذه العظة يوميًا لمدة شهر. وفي آخر يوم في الشهر، آمن إيمانًا حيًا بالمسيح. ماذا حدث؟ لم يدرك هذا الشاب على الأرجح ما كان يحدث له؛ فقد كان المسيح يدعوه، لكن كان إدراكه لهذا بطيئًا. فقد سمع الصوت البشري ذاته مرارًا وتكرارًا، لكنه أخيرًا سمع صوت المسيح، واستجاب.

لا يقتصر هذا على بدايات حياتنا المسيحية فحسب، بل هذا واقعٌ مستمرٌّ موجود في العبادة. بل في حقيقة الأمر،

<sup>١٥٩</sup> ومن هنا جاءت الأغنية التي تقول: «هذا منظر يدهش جميع الأمم: مملكة أودعت في رعاية طفل».

لو لم يكن هذا واقعًا مستمرًا، لنشأ لدينا نحن أنفسنا ميلٌ إلى التخلي عن ممارسة الوعظ. فدون هذا البُعد، كنا سنتطلع إلى مستمعينا كلَّ أسبوعٍ، وهم ممتلئون بكثير جدًّا من الاحتياجات المختلفة، فيصينا هذا ببساطة باليأس. فإن عظائنا عاجزة عن تسديد جميع هذه الاحتياجات، وليست لدينا القدرة على تناولها جميعًا في عظة واحدة. لكن حين يأتي المسيح إلى الكنيسة ويبشِّر بكلمته؛ وحين يكون مَنْ يتكلَّم إلينا قادرًا «أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّامِّمِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ» — فحينئذ يمكن أن تسدَّ جميع الاحتياجات بواسطته!

لن تؤمن بيسوع المسيح إلا حين تسمعه. وما لم يحدث هذا، سيظل بالنسبة لك مجرد شخصية في كتاب. لكن حين يحدث هذا، ستعي أنك سمعت صوتًا مختلفًا تمامًا. ولهذا يسمع الوعاظ عند باب الكنيسة عبارات من قبيل: «هل تحدَّث إليك أحدهم عني؟» ودائمًا ما يكون الجواب: «لا، لكن ربما كان شخص آخر هو مَنْ يتحدث إليك عنك!»

حين يوضح المسيح كلمته، أو يتكلَّم من خلالها، يفتح حوارًا مع النفس. فهو يتداخل معنا على أعمق المستويات، فنحنني أمامه قائلين: «يا رب، يا يسوع، قد أعطيتنا بالفعل كلمتك».

في بعض الكنائس ينقسم وقت الخدمة ما بين «العبادة»، و«الوعظ» أو «التعليم». لكن لا وجود فعلي لمثل هذا التقسيم. فحين يبشرنا المسيح بكلمته، نعلم أننا قد دخلنا في شركة معه؛ والنتيجة الفورية لهذا هي العبادة، التي نقدّمها له في أثناء العظة كما قبلها وبعدها.

### قائد التسبيح:

أيضًا كقائد للعبادة، يقودنا يسوع في التزيم. لاحظ الكلمات التي تقتبسها رسالة العبرانيين مرة أخرى من مزمور ٢٢: ٢٢ «فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ أَسْبُحُكَ».<sup>١٦٠</sup>

في أحد كنائسنا، تقام وجبة غداء يوم الأربعاء، يليها شرح لكلمة الله. وإننا نشاق بشدة إلى هذا الوقت، لأنه يتيح لنا امتيازًا وفرصة للتعليم الذي يساعد المؤمنين، ويوجّه الذين من خارج إلى المسيح.

في أحد أعياد الميلاد، في واحدة من كنائسنا، قرر رعاية الكنيسة (بموافقة الأغلبية!) أن يكون جزءٌ من «هدية عيد الميلاد» للكنيسة أن يقدموا معًا فترة تسبيح كفريق أمام مَنْ حضروا إلى الكنيسة في أسبوع عيد الميلاد. كانت هناك مشاعر مختلطة بين رعاية الكنيسة! وحين اقترب هذا اليوم، صارت المشاعر أكثر اختلاطًا. لكن قبل حلول هذا اليوم مباشرة، قمنا بالتنسيق مع قائد فريق التسبيح لدينا كي يدربنا. وفي هذه اللحظة، ابتسم أكثر الرعاة ترددًا،

<sup>١٦٠</sup> عبرانيين ٢: ١٢.



والتقط أنفاسه، ثم قال: «هل تقصدون أنه سيرنم معنا؟» غَيَّرَ هذا من كل شيء! لم يعد لديهم الآن خوف من أن يُمَسَّكوا بفعلة الخروج عن النعمة أو الطبقة الصحيحة! الآن صار بإمكاننا الوقوف ببعض الثقة والفرح كي نرنم. فإن صوته سيستر جميع أخطائنا.<sup>١٦١</sup>

في العبادة الحقيقية، يكون يسوع حاضرًا، وهو مَنْ يقود التسبيح! فإننا نرنم مع ذاك الذي يقول: «فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ». فإننا نعبُد في اتحاد بالمسيح — ونسبح أيضًا في اتحاد به!

يلقي هذا بضوء جديد على العبادة. فَمَنْ قد لا يرغب في الاشتراك مع يسوع في التسبيح؟ فهو يجعل تسبيحنا ملِذًا لأبيه، ويستر تسبيحه جميع نقائص تسبيحنا.

نحتاج أن نتعرَّف من جديد على خدمة الرب هذه؛ وسيشجعنا هذا على أن نسبِّح من كل القلب. فإن يسوع يقف في وسط شعبه قائلاً: «يا أبي، ها أنا في وسط الجماعة، أقود تسييحات شعبك. استمع إليهم وهم ينشدون معي. ألا تحب الاستماع إليهم؟»

فكَّر في هذا كلما بدأت خدمة العبادة في كنيستك.

تبادر إلى ذهني هنا ذكري حفل تخرج.

<sup>١٦١</sup> فإن ذكرنا معلومة أن هذا القائد للعزف والترنيم أدى، من بين أدواره الأخرى، دور ترنيم «صوت الله» في ترتيلة Noah's Flyde للكاتب Benjamin Britten، وترتيلة Jonah and the Whale، للكاتب Dominick Argento، كما أنه ساعد في دعم صوت المرنم، سيتضح سبب الشعور بالراحة!

درس أحد أبنائنا في جامعة كانت لا تزال تستخدم اللغة اللاتينية فقط طوال حفل التخرج. في أثناء الحفل، تقدّم مسؤولو الجامعة واحدًا فواحدًا الطلبة الذين كانوا على وشك التخرُّج (وهم لابسون ثوب ما قبل التخرج) كي يمثّلوا أمام رئيس الجامعة. بعد هذا، أمسك رئيس الجامعة بيد واحدٍ من الطلبة كممثّل عن الآخرين، وقدّم جميع الطلبة للتخرج، قائلاً: «ها أنا وأبناء جامعتي، الذين أقدمهم لكم بيقينٍ في تخرُّجهم». ثم كان الطلبة يُخرجون إلى الخارج، وهم ما زالوا يرتدون ثوب ما قبل التخرج، ثم يدخلون مرة أخرى مرتدين ثوب التخرج من الجامعة.

أليست هذه صورة للخدمة المستمرة التي يقوم بها الرب يسوع؟ فحين نجتمع للعبادة، يأتي بروحه كي يقود العبادة، كخادم للأقداس؛ ويمسك بيدنا، مقتادًا إيانا إلى محضر أبيه. فإننا لسنا سوى طلبة لم يتخرّجوا بعد من مدرسته، لكنه يقدّمنا إلى أبيه، قائلاً: «يا أبي، ها أنا والأولاد الذين أعطيتني! فإنني أقدمهم إليك بيقين في أنك ستقبل عبادتهم وتباركهم!»

يوماً ما سيققادنا يسوع إلى داخل محضر الأب. وفي ذلك اليوم، سنرتدي ثياب التخرج، ثياب المجد! لكننا في أيام الآحاد، وفي كل فرصة عبادة أخرى، نستمتع بالفعل بعربون هذا.

ولهذا، يعقد كاتب الرسالة إلى العبرانيين لاحقاً مقارنة صاعقة بين عبادة العهد القديم، التي كان الاجتماع في

سيناء نموذجًا أوليًا لها، وعبادة العهد الجديد:

لَأَنْتُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍّ بِالنَّارِ، وَإِلَى  
ضَبَابٍ وَظَلَامٍ وَزُوبَعَةٍ، وَهَتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ،  
أَسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تَزَادَ لَهُمْ كَلِمَةً،  
لَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَمِلُوا مَا أُمِرَ بِهِ: «وَإِنْ مَسَّتِ الْجَبَلَ  
بَهِيمَةٌ، تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ». وَكَانَ الْمَنْظَرُ هَكَذَا  
مُخِيفًا حَتَّى قَالَ مُوسَى: «أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ». بَلْ  
قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلٍ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللَّهِ الْحَيِّ،  
أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَخْفِلٌ مَلَائِكَةٍ،  
وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللَّهِ  
دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ  
العَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ  
مِنْ هَابِيلَ.<sup>١٦٢</sup>

هذا هو ما يحدث حين نذهب إلى الكنيسة! وصف  
يسوع القائم من الأموات هذا على نحو رائع حين قال  
لكنيسة لاودكية:

هَآنَذَا وَقِفْ عَلَى أَلْبَابٍ وَأَقْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي  
وَفَتَحَ أَلْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَاتَّعَشَى مَعَهُ وَهُوَ مَعِيَ.<sup>١٦٣</sup>

مع أن هذه الكلمات كثيرًا ما كانت تُفهم على أنها  
نصٌّ تبشيريٌّ، لكن كان يسوع في حقيقة الأمر يخاطب

<sup>١٦٢</sup> عبرانيين ١٢: ١٨-٢٤.

<sup>١٦٣</sup> رؤيا ٣: ٢٠.

كنيسة اجتمعت للعبادة. فقد كان يتحدث عن مجيئه إلى كنيستهم، بل وربما عن حضوره إلى خدمة العشاء الرباني.

حين يأتينا الرب على هذا النحو، نوَسِّر بحضوره، فنسبِّحه. فحين تقدِّم لنا كلمته، نصح على وعيٍّ بمجده، ونبدأ في إدراك أنه ليس الواعظ بالكلمة والقائد لتسيحاتنا فحسب، لكنه أيضًا، وفوق كل هذا، راعي نفوسنا. فإذا قد تألم في جسدنا ودمنا، وجُرِّبَ فغلب، نستطيع أن نعلم أنه كاهن يتفهَّم ضعفنا. ولأنه معنا، نستطيع الذهاب إليه. فإننا نعلم أنه قادر أن يخلِّص إلى التمام جميع — وكلَّ من — يتقدِّم به إلى الله. كما أننا نعلم أنه يرغب في هذا، لأنه يدعونا أبناءه: «هَآ أَنَا وَالْأَوَّلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ».<sup>١٦٤</sup>

ما هو الألم الذي تعاني منه؟ وكيف مُتَحَن؟ ربما تشعر بأن لا أحد يدرك ما تمر به، ولا أحد يستطيع أن يفهمك، ولا أحد وقف يومًا في مكانك. ربما أنت شاب يشعر بأن والديه وإخوته وأخواته لا يفهمونه، ولهذا تقول: «لن يفهمني يسوع البتة. فإن والديَّ، وإخوتي، وأخواتي — لا يفهمونني. لا أحد يفهمني! ولا أحد يكرث!»

لكن والديَّ يسوع لم يفهماه أيضًا، وكذلك إخوته وأخواته وأصدقائه — لم يفهمه أحد. ربما تقول: «إن الناس يقفون ضدي». أيضًا وقف الناس ضد يسوع. ربما تقول: «لا أحد يفهمني». هو أيضًا لم يفهمه أحد.

ربما يتفق شخصٌ يقرأ هذه الصفحات مع كل هذا — لكنه مع هذا يقول: «نعم، لكنَّ ألمي مختلف». ربما تعاني من ألم التعرض لإساءة جنسية، أو التحرش الجنسي، أو حتى الاغتصاب؛ ذلك الألم الذي يصعب نسيانه. لكن فُكِّر في خدمة يسوع الكهنوتية. فقد صار ذبيحة عن خطايانا، ولهذا ذاق أيضًا (نعم — أمكنه أن يذوق) البصاق، والدماء، والعرق؛ وأمكنه أن يشعر (نعم — أن يشعر) بالتمزقات التي ملأت ظهره، وبالإساءة الجسدية. فهو يدرك جيدًا شعور أن تتعرض للتحرش، وتجرّد من ملابسك، وتُضرب، وتُفَضَّح وتعرض للإذلال علانية. فهو قد صار «رَجُلٌ أَوْجَاعٌ وَمُخْتَبِرٌ الْحَزَنِ».<sup>١٦٥</sup>

ربما تقول لي: «نعم، ولكنه كان بلا خطية! وهذا شكّل فارقًا».

نعم، شكل هذا فارقًا. فقد زاد هذا من حدة وقسوة الخزي والإذلال الذي تعرّض له. ولهذا السبب هو قادر أن يعينك ويرعاك. فقد شعر بكل ذرة في كيانه بضعفك وخزيك، لكنه ظل أمينًا إلى التمام من نحو الله. ولهذا هو قادر أن يمسك بيدك، ويقدمك — بكل ما فيك من شعور بالخزي — إلى الآب السماوي.

هناك المزيد أيضًا الذي يتعلق بخدمة الرب المستمرة. فقد شابهنا يسوع في كل شيء؛<sup>١٦٦</sup> وهو قادر أن يرثي لضعفاتنا

<sup>١٦٥</sup> إشعياء ٥٣: ٣.

<sup>١٦٦</sup> عبرانيين ٢: ١٧-١٨.

لأنه مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا.<sup>١٦٧</sup> بل والأكثر من هذا أنه  
«حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ»، ومن ثَمَّ «يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ  
أَيْضًا إِلَى التَّامِّامِ».<sup>١٦٨</sup> يعني هذا أنه قادر أيضًا أن يخلصك  
من «أقصى شيء» في حياتك — مهما كان. فهو يمسك بأولاده  
بأحد يديه، ويتمسك بأبيه باليد الأخرى؛ وبينما يقترب  
إليه يقول: «يا أبي، ها أنا والأولاد الذين أعطيتني».

ازداد اليوم تقدير الكثير من المؤمنين المعاصرين لقيمة  
ترتيلة «أمام عرش الله في السماء» (Before the Throne of  
God Above)، التي تقول:

Before the throne of God  
above

أمام عرش الله  
في السماء

I have a strong and perfect  
plea.

لديَّ حُجَّةٌ متينة  
ومثالية.

A great high Priest whose  
Name is Love

رئيس كهنة عظيم، واسمه  
محبة

Who ever lives and pleads  
for me.

هو حي إلى الأبد  
ليشفع فيَّ.

My name is graven on His  
hands,

إن اسمي منقوش  
على كَفَّيه،

My name is written on His  
heart.

ومكتوب على  
قلبه.

<sup>١٦٧</sup> عبرانيين ٤: ١٥.

<sup>١٦٨</sup> عبرانيين ٧: ٢٥.

I know that while in Heaven  
He stands

أعلم أنه واقف  
في السماء

No tongue can bid me thence  
depart.

ولهذا لا يستطيع لسان أن  
يأمرني بالرحيل.<sup>١٦٩</sup>

لكن حقيقة العبادة بحسب الإنجيل تقول إن يسوع  
هذا نفسه حاضر أيضًا معنا، بقوة الروح القدس.

هل أتيت من قبل إلى يسوع، ووضعت ثقتك فيه،  
وقلت له: «هوذا خطايي، أيها الرب يسوع! أنت الوحيد  
القادر أن يعتق ضميري المذنب، وينهي عبودية نفسي،  
ويقتادني إلى محضرك، ويساعدني كي أسبح الله، وأمجده،  
وأستمتع به إلى الأبد»؟

سيفعل يسوع كل هذا في آن واحد. يا له من مخلص!

<sup>١٦٩</sup> من قبيل المفارقة أن هذه الترتيلة قد رُثِّلت على نطاق واسع جدًا في هذه  
الأيام، بفم فيكي كوك (Vicki Cook) حتى أنه لم يعد هناك تقدير لكون الترتيلة  
نفسها «كلاسيكية»، إذ كُتبت في منتصف القرن التاسع عشر، بيد شاريتي لي  
بانكروفت (Charitie Lee Bancroft).

## الفصل الرابع يسوع المسيح، الملك الغالب



«وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبَشَارَةِ  
مَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَأَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ،  
فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ» (مرقس ١: ١٤-١٥). بهذا الإعلان  
بدأت خدمة يسوع.

تكلم يسوع عن ملكوت الله كثيرًا — فقد كان  
هذا الموضوع مركزيًا في رسالته. فقد كرر، وأظهر  
أيضًا، أن ملكوت الله قد اقتحم العالم بمجيئه. فمن  
خلال كرازته، علّم تلاميذه كيف يمكن أن يدخلوا هذا  
الملكوت، وغط الحياة الذي لا بد أن ينتج عن هذا.  
ومن خلال معجزاته، قدّم إثباتًا منظوريًا وماديًا للقوة  
المصلحة والمغيّرة لهذا الملكوت.



ثم قبل صلب يسوع بحوالي أسبوع، فعل شيئاً أظهر بوضوح أنه هو نفسه الملك في ملكوت الله هذا. وإليك وصف يوحنا لهذا الحدث:

وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْغَدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أَوْصْنَا! مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!». وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:

«لَا تَخَافِي يَا ابْنَةُ صِهْيُونَ.

هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي

جَالِسًا عَلَى جَحْشٍ أَتَانِ».

وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَمْ يَفْهَمَهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ. وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ. لِهَذَا أَيْضًا لَاقَاهُ الْجَمْعُ، لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هَذِهِ الْآيَةَ. فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لَا تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!<sup>١٧٠</sup>

تلك الخطوط التي نراها في الصورة التي يرسمها الكتاب المقدس عن يسوع — أي نسل المرأة، والنبي، والكاهن —

<sup>١٧٠</sup> يوحنا ١٢: ١٢-١٩.

ليست فقط ممتدة من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا، لكنها أيضًا، بشكلٍ ما، تتقاطع معًا.

ربما يمكننا تخيُّل هذه المفاهيم المختلفة في صورة مخطط «فين»، تلك الدوائر المتقاطعة معًا التي تعلَّمنا عنها في مادة الرياضيات في المرحلة الثانوية. تتمحور النقطة التي تلتقي عندها جميع هذه الدوائر معًا حول شخص الرب يسوع المسيح، وعمله المُتمثِّل في الخلاص والاسترداد. حين كنَّا أطفالًا في مدارس الأحد، كان مُعلِّمونا يذكِّروننا باستمرار بأن الكتاب المقدس يدور بأكمله حول يسوع:

- ففي العهد القديم، هناك **نبوات** عن يسوع.
- وفي الأناجيل، **يظهر** يسوع.
- وفي سفر أعمال الرسل، **يُكرِّز** بيسوع.
- وفي الرسائل، **يُوضَّح** يسوع.
- وفي سفر الرؤيا، **يُنْتَظَر** يسوع.

في حقيقة الأمر، هذا مُلخِّص نافع للغاية للكبار كما للصغار أيضًا! ربما لا يكون مُلخِّصًا وافيًا أو متطوِّرًا، لكنه قطعًا سيساعدنا في أثناء تجوُّلنا في الكتاب المقدس. فحقًّا يصير الكتاب المقدس لغزًا لا يمكن سبر غوره حين نرفع أعيننا عن المسيح. فإننا سنضل طريقنا عبر الكتاب المقدس حين نخفق في النظر إلى يسوع.

أحد الأمثلة على هذا هي قصة دخول يسوع أورشليم في أحد السعف الأول. ماذا يحدث في هذا النص الشهير؟

أحياناً تسبب شهرة بعض النصوص الشديدة في أن نقرأها قراءة سطحية للغاية. يُقرأ هذا النص بالتحديد بصورة روتينية في يوم أحد السعف. لكن على الرغم من درايتنا الجيدة بمشهد الدخول الانتصاري، لكننا ربما لم نستوعب جيداً معناه ودلالته.

ما هي الرسالة إذن؟ وما الذي يعنيه هذا النص؟ ولماذا يَشْكُل أهمية؟

### تلاميذ بطاء التعلم:

إن كُنَّا أمناء في ارتيابنا وتشكُّنا، فينبغي إذن ألا نصاب بإحباط زائد عن الحد. فإننا لسنا بمفردنا — بل يرافقنا في هذا التشكُّك تلاميذ يسوع أنفسهم. يقول يوحنا: «وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا».<sup>١٧١</sup> لم يكن يوحنا يمتدحهم هنا، أليس كذلك؟

كحديث جانبي، نود أن نقول إن أحد علامات موثوقية الأناجيل هي بالتأكيد عدد المرات التي يخبرنا فيها الكتاب بما لم يعرفه أو يفهمه التلاميذ! لم تُكْتَب الأناجيل لامتداح الإمكانات الطبيعية للرسل أمام الكنيسة!

من المفيد — بل ومن المشجِّع أيضاً على نحو مذهل — أن نلاحظ هذه التفاصيل البسيطة. فهي تذكِّرنا بأننا في

<sup>١٧١</sup> يوحنا ١٢: ١٦.

سياحة، وبأننا لم نصل بعد إلى وجهتنا النهائية. فإن يسوع يغيّرنا، لكن لا تزال حياتنا تحت الإنشاء. أمانا نحن أيضًا الكثير لتعلّمه. يؤكّد هذا ببساطة حجم الامتياز الذي حصلنا عليه باقتناء الكتاب المقدس، والعيش تحت وصايته وإرشاده.

كان التلاميذ ببساطة عاجزين عن الفهم، أليس كذلك؟ ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي كتب فيها يوحنا عن افتقارهم إلى الذكاء الروحي.

فلاحقًا، في العليّة، قال لهم يسوع: «أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعِدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا»؛ ثم أضاف: «وَتَعَلَّمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعَلَّمُونَ الطَّرِيقَ». حينئذٍ قال له توما: «لكننا لسنا نعلم! لسنا نفهم ما تقوله يا يسوع. لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» أجابه يسوع: «في الواقع، أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ ... لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا». بعد هذا قال العزيز فيلبس: «حسنًا، يا يسوع، لم لا ترينا الآب، وكفانا هذا؟» كان فيلبس لا يزال غير فاهم أن الآب كان يعلن ذاته في يسوع! ولهذا أجابه الرب: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ».<sup>١٧٢</sup>

ثم أخبرهم يسوع بأنهم ينبغي أن يتشدّدوا من جراء حقيقة أنه حين يأتي روح الحق، سيرشدهم إلى جميع الحق. فهو لن يتكلّم من نفسه، بل كلّ ما يسمّع يتكلّم به، ويخبركم بأمور آتية. «بعد قليل لا تبصروني، ثمّ بعد قليل أيضًا تروني». <sup>١٧٣</sup> هل يشكّل هذا صعوبة شديدة؟» يقول يسوع: «سوف أمضي، ولن تبصروني. ثم سأعود ثانية، وستروني». لكن قال التلاميذ أحدهم للآخر: «مَا هُوَ هَذَا الَّذِي يَقُولُهُ لَنَا: بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تُبْصِرُونِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنِي؟» <sup>١٧٤</sup>

قطعًا، يبدو الأمر واضحًا تمامًا بالنسبة لنا، لأنه قد أتحت لنا قراءة نهاية القصة. فإن لدينا رسائل العهد الجديد التي توضّح لنا كل هذا. لكن، حين تستمع إلى هؤلاء التلاميذ، لن تفاجأ حين تسمع يسوع يصلي إلى الآب لاحقًا وكأنه يقول له: «يا أبتاه! يا أبتاه! انظر إلى هؤلاء الذين أعطيتني. لقد جلسوا معي في مدارس الأحد لمدة ثلاثة أعوام، ولا تزال حالتهم ميؤوسًا منها تمامًا! فإنهم يطرحون باستمرار واحدًا بعد الآخر أسئلة بسيطة وبديهيّة عليّ. يا أبي، أنا حفظتهم. أتوسل إليك أن تحفظهم أنت أيضًا». <sup>١٧٥</sup>

<sup>١٧٣</sup> يوحنا ١٦: ١٦.<sup>١٧٤</sup> يوحنا ١٦: ١٧.<sup>١٧٥</sup> انظر يوحنا ١٧: ١١-١٥.

يُشَدُّ كل هذا على أننا حين نقرأ الكتاب المقدس، يلزم أن نحترس من أن نفكر هكذا: «إنني أعرف بالفعل قدرًا كبيرًا عن هذا؛ أعرف كل شيء عن معنى هذا النص. هذا نص أحد السعف. إنني أعرفه جيدًا. فقد قرأته من قبل. وحضرت الكثير من أيام أحد السعف. لا يمكن أن يكون هناك شيء جديد أتعلمه منه الآن. أليست رسالة النص هي أن يسوع ملك؟»

لكن في المقابل، لا بد أن تكون هذه هي نقطة البداية: «يا رب، أنت تعلم، حقًا لست أعلم الكثير عن هذا». حينئذٍ سنكون أكثر ميلًا إلى أن نفكر هكذا: «أتساءل ما الذي يمكن أن يكون مشوقًا، ومؤثرًا، ومثيرًا هنا، وما الجديد الذي يمكنني استخلاصه في هذا الصباح من هذا النص؟»

## استخدم خيالك:

إن أمكننا الرجوع بالزمن إلى الماضي، ومراقبة عائلة تجهز ليوم عيد الفصح، فربما سنتمكن من أن نسترق السمع إلى حديث يدور بين صبي ووالده:

«أبي، لا أستطيع الانتظار حتى الغد. فقد أحضرتُ بالفعل أغصان السعوف. وأنا على أتم الاستعداد. لا أعلم إن كنت سأتمكن من النوم هذه الليلة يا أبي. لأن غدًا ... يوم رائع، أليس كذلك؟»

أجاب الأب: «نعم، يا ابني، هو يوم رائع بالفعل»  
 «أبي، رتل لي ترتيلة قبل النوم. هل يمكننا أن نرتل  
 معًا تلك الترتيلة التي أحبها؟»  
 «آية واحدة تقصد؟»

«حسنًا، أليست هي واحدة من تلك التي تسمّى  
 مزامير المصاعد؟<sup>١٧٦</sup> تلك التي تبدأ بهذه الكلمات:  
 'فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي ...'، وتحدّث عن وقوف أرجلنا  
 داخل أبواب أورشليم! يمكننا أن نرتلها؟»  
 ربما تعرف هذا المزمور بحسب صياغة أيزاك واطس  
 (Isaac Watths) له:

How pleased and blest was I

كم سُررتُ وبوركْتُ

To hear the people cry,

حين سمعت الناس يهتفون:

"Come, let us seek our God  
 today!"

«هيا، لنطلب إلهنا  
 اليوم!»

Yes, with a cheerful zeal

نعم، في حماس بهيج،

We haste to Zion's hill,

نسرع الخُطى نحو جبل صهيون،

And there our vows and  
 honors pay.<sup>177</sup>

وهناك نوفي نذورنا ونقدّم  
 إكرامنا.

<sup>١٧٦</sup> يبدو أن المزامير ١٢٠-١٣٤ هي مجموعة واحدة تشكل معًا كتاب تراتيل للحجاج الصاعدين إلى أورشليم للاحتفال بالأعياد.

<sup>177</sup> Isaac Watts's "How Pleased and Blest Was I".

ثمة أهمية أن نضع في اعتبارنا أن محتوى الأناجيل منسوج داخل نسيج الحياة العادية. لا نستطيع أن ننكر أن هذا الصبي الصغير موجود في خيالنا فقط، لكن الكثير من الصبيان المتحمسين مثله تمامًا كانوا موجودين هناك مع عائلاتهم في يوم أحد السعف — مثل الأطفال الذي يصطفون في الشوارع في يوم تنصيب رئيس الجمهورية أو تتويج ملك بريطانيا. لكن كان جموع أورشليم يحتشدون للاحتفال بتدخلات الله الخلاصية في تاريخ الأمة في الماضي. وقد علموا أيضًا من العهد القديم شيئًا عن مجيء عصر جديد، وعن يوم جديد سيبزغ فجره، فيه سيُرد كل ما قد فُقد، وسيتحقق كل ما تاقوا إلى رؤيته. ففي زحام المتفرجين والملوحين بأغصان السعوف، كانت هناك عدة مستويات من الترقب والانتظار كامنة وراء توقع ومتعة ذلك اليوم.

## وراء الكواليس:

لكن، في سجل يوحنا عن هذا الدخول الانتصاري، كانت القرينة المباشرة لما حدث يوم أحد السعف هي حادثة إقامة لعازر من الموت. فقد جاء يسوع إلى قرية بيت عنيا بعد موت لعازر ببضعة أيام، وذهب إلى قبره — الذي على الأرجح كان كهفًا أو مغارة — وطلب من بعض الرجال أن يرفعوا الحجر عن القبر، ثم نادى قائلًا: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» فخرج صديقه الميت من القبر ماشيًا على قدميه. وعلى الأرجح، خرج «مترنحًا» — إذ كان لا يزال ملفوفًا في أكفان القبر.



حين خرج لعازر من القبر، أمر يسوع بأن يحلّوه من أكفانه. وبعد هذا، نقرأ أن كثيرين من اليهود الذين كانوا هناك كي يعزّوا مريم، ورأوا ما فعله يسوع، آمنوا به. ترتب على هذا إصابة رؤساء اليهود بالإحباط، مما جعلهم يحكيون مؤامرة لقتل يسوع.<sup>١٧٨</sup> هل تستطيع تخيّل «القيّل والقال» الذي سرى في هذا المجتمع؟ ظل هؤلاء يفتشون عن يسوع، وفيما كانوا واقفين في المنطقة المحيطة بالهيكل، سأل أحدهم الآخر فيما بينهم:

مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَلْ هُوَ لَا يَأْتِي إِلَى الْعِيدِ؟<sup>١٧٩</sup>

لكن بعد بضعة أعداد، حين جاء يسوع ثانية إلى بيت عنيا، نقرأ أنه حين اكتشفت جموع اليهود الكثيرة أنه كان هناك:

جَاءُوا لَيْسَ لِأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ، بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضًا لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ.<sup>١٨٠</sup>

لكن لم يكن هذا هو كل ما كان يحدث، بل بسبب هذا

تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا، لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ.<sup>١٨١</sup>

<sup>١٧٨</sup> انظر يوحنا ١١: ٤٤-٤٥، ٤٨، ٥٣.

<sup>١٧٩</sup> يوحنا ١١: ٥٦.

<sup>١٨٠</sup> يوحنا ١٢: ٩.

<sup>١٨١</sup> يوحنا ١٢: ١٠-١١.

يا له من تصريح لافت للنظر! لا عجب إذن أن تطلّع يسوع نحو اورشليم، وقال:

إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا، مَا هُوَ لِسَلَامِكَ! وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكَ.<sup>١٨٢</sup>

فكّر معي في هذا: حين حاول جميع هؤلاء — بالرغم من خلفيتهم الدينية الكبيرة، وإرثهم المذهل، ومعرفتهم بالكتب المقدسة — نسج خيوط توقعهم المسياني معًا، أخفقوا على نحو مخيف في فهم الأمر. فأمامهم، كان يقف الحل لكافة توقّعاتهم، بأكثر طريقة غير مُتوقّعة، لكنهم عجزوا عن التعرف عليه. فحقًا «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ».<sup>١٨٣</sup>

سيستغرق منا الأمر مسيرة طويلة للغاية كي نبين كيف أخفق هؤلاء في فهم التلميح بعد الآخر، والنبوة بعد الأخرى، من إشارات العهد القديم إلى يسوع. لكن يجدر بنا التوقف قليلًا كي نطرح بعض الأفكار الهامة.

## الصورة الكبرى:

أحد مساوئ الكاميرات الرقمية — في مقابل الكاميرات البولارويد القديمة — هي أننا لا نحصل على أيّة صور في أيدينا. فإنها لا تعطينا صورًا فعلية. لكن تكمن أحد فوائدها في قدرتها على أن تعرض أمامنا مجموعة من الصور المتتالية، تمكّننا من رؤية كيف تشكّل كل اللحظات

<sup>١٨٢</sup> لوقا ١٩: ٤٢.

<sup>١٨٣</sup> يوحنا ١: ١١.

الفردية جزءاً من قصة ممتدة تقود إلى الكادر الأخير. نستطيع أن نعود إلى الورا لمشاهدة صور إجازة كاملة قضيناها في وقت سابق، أو صور مراحل نمو أحد أطفالنا من مرحلة روضة الأطفال وحتى المرحلة الثانوية. ينطبق الشيء ذاته على مقاطع الفيديو المصورة. فإننا نستطيع أن نتقل عبر المشاهد المختلفة التي تساعدنا على تفسير كيفية وصولنا إلى المشهد الأخير.

هكذا أيضاً، ونحن نتجول عبر الأسفار المقدسة، نكتشف المشاهد التي سبقت في الزمن لحظة دخول يسوع إلى أورشليم كملك.

على سبيل المثال، نستطيع الرجوع بالصورة إلى الورا إلى لوقا ١: ٢٦-٣٨، وهو مشهد ظهور جبرائيل الملاك لمريم. تذكّر كيف اضطربت مريم من التحية، فقال لها الملاك: «لا تضطربي من شيء»:

لَأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. وَهَآ أَنتِ سَتَحْبِلِينَ  
وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيْنَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا،  
وَأَبْنَى الْعَالِي يَدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَٰهَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ  
أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتٍ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ  
لِمُلْكِهِ نِهَآيَةٌ.<sup>١٨٤</sup>

هذه واحدة من تلك اللقطات الفوتوغرافية البسيطة، التي فيها نشاهد إبلاغاً عن ولادة ستحدث في المستقبل.

لكن تحوي الصورة المزيد أيضًا، مثل طبيعة هذا الطفل الذي سيولد وهويته. فهو سيعطى كرسي داود أبيه. فهو ملك، وستكون له مملكة!

كانت مريم فتاة عادية، على الأرجح في عمر المراهقة. لا عجب إذن أنها ظلت تتفكر في قلبها في هذه الأشياء!<sup>١٨٥</sup> لا بد أنها استغرقت في التفكير في هذا فترة طويلة. تخيل معي مريم تراقب طفلها يسوع وهو يكبر، وتراه عائدًا إلى المنزل، فتسأله: «ماذا فعلت اليوم يا يسوع؟» تخيلها معي وهي تراقب إنجازاته البسيطة، مثل نجاحه في تقليد عمل يوسف، وهكذا. فطوال الوقت، كان يتردّد في ذهنها صدى إعلان الملاك: «ويملك على كرسي داود أبيه».

استطاع فيليبس بروكس (Philips Brooks) التعبير عن هذا في ترتيلة عيد الميلاد التي كتبها، والتي تقول:

O little town of Bethlehem, يا مدينة بيت لحم الصغرى،

How still we see thee lie, كيف لا زلنا نراك نائمة،

Above thy deep and dreamless sleep وفوقك في نومك العميق هذا

The silent stars go by. تسير النجوم الصامتة.

Yet in thy dark streets shineth لكن في شوارعك المظلمة

The everlasting Light;

سطع النور الأبدي؛

The hopes and fears of all  
the years

ففيك اليوم  
تحققت

Are met in thee tonight.<sup>186</sup>

آمال ومخاوف السنين.

انظر إلى هذا! فإن جميع الآمال والمخاوف، وجميع التوقُّعات والأحلام، وجميع وعود العهد القديم عن ذاك الذي سيأتي كتجسيد للإعلانات النبوية العظيمة عن المسيا — قد تحققت جميعها هناك في بيت لحم.

ثم، إن قفزنا بالزمن ثلاثين عامًا إلى مشهد آخر، سنجد الشيء ذاته في هذا المشهد الانتصاري الذي وقع في الطريق إلى أورشليم. فقد أتى الملك!

كان هذا هو التتميم لنبوة زكريا القائلة: «إِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةُ صِهْيَوْنَ ... هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ»،<sup>١٨٧</sup> ونبوة الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر إشعياء القائلة: «هُوَذَا بِالْعَدَلِ يَمْلِكُ مَلِكُ»،<sup>١٨٨</sup> وأيضًا للأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني، حيث الوعد الذي قطعه الله لداود بأن ملكًا أبدئيًا وكونيًّا سيأتي من نسله.<sup>١٨٩</sup>

<sup>186</sup> The opening verse of Phillips Brooks's hymn "O Little Town of Bethlehem," 1867.

<sup>١٨٧</sup> زكريا ٩: ٩.

<sup>١٨٨</sup> إشعياء ٣٣: ١.

<sup>١٨٩</sup> ٢ صموئيل ٧: ١٢-١٦؛ قارن مزمور ٧٢: ١-١٩.

نكتشف كل هذا حين نتجوّل عبر مشاهد السجل الكتابي. فحين نعود إلى الورا إلى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين، نقرأ الكلمات النبويّة التي نطق بها يعقوب حين كان يبارك أبناءه:

لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُودَا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ  
حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونٌ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.<sup>١٩٠</sup>

تخيّل معي الآن مؤمناً من العهد القديم يقرأ هذه النصوص — ونصوص أخرى كثيرة. فهو سيسأل بالطبيعة: «كيف سيكون هذا؟ كيف يمكن أن يحدث هذا؟»<sup>١٩١</sup> ثم حين نمضي قُدماً في الكتاب المقدس، نجد الشعب يتوق إلى ملك، على أمل أن يكون هو الحل لجميع معضلاتهم. لكن لم يستوف أيّ من الملوك توقّعاتهم، ولم يستطع أي منهم أن يأتي بالخلاص الحقيقي. وهكذا إذن، في نهاية العهد القديم، تُرك الشعب يفتشون عن ذلك «الشخص» الذي سيكون الملك العظيم. فقد اختُتِمت الخدمة النبويّة لكل العهد القديم بالصمت — لعدة مئات من السنوات — في انتظار هذا الشخص المجهول الذي سيأتي كتجسيدٍ للكلمة النبويّة. نجد كل هذا وأكثر على القرص الصلب للإعلان الإلهي المكتشف تدريجيّاً. بعد ذلك، نصل إلى الصورة التي كانت كافة الصور الأخرى تشير إليها.

<sup>١٩٠</sup> تكوين ٤٩: ١٠.

<sup>١٩١</sup> انظر ١ بطرس ١: ١٠-١٢.

## أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْمُلُوكِ؟

ركب يسوع على جحشٍ، ودخل أورشليم، محاطًا بهذا الجمع الضخم والساخب. لم يركب يسوع جحشًا في أي موضع آخر في السجل الكتابي، بل كان هذا هو الموضع الوحيد الذي حدث فيه هذا.

لم يركب يسوع على الجحش لأنه كان متعبًا، لكنه أرسل تلاميذه متعمدًا إلى المدينة في ذلك اليوم بالتحديد كي يحضروا له الجحش.<sup>١٩٢</sup> فقد أراد أن يقول شيئًا.

لكن ما هو هذا الشيء؟

كان يسوع هنا يواجه المجتمع من خلال أفعاله. فقد كان بهذا يضع نفسه عمدًا تحت سلطة حنان وقيافا رئيسي الكهنة اليهود، وتحت سلطة مجمع اليهود (السنهدرين)، وتحت سلطة بيلاطس البنطي الوالي الذي كان يمثل كل سلطة الإمبراطورية الرومانية. ولاحقًا، سأله بيلاطس: «مَنْ أَنْتَ بِحَقِّ السَّمَاءِ؟» وفي مرحلة ما من الحديث، سأله بشكل مباشر: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ دَعْنَا نَحْصِمَ هَذَا الْأَمْرَ يَا يَسُوعَ. أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَأَنْتَ تَقُولُ».<sup>١٩٣</sup>

لكن أي نوع من الملوك كان؟ أي ملك يركب على جحش؟ وأي ملك يضع تاجًا منسوجًا بالشوك؟ وأي ملك

<sup>١٩٢</sup> متى ٢١: ١-١١.

<sup>١٩٣</sup> متى ٢٧: ١١.

يرتدي رداء شخص آخر، ويصير محط استهزاء، وسخرية، ويُزدرى به بقسوة من قبل محتجزيه من الجنود المنفلتين؟<sup>١٩٤</sup> نرى هنا المفارقة الشديدة التي يقف أمامها أي قارئ فطن للكتاب المقدس.

هذه هي المفارقة نفسها التي زعزت كثيرين ممن كانوا ينتظرون الآتي. فقد هتف هؤلاء: «آه يَا رَبُّ خَلِّصْ! آه يَا رَبُّ أَنْقِذْ!»<sup>١٩٥</sup> ثم بعد هذا شهدوا مجموعة كاملة من المشاهد التي فيها كان يسوع «مُحْتَقَرٌّ وَمَخْذُولٌ ... رَجُلٌ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ».<sup>١٩٦</sup> ماذا كانت احتمالية أن يتمكن هذا الرجل من أن يأتي بالخلاص، والأمان، والفلاح، بينما كان من الواضح أنه غير قادر على تأمين سلامته الشخصية؟ فقد أدّت به خدمته إلى هذه النهاية المخزية.

## كيف يملك يسوع؟

يشتهر دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز بسؤاله الافتتاحي التالي: «ما هي غاية الإنسان العظمى؟» (الجواب: «غاية الإنسان العظمى هي تمجيد الله والتمتع به إلى الأبد».)<sup>١٩٧</sup> لكن لاحقاً، في عرض الدليل لرسالة الإنجيل، يطرح سؤالاً هاماً آخر، كان هذه المرة عن يسوع. يقول السؤال:

<sup>١٩٤</sup> يوحنا ١٩: ٣-١.

<sup>١٩٥</sup> مزمور ١١٨: ٢٥.

<sup>١٩٦</sup> إشعياء ٥٣: ٣.

<sup>١٩٧</sup> نُشر هذا الدليل في عام ١٦٤٨ من قبل اجتماع وستمنستر، واستُخدم بعد هذا في العديد من الكنائس، ولا سيما، ولكن ليس حصرياً، في التقليد المشيخي.



كيف يمارس المسيح وظيفة [خدمة] الملك؟

هذا هو تحديدًا السؤال الذي تجربنا هذه المشاهد على طرحه. وفيما يلي الجواب الذي قدّمه الدليل:  
يمارس المسيح وظيفة الملك بإخضاعنا لنفسه، ومُلكه علينا ودفاعه عنّا، وبردع وقهر كل أعدائه وأعدائنا.<sup>١٩٨</sup>

درسنا معًا كيف جاء المسيح كنبيّ كي يحو جهلنا، وككاهنٍ كي يعالج مسألة اغترابنا، ويقرّبنا إلى الله. والآن نراه كملكٍ يُخضع جميع القوى الغاشمة المحتشدة ضدنا، بل وأيضًا تلك القوى المحاربة بداخلنا.

لكن كيف يفعل يسوع الملك هذا؟ هنا لا بدّ أن نحصر حديثنا في ثلاثة أبعاد، متناولين كلّ بعد منها بصورة موجزة. أولاً، كيف يكون يسوع ملكًا فيما يتعلّق بخلاصنا، ثم فيما يتعلّق بالكون، وأخيرًا فيما يتعلّق بالمستقبل.

## الخلاص:

كيف يمارس يسوع مُلكه لأجل خلاصنا؟ سوف ندرس هذا البُعد على نحو أكثر تفصيلًا حين نتحدّث عن يسوع كابن الإنسان. لكن يلزمنا في هذه المرحلة أن نفهم أن الصليب كان النقطة المحوريّة في مُلك يسوع، إذ فيه تمّ كل ما يلزم كي يعالج مسألة خطايانا:

<sup>١٩٨</sup> السؤال الرابع والعشرون من الدليل.

وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغَلَفَ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ  
مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّلَاقَ  
الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ  
مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِلَيْهِ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ  
وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جَهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.<sup>١٩٩</sup>

ففي أوائل خدمة الرسول بولس، أوضح لأهل غلاطية  
أن هذا الموت على الصليب يعني أن يسوع قد حمل  
اللجنة التي نستحقها نحن عن خطايانا.<sup>٢٠٠</sup>

والأكثر من هذا أن يسوع قد فعل كل ما يلزم كي  
يعتقنا من سلطان الموت.

فإن طغيان الخطية والإثم يصير ظاهرًا بأكبر درجة في  
موتنا. قال الله لآدم وحواء: «لَأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا [شجرة  
معرفة الخير والشر] مَوْتًا تَمُوتُ». <sup>٢٠١</sup> هذه هي الحالة التي  
ورثناها. فإن موتنا هو التأثير المتلف والمفسد للخطية  
والدينونة. فإن الضعف، والهشاشة، والتحلُّل، والخسارة  
المتضمنة داخل الموت هي البراهين القاطعة في هذا العالم  
على أننا قد أخطأنا وأعوزنا مجد الله.

لكن، استمع أيضًا إلى ما قاله كاتب رسالة العبرانيين  
عن هذا:

<sup>١٩٩</sup> كولوسي ٢: ١٣-١٥.

<sup>٢٠٠</sup> غلاطية ٣: ١٣.

<sup>٢٠١</sup> تكوين ٢: ١٧.

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ  
 أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ  
 سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيُّ إِبْلِيسَ، وَيُعْتَقَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ  
 -خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ  
 تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.<sup>٢٠٢</sup>

إذن، فعل يسوع كل ما كنّا نحتاج إليه كي نخلص من  
 الخطيئة، وكل ما كنّا نحتاج إليه كي نخلص من دينونة  
 الموت، وكل ما كنّا نحتاج إليه كي نُعْتَقَ من عبودية  
 إبليس. في كلمة واحدة، فعل يسوع كل ما كنّا نحتاج أن  
 يُعْمَلَ من أجلنا، لكن لم يكن باستطاعتنا فعله بأنفسنا.  
 وكان برهان انتصاره، بالتأكيد، هي القيامة من الأموات،  
 التي تشبه «آمين» مدوية نطقها الآب تعليقًا على عمله.

قام يسوع من الموت بالجسد كعلامة على قبول  
 ذبيحته عن الخطايا، وكأن القاضي بهذا كان يقول: «لقد  
 استوفيت العقوبة التي طالب بها القانون، وأنت الآن حر  
 طليق!» من الواضح أن قيامة يسوع كانت علامة أيضًا  
 على أنه قد نقض سلطان الموت، إذ لم يكن ممكنًا أن  
 يمسك يسوع في قبضة الموت.<sup>٢٠٣</sup>

ثم بعد أن سحق يسوع قوة إبليس، قضى مدة أربعين  
 يومًا يلتقي بتلاميذه. قطعًا كانت هذه دورة دراسية

<sup>٢٠٢</sup> عبرانيين ٢: ١٤-١٥.

<sup>٢٠٣</sup> أعمال الرسل ٢: ٢٤.

مذهلة عن التعليم الكتابي وحياة القيامة! تخيّل معني أن تتعلّم عن الحياة الجديدة، أي حياة القيامة، من ذاك الذي قال: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ».<sup>٢٠٤</sup>

لكن كيف يمكن لقيامة يسوع من الأموات أن تؤدي إلى قيامة مَنْ يُؤْمِنُونَ به؟ كيف يمكن — كما يوضح الكتاب المقدس — أن يكون من المستحيل ألا يقوم المؤمنون من الأموات بسبب قيامة يسوع من القبر؟

إليك الفكر الكتابي بشأن هذا:

- نحن «في المسيح».
- ومن ثَمَّ، نحن متحدون معه.
- لا يمكن أن نفصل البتة عن المسيح.
- أقيم المسيح من الأموات.
- ومن ثَمَّ، لأننا فيه، فقد أُقِمْنَا من الأموات، وسوف نقوم!<sup>٢٠٥</sup>

لهذا السبب توصّف قيامة المسيح بأنها «باكورة» — أي أنها العربون والضمان لمجيء حصاد أخير.<sup>٢٠٦</sup>

إذن، يملك يسوع كملكٍ في خلاصنا.

<sup>٢٠٤</sup> يوحنا ١١: ٢٥-٢٦.

<sup>٢٠٥</sup> رومية ٦: ٥.

<sup>٢٠٦</sup> ١ كورنثوس ١٥: ٢٠.

## الكون:

يَعْلَمُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ أَنَّ نَفْكَرَ فِي مُلْكِ الْمَسِيحِ بِطَرِيقَةٍ كَوْنِيَّةٍ. أَحَدُ النُّصُوصِ الْمُفْتَاتِحَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ هُوَ نَصُ كُولُوسِيِّ ١: ١٥-١٧ الْقَائِلُ: «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكُرِّ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ».

فَكَّرَ مَعِيَ فِي عِلَاقَةِ هَذَا بِصِفِ دِرَاسِي لِمَادَةِ عِلْمِ دِرَاسَةِ الْإِنْسَانِ فِي آيَةِ جَامِعَةِ عِلْمَانِيَّةٍ. أَوْ فَكَّرَ فِي عِلَاقَتِهِ بِطَلَبَةِ يَقْرَأُونَ التَّارِيخَ، أَوْ يَدْرُسُونَ الطَّبَّ، وَسَيَصْبَحُونَ أَطْبَاءً. هَلْ يَشْكُلُ كَوْنُكَ مُؤْمِنًا أَيَّ فَارَقَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؟ هَلْ سَيُؤَثِّرُ الْإِيمَانُ عَلَى نَظَرَةِ هَؤُلَاءِ لِلْأُمُورِ؟

هَلْ يَشْكُلُ هَذَا فَارَقًا؟ إِنْ كَانَ لِكَلِمَاتِ بُولَسَ أَيُّ مَعْنَى عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنْ هَذَا قِطْعًا سَيَشْكُلُ فَارَقًا:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ.<sup>٢٠٧</sup>

هناك إذن بُعدٌ كوني عظيم في ملك يسوع. فإن يسوع هو المصدر، والداعم، والهدف لكل النظام المخلوق. «فإن الكون قد خلق فيه، وفيه يقوم، وعليه يعتمد بصورة مطلقة».<sup>٢٠٨</sup>

<sup>٢٠٧</sup> كُولُوسِيِّ ١: ١٦-١٧.

<sup>٢٠٨</sup> David Wells, What Is the Trinity? Basics of the Faith (Philipsburg, NJ: P&R, 2012), 8-9.

كمؤمنين، علينا أن نتعلّم كيف نفكر بطريقة صحيحة وكتّابيّة. وبعد هذا، يمكننا مشاهدة القنوات الإخباريّة، أو قراءة الصحف، أو تصفح أيّة جريدة، دون أن ننضم إلى صفوف المتجهمين، أو دون أن ننشد مع جوقة الخائفين. فإن وجودنا في المسيح يوسع من آفاقنا ويغيّر من حياتنا. ويمثل الانحناء أمام سلطان ما يقال عن هذا المسيح الكوني، الذي يملك على الجميع، تجربة مؤثرة ومغيّرة للفكر. فهي تغير من منظورنا لكل شيء.

لم تكن طلبة بارعين في مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية. فإن درجاتنا وتقارير نهاية العام احتوت على جمل من قبيل: «هو قد اتخذ قراراً أن الفيزياء غير ملائمة له — وهو ثابتٌ على هذا القرار». لكن على الرغم من أننا نقف في حقل ألغام حين يتعلّق الأمر بالعلوم، لكننا نستطيع رفع أعيننا إلى السماء في المساء، كي نرى النجوم والكواكب، ونحدّق في تعجب وذهول في مجرة درب التبانة.

فإن كانت مجرة درب التبانة تحوي، كما يخبرنا علماء الفلك اليوم، عددًا من النجوم يتراوح عددها ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة مليار نجم؛ وإن كانت هذه مجرد مجرة واحدة من مئات المليارات من المجرات — فإننا إذن نحن البشر الذين نتسم بالضآلة في حاجة ماسة إلى نص كولوسي ١: ١٦-١٧ فقط كي نتمكن من الخلود إلى النوم

في المساء، والاستيقاظ في الصباح، شاعرين بأننا نتمتع بأي  
أمان على الإطلاق في هذا الكون.

ستفيدنا هنا قراءة الكلمات العظيمة التي قالها  
إشعيا النبي:

أَرْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ عُيُونَكُمْ وَأَنْظُرُوا،  
مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟  
مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدَهَا،  
يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟<sup>٢٠٩</sup>

وستفيدنا أيضًا هذه الملاحظة التي جاءت في افتتاحية  
إنجيل يوحنا:

كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.<sup>٢١٠</sup>

كان من شأن هذا الكون أن يصير لغزًا لا يمكن سبر  
غوره لولا معرفتنا بأن يسوع ملكٌ فيه.

## المستقبل:

فضلاً عن رؤية مُلك يسوع خلاصياً وكونياً، نحتاج  
أيضاً أن نفكر في المُلْك بطريقة مستقبلية.

لنُعد إلى امثال السابق عن مخطط «فين» ودوائره  
المتقاطعة معاً. فقد بدأنا الآن في رؤية كيف تتقاطع  
الأوصاف الكتابية المختلفة للرب يسوع معاً. فإن  
الموضوعات والنصوص الكتابية نفسها تتكرَّر باستمرار.

<sup>٢٠٩</sup> إشعيا ٤٠: ٢٦.

<sup>٢١٠</sup> يوحنا ١: ٣.

فلهذا، نكتشف في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى وجود ترتيب في القيامة. أولاً، المسيح الباكورة، ثم الذين له في مجيئه،

وَبَعْدَ ذَلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ لِلَّهِ الْآبِ، مَتَى  
أَبْطَلَ كُلَّ رِيَّاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لِأَنَّهُ يَجِبُ  
أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى «يَضَعَ جَمِيعَ الْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ».  
آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ.<sup>٢١١</sup>

انظر إلى هذا البساط الرائع الذي نُسجت عليه صورٌ  
للمسيح الملك الصاعد إلى السماء. فحقاً، «ذلك الرأس الذي  
تُوجُّ قبلاً بالأشواك، مكلَّل الآن بالمجد».<sup>٢١٢</sup>

وإننا نرى «الغرض» من صعود المسيح متمثلاً في  
سكب الروح القدس كي يسكن داخل شعب الله. فقد  
صعد يسوع إلى السماء كي يطلب من أبيه أن يفي بوعدِهِ،  
ويرسل الروح إلى خاصته حتى يختبروا كلَّ بركة روحية.<sup>٢١٣</sup>  
وحين يأتي الروح القدس، سيعظَّم من قدر كلمة الله في  
حياتنا، وسيوجِّه أعيننا باستمرار نحو ابن الله.<sup>٢١٤</sup> يقع كل  
هذا ضمن المزايا المجيدة لانتصار المسيح ومُلْكِهِ.

ينبغي أن يحتل هذا — شاملاً جميع هذه العناصر —  
مركز تفكيرنا كمؤمنين. فحقاً، ينبغي أن يتحكَّم هذا البُعد

<sup>٢١١</sup> ١ كورنثوس ١٥: ٢٤-٢٦.

<sup>٢١٢</sup> Thomas Kelly, "The Head That Once Was Crowned with Thorns," 1820.

<sup>٢١٣</sup> انظر يوحنا ١٤: ١٦-١٧، الذي هو وعد يكمن وراء أعمال الرسل ٢: ٢٣.

<sup>٢١٤</sup> انظر يوحنا ١٦: ١٤-١٥.



المستقبلي في منظورنا عن كل شيء، وقطعًا في الكيفية التي نرى بها العالم.

لكن كيف ينبغي أن يرى المؤمن العالم؟

## النظرة الحياتية:

يرى المؤمن العالم بمفردات «الخير، والشر، والجديد، والكامل». نعم — الجديد والكامل!

فحين خلق الله الكون، خلق فيه كل شيء، وصنع الكلَّ حسنًا. ثم حدث سقوط الإنسان، وساء حال كل شيء. لكن في الرب يسوع المسيح، يصير الكل جديدًا. كما يقول بولس: «إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ».<sup>٢١٥</sup> وحرفيًا: «إن كان أحد في المسيح — خليفة جديدة». ببقيامة المسيح من الأموات، حدثت عملية تجديد، ستشمل في النهاية الكون بأكمله. «لِأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ».<sup>٢١٦</sup>

نحن نعيش في انتظار وترقُب لذلك اليوم الذي فيه ستكتمل الخليقة الجديدة في كل روعتها وكمالها. وحينئذ، سينطرح من هم موطئ لقدمي المسيح أرضًا أخيرًا، مع كثيرين أيضًا، ويعترفون به ملكًا.<sup>٢١٧</sup>

وهكذا، نستطيع أن نتعلَّم أن نبدأ يومنا بالتأكيد على أن «المسيح ملك. يسوع رب!» ثمة أهمية أن نمي عادة

<sup>٢١٥</sup> ٢ كورنثوس ٥: ١٧.

<sup>٢١٦</sup> رومية ٨: ٢١.

<sup>٢١٧</sup> فيليبي ٢: ١٠-١١.

التأكيد على حقائق الإنجيل المركزيّة حين نستيقظ في كل صباح جديد، قائلين لأنفسنا: «إن الرب الإله القادر على كل شيء يملك. اليوم هو الخامس والعشرون من شهر يناير (أو أيّا كان)؛ واليوم، الرب الإله القادر على كل شيء يملك. نعم، قد تصفحتُ الجريدة الليلة الفائتة قبل أن أخلد إلى النوم. وهي في متناول يدي بضغطة زر. كما نظرتُ إلى تقرير القنوات الإخباريّة بالأمس قبل النوم. قد شاهدتُ كل أخبار غزة، وكل أخبار زيمبابوي. رأيتُ الكثير الذي يمكن أن يسبب الانزعاج والضيق. لكن، يملك المسيح من بداية اليوم وحتى نهايته — كلّ يوم من أيام حياتي».

لهذا نحب أن نرتل في نهاية اليوم قائلين:

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| The day Thou gavest, Lord,    | هذا اليوم الذي أعطيتنا إيّاه يا |
| is ended,                     | رب، قد انتهى،                   |
| The darkness falls at Thy     | والظلام يحلُّ                   |
| behest;                       | بأمرٍ منك؛                      |
| To Thee our morning hymns     | إليك أضعدت ترنيماتنا            |
| ascended,                     | الصباحيّة،                      |
| Thy praise shall sanctify our | وحمدك سيقدّس                    |
| rest.                         | نومنا.                          |

|                          |                  |
|--------------------------|------------------|
| We thank Thee that Thy   | نشكرك لأن كنيستك |
| church, unsleeping,      | لا تنام،         |
| While earth rolls onward | بينما الأرض تدور |
| into light,              | حول النور،       |

Through all the world her  
watch is keeping,  
And rests not now by day or  
night.

هي ساهرة في كل  
أنحاء العالم،  
لا تستريح نهاراً  
أو ليلاً.

As o'er each continent and  
island  
The dawn leads on another  
day,  
The voice of prayer is never  
silent,  
Nor dies the strain of praise  
away.

وبينما يتجه الفجر نحو يوم  
آخر،  
فوق قارة  
أو جزيرة،  
صوت الصلاة  
لا يصمت قط،  
وطاقة الحمد  
لا تخمد.

The sun that bids us rest is  
waking  
Our brethren 'neath the  
western sky,  
And hour by hour fresh lips  
are making  
Thy wondrous doings heard  
on high.<sup>218</sup>

إن الشمس نفسها التي يُلزمنا  
غروبها بالراحة  
توقظ إخوتنا تحت سماء  
الغرب،  
وساعة بعد ساعة  
شفاه جديدة،  
تسمّع إلى السماء صوت أعمالك  
العجيبة.

يا لها من صورة مذهلة! فإننا نرى شعب الله في  
جميع أنحاء العالم. وفيما يخلد سكان منطقة ما إلى  
النوم، يستيقظ في الآن ذاته سكان منطقة أخرى، ويقولون:  
«الرب الإله القادر على كل شيء يملك. هوذا أنا في كوريا

<sup>218</sup> John Ellerton, "The Day Thou Gavest, Lord, Is Ended," 1870.

الشمالية. أنا عاجز عن أن أقوم بعمل في العديد من مجالات الحياة، لكن يسوع المسيح ملك. وهوذا أنا في كوالالمبور، في الهند. هوذا أنا». إذن، يستيقظ شعب الله في كل ساعة من ساعات اليوم كي يحمده في كل توقيت من توقيتات الدول. لماذا؟ لأنه ملك.

بعد هذا يأتي البيت الأخير والانتصاري:

|                                            |                                          |
|--------------------------------------------|------------------------------------------|
| So be it, Lord; Thy throne<br>shall never, | نعم أيها الرب؛ لن يسقط<br>كرسيك البتة،   |
| Like earth's proud empires,<br>pass away:  | كما تسقط إمبراطوريات الأرض<br>المتباهية؛ |
| Thy kingdom stands, and<br>grows forever,  | إن ملكوتك ثابتٌ، وينمو إلى<br>الأبد،     |
| Till all Thy creatures own<br>Thy sway.    | إلى أن تخضع جميع المخلوقات<br>لسيادتك.   |

هذا هو مجمل الأمر إذن! جميع إمبراطوريات الأرض المتباهية ستسقط وتزول، لكن ملكوت يسوع المسيح سيظل باقياً، وسينمو، ويسود — ويدوم إلى الأبد.

### تطبيقات:

الآن بعد أن استوعبنا كل هذا، نستطيع أن نرى كيف يغيّر ملك يسوع من نظرتنا إلى العالم. ونتيجة لهذا، سيتحكّم ملكه في الكيفية التي نسلك بها في ذلك العالم. ينبغي ألا نصرّح بأن «يسوع المسيح ملك»، أو نتشدد بعبارات من قبيل «يسوع المسيح رب» وكأنها تعبير

فقط عن تكريسنا الشخصي. سيبيّن هذا إخفاقنا في فهم معناها الحقيقي. فحين كتب بولس عن ذلك اليوم الذي فيه «تَجَثَّوْا بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ ... وَيَعْتَرِفْ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ»،<sup>٢١٩</sup> لم يكن يصف تكريس العابد، بل هويّة المعبود. فقد كان يعلن الهويّة الإلهيّة ليسوع. إن يسوع ربّ. ليس هذا تصريحًا عن توجهي من نحو يسوع، بل هو تصريح يعلن مَنْ هو يسوع. هو ربّ. والكلمة اليونانيّة المستخدمة هنا هي *Kurios*. وفي الترجمة اليونانيّة للعهد القديم التي كانت موجودة في عهد بولس، كانت هذه هي الكلمة المعتادة لترجمة الاسم «يهوه»، الاسم العظيم لله، إله العهد.

بما أن يسوع ربّ وإله، وملِك ومخلّص، فلا بد أن يكون لهذا تأثيرٌ على كل الحياة.

على سبيل المثال، ليس لدي الحق في تكوين قناعات، أو ممارسة فُط حياة مخالف لكلمة ملكي. ومن ثمّ، لا يمكنني، على سبيل المثال، ابتداع وجهات نظر جديدة عن الزواج، أو إعادة تعريف الميول الجنسيّة للبشر، لأنني الآن خاضعٌ تحت حُكم الملك.

كما لا يمكنني إعادة صياغة وثائق العهد الجديد، أو التجرؤ على التعامل بعدم اكتراث مع الرواية التاريخيّة الموجودة في تكوين ١-١١. ولماذا؟ لأن يسوع ملك، وهذه

<sup>٢١٩</sup> فيليبي ٢: ١٠-١١.

كلمة الملك. كما ليس لدي الحق في أن أسلك كما أشاء، بل ينبغي أن يتسم سلوكي بالطاعة لملكي.

سيؤثر مُلك يسوع أيضًا على ممارساتي في العمل. سيؤثر هذا على الكيفيّة التي أذهب بها إلى العمل صباح الغد، وعلى علاقتي كابنٍ بوالديّ، أو كوالد مع أبنائي، أو كزوج مع زوجتي، وهكذا.

فضلاً عن ذلك، ليس لديّ الحق أن أظن أنني أستطيع أن أقصي أو أفصل نفسي عن شعب الله، لأن ربي وملكي هو أيضًا رأس الجسد، الكنيسة. فإنني أستطيع أن أنتفع وأساهم أيضًا بصحبة آخرين قد خضعوا هم أيضًا تحت ربوبيته.

لا يتوقف الأمر عند طاعتنا لوصايا الملك، لكننا أيضًا نستمتع بصحبته. فهو ملك يسهّل الاقتراب منه، وتبادل الحديث معه.

ليس لدينا الحق في أن نقف في حضرة ملكة بريطانيا، في قصر بيكنجهام في لندن، لكننا نستطيع الوقوف أمام ملك الملوك ورب الأرباب مباشرة. علاوة على ذلك، هو ليس ملكنا فحسب — بل أيضًا مخلصنا. وهو ليس مخلصنا فحسب، بل أيضًا صديقنا! فهذا صحيح: «ليس صديق كيسوع البسيط!»<sup>٢٢٠</sup> هكذا إذن، نستطيع أن نتقدم إليه بكل مخاوفنا، وإخفاقاتنا، وضغوظنا، وإحباطاتنا، وخسائرنا،

<sup>220</sup> Johnson Oatman, "There's Not a Friend Like the Lowly Jesus," 1895.

واحتمياجات أحبائنا، ونقول: «يا يسوع، أنت الملك على كل هذا. هناك أشياء كثيرة لا نستطيع التحكُّم فيها والتعامل معها. أشياء كثيرة جدًّا تضغط علينا وتسحقنا. لكننا نأتي أمامك الآن». حينئذٍ، سنتمكَّن من الوقوف على أقدامنا، والخروج لمواجهة اليوم — وجميع الأيام — كي نعلن هذه الحقائق العظيمة والعجيبة.

لنعد مرة أخرى إلى مدارس الأحد في إسكتلندا! اعتاد معلِّمونا تعليمنا البعض من أروع التراتيل. وهي لا زالت محفورة في ذاكرتنا — والبعض منها كان مذهلاً بحق. تسلَّط الترتيلة التالية الضوء بالحقيقة على ما تحدّثه معرفتنا بأن يسوع ملكٌ من فارق في التفاصيل الدقيقة، واليوميّة، والعمليّة من حياتنا. فبأسلوب طفولي، ومرح، وجذاب للأطفال (ألم يكن الأطفال قطعًا يرحون مع يسوع؟)، تعلن الترتيلة قوة الإنجيل، قائلة: «هيا الآن، لا ترتبكوا ولا تنسحقوا تحت جميع الأشياء التي تأتي عليكم». تقول الكلمات:

Come leave your house on  
Grumble Street

And move to Sunshine  
Square.

For that's the place where  
Jesus lives,

And you'll be happy there!

تعال غادر منزلك في شارع  
التذمر

واذهب إلى ميدان الشمس  
الساطعة.

فهناك يقيم  
يسوع،

وهناك ستكون سعيدًا!

ربما تقول: «هذه ليست كلمات بارعة. كيف كان هؤلاء يعلّمون الأطفال الصغار هذا النوع من الشعر؟» لكننا فهمنا الرسالة جيدًا. لم يكن ضروريًا أن ندرس مرجع لاهوت نظامي كي نفهم الرسالة التي تقدّمها هذه الترتيلة: «هيا الآن؛ إننا نقول إن يسوع المسيح ملك، لكن لماذا وجوهنا عابسة؟ إن يسوع المسيح ملك؛ أين إذن رجاؤنا؟ إن يسوع المسيح ملك ورب؛ أين إذن حماسنا تجاه الرب يسوع؟ حقًا نحتاج أن نغادر منزلنا في شارع التذمر، ونذهب إلى ميدان الشمس المشرقة. هناك يوجد يسوع، وهناك سنكون سعداء».

ثم حين تقدّمنا في العمر، تعلّمنا كلمات إيزاك واطس العظيمة، التي كُتبت «للكبار»، والتي تُعد إعادة صياغة رائعة للمزمور الثاني والسبعين: «يسوع يملك حيثما تشرق الشمس». لهذه الترنيمة ارتباط خاص في أذهاننا بقصة إريك ليدل (Eric Liddell).

في عام ١٩٢٥، كان إريك ليدل في طريقه لمغادرة إسكتلندا للذهاب إلى الصين كمعلّم مرسل. كان إريك لاعبًا دوليًا لكرة القدم الأمريكيّة، وحصل على ميدالية ذهبية أولمبية في أولمبيات عام ١٩٢٤ في باريس (الذي يخلد ذكراها فيلم *Chariots of Fire*).

وحين استقلّ إريك ليدل قطاره من محطة ويفرلي، بمدينة إدنبرة، في خطوته الأولى من رحلته إلى الصين،



احتشد جمع كبير في المحطة لتوديعه. فقد كان نجمًا رياضيًا صاعدًا. وامتزجت عائلته وأصدقائه بجمع كثير قبالة الشارع. عندئذ، أنزل ليدل زجاج مقصورته، وأخرج رأسه من النافذة، هاتفًا: «المسيح للعالم، لأن العالم يحتاج المسيح!» ثم قاد هذا الحشد الضخم في إنشاد ترتيلة «يسوع يملك حيثما تشرق الشمس».

تلك هي الرؤية المشتركة لشعب الله قديمًا عن  
ملك المسيح:

Jesus shall reign where'er the  
sun

يسوع يملك حيثما تشرق  
الشمس

Does his successive journeys  
run;

تتوالى جولاته المتعاقبة؛

His kingdom stretch from  
shore to shore,

يمتد ملكوته من ضفة إلى  
الأخرى،

Till moons shall wax and  
wane no more.

إلى أن تتعاطم الأقمار، ولا تخبو  
بعد.

To Him shall endless prayer  
be made,

له تُرفع صلاة  
لا تتوقف،

And praises throng to crown  
His head;

وتحتشد تسابيح  
متوجة رأسه؛

His Name like sweet perfume  
shall rise

يرتفع اسمه  
كبخور عطر،

With every morning sacrifice.

مع كل ذبيحة صباحية.

People and realms of every  
tongue

Dwell on His love with  
sweetest song;

And infant voices shall  
proclaim

Their early blessings on His  
Name.

Blessings abound where'er He  
reigns;

The prisoner leaps to lose his  
chains;

The weary find eternal rest,

And all the sons of want are  
blessed.

Where He displays His  
healing power,

Death and the curse are  
known no more:

In Him the tribes of Adam  
boast

More blessings than their  
father lost.

أناس وعوالم من  
كلّ لسان،

يتأملون في محبته بأعذب  
الألحان؛

وأصوات الرضع  
تنطق

مباركة  
اسمه.

تكثر البركات  
حيثما يملك؛

والسجين يطفر محلولاً من  
قيوده؛

يجد المتعب راحة أبدية،

ويُبارك جميع  
أبناء العوَز.

حيث يُظهر  
قوته الشافية،

لا يُرى الموت  
واللعنة بعد؛

به تفتخر

عشائر آدم

لأجل بركات فاقت ما فقده  
أبوهم.

|                                                                                                                                                   |                                                                                                                        |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| Let every creature rise and<br>bring<br>Peculiar honors to our King;<br>Angels descend with songs<br>again,<br>And earth repeat the loud<br>amen! | ليقف كل مخلوق<br>ويقدِّم<br>إكرامًا خاصًا لملكنا؛<br>ولتنزل الملائكة منشدة مرة<br>أخرى،<br>ولتردد الأرض آمين<br>مدوية! |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

قيلت هذه الكلمات في العشرينات من القرن العشرين  
في إدنبرة.<sup>٢٢١</sup>

|                                                                                                                                 |                                                                                                                                   |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| It is now a century later.<br>Jesus Christ was King then.<br>Jesus Christ is still<br>King now.<br>Cheer up, you saints of God. | واليوم، قد مرَّ قرن من الزمان.<br>كان يسوع المسيح ملكًا آنذاك.<br>ولا يزال يسوع المسيح ملكًا<br>اليوم.<br>ابتهجوا، يا قديسي الله. |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

---

<sup>٢٢١</sup> توفي إريك ليدل في معتقل صيني في الحادي والعشرين من شهر فبراير من عام ١٩٤٥. وكانت كلماته الأخيرة التي سُجِّلَت هي: «هذا استسلام تام».

# الفصل الخامس

## يسوع المسيح، ابن الإنسان



تعرّف الكثير من المسيحيين على مصطلح «ابن الإنسان» منذ أن كانوا أطفالاً في مدارس الأحد. فرمّا تعلّموا هناك أنه بما أن يسوع إله وإنسان في آن واحد، فإن الكتاب المقدس إذن يدعوه «ابن الله» و«ابن الإنسان».<sup>٢٢٢</sup>

حقاً إن يسوع إله وإنسان في آن واحد، ولكن يعني لقب «ابن الإنسان» أكثر بكثير من مجرد كونه إنساناً.

### أصل المصطلح:

يعود أصل استخدام يسوع نفسه لهذا اللقب جزئياً إلى الأصحاح السابع من سفر دانيال. فقد شاهد دانيال رؤى

---

<sup>٢٢٢</sup> يرجع أصل طريقة التفكير هذه إلى البعض من أقدم الكُتّاب المسيحيين مثل جاستن مارتر (١٠٠-١٦٥)، وإيريناؤس أسقف ليون (١٣٠-٢٠٠)، لكن يبدو واضحاً أن هذه طريقة تفكير لا تليق بالتعليم الكتابي.

نبوية فوق طبيعية، كانت البعض منها شبيهة بالكوابيس. وقعت تلك الرؤيا المسجلة في الأصحاح السابع من سفر دانيال في السنة الأولى من حكم بيلشاصر ملك بابل. رأى دانيال أربعة حيوانات صاعدة من البحر بكل ما فيها من قوة مروعة. ثم حين نظر إلى ما وراء البحر نحو السماء، رأى ما يلي:

كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ  
وُضِعَتْ عُرُوشٌ  
وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْأَيَّامِ.  
لِبَاسُهُ أَيْضُ كَالثَلْجِ  
وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ  
وَعَرْشُهُ لَهَيْبُ نَارٍ  
وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ.  
نَهَرُ نَارٍ جَرَى  
وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ.  
أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدُمُهُ  
وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَّامَهُ.  
فَجَلَسَ الدِّينُ  
وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ.

كُنْتُ أَنْظُرُ حِينَئِذٍ مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ  
الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الْقَرْنُ. كُنْتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِلَ الْحَيَوَانُ وَهَلَكَ  
جِسْمُهُ وَدْفِعَ لَوْقِدِ النَّارِ. أَمَّا بَاقِي الْحَيَوَانَاتِ فَنَزَعَ عَنْهُمْ

سُلْطَانُهُمْ وَلَكِنْ أُعْطُوا طُولَ حَيَاةٍ إِلَى زَمَانٍ وَوَقْتٍ.

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ  
وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ  
مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى  
وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْيَّامِ  
فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ.

فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا  
وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا  
لِتَتَعَبَّدَ لَهُ

كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ.  
سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ  
مَا لَنْ يَزُولَ  
وَمَلَكُوتُهُ

مَا لَا يَنْقَرِضُ.<sup>٢٢٣</sup>

ثم بعد بضعة أعداد، قَدَّمَ لَنَا دَانِيَالُ الْمَزِيدُ مِنَ  
الْوَصَفِ التَّفْصِيلِيِّ لِمَشْهَدِ الْمَحَاكَمَةِ هَذَا:

فَيَجْلِسُ الدِّينُ

وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ

لِيَفْنُوا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنتَهَى.

وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ

وَعَظْمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ

تُعْطَى لَشَعْبٍ قَدِيسِي الْعَلِيِّ.  
 مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ  
 وَجَمِيعُ السَّلَاطِينِ إِيَّاهُ يَعْْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ.  
 إِلَى هُنَا نِهَآيَةُ الْأَمْرِ.<sup>٢٢٤</sup>

نظراً لكون كلينا من إسكتلندا، لم تنشأ لدينا قط تلك القدرة الفطرية على إطلاع أشخاص ليست لدينا معرفة بهم على صور لعائلاتنا. لكن حين ننظر نحن إلى صور أبنائنا على مدار السنوات، نلاحظ فيهم أحياناً سمات مميزة — ربما الطريقة التي يقفون أو ينظرون بها — لطالما كانت لديهم منذ الصغر. ويفاجئنا مدى عمق تأصل بعض هذه السمات الشخصية فيهم.

كذلك أيضاً، حين نتطلع إلى «الصور» الكتابية للرب يسوع المسيح، نري سمات متأصلة وراسخة بعمق شديد داخل اللوحة الكتابية التي تصوّر شخصه وعمله. وتقع صورته كابن الإنسان ضمن هذه الفئة من السمات.

ففي الأناجيل، يُطلق يسوع لقب «ابن الإنسان» على نفسه في حوالي خمسين موقف مختلف (دون حساب النصوص المتوازية). ربما صارت هذه الأقوال مألوفة لدينا بشدة لدرجة أننا نادراً ما نتوقف للتأمل فيها، أو لملاحظة أوجه الشبه والاختلاف بين القرائن التي ترد فيها.

هل لاحظتَ من قبل، على سبيل المثال، أنه في الخمسين مرة التي دُعي فيها يسوع «ابن الإنسان» في الأناجيل كان المتحدث دائماً — هو يسوع نفسه؟ لم يطلق عليه أيُّ شخص آخر في الأناجيل اسم «ابن الإنسان».<sup>٣٢٥</sup> ببساطة إذن، وبُناءً على هذه الإحصائيات، نستطيع أن نقول إن لقب «ابن الإنسان» كان هو اللقب الذي يفضل يسوع إطلاقه على نفسه. وحين نقوم بتحليل الخمسين مرة المختلفة التي استخدم فيها يسوع هذا اللقب، سيبدو واضحاً تماماً أن هذا كان، بحسب رأيه، هو الوصف الأكثر شمولاً لهويته، ولعمله، ولدلالته خدمته.

وحين نقرأ كلمات يسوع، لن يساورنا أدنى شك في أنه كان يرى رؤيا دانيال في خلفية صورته كابن الإنسان. وفي تلك الرؤيا، نجد ثلاثة عناصر:

### مُلْكُ الله العتيد أن يأتي:

العنصر الأول في الرؤيا هو نبوةٌ عن مُلْكِ الله العتيد أن يأتي. ففي الرؤيا التي رآها دانيال، أُطلق العنان لقوات شيطانية:

أَجَابَ دَانِيَالُ وَقَالَ: كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا وَإِذَا  
بَارَبَعَ رِيَّاحُ السَّمَاءِ هَجَمَتْ عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ. وَصَعِدَ  
مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ هَذَا مُخَالِفٌ ذَاكَ.

<sup>٣٢٥</sup> يوحنا ١٢: ٣٤ هو استثناء ظاهري فقط، لأن الجموع كانوا فقط يقتبسون كلمات المسيح نفسه. أما خارج الأناجيل فالاستثناء الوحيد لهذه القاعدة يرد في كلمات استفانوس الرائعة في أعمال الرسل ٧: ٥٦.



الْأَوَّلُ كَالْأَسَدِ وَلَهُ جَنَاحَا نَسْرِ. وَكُنْتُ أَنْظُرُ حَتَّى  
انْتَفَجَنَاحَاهُ وَانْتَصَبَ عَنِ الْأَرْضِ وَأُوقِفَ عَلَى  
رِجْلَيْنِ كَيْنْسَانٍ وَأُعْطِيَ قَلْبَ إِنْسَانٍ. وَإِذَا بِحَيَوَانٍ  
آخَرَ ثَانٍ شَبِيهِ بِالذَّبِّ فَارْتَفَعَ عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ وَفِي  
فَمِهِ ثَلَاثُ أَضْلُعٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ فَقَالُوا لَهُ: قُمْ كُلْ لَحْمًا  
كَثِيرًا. وَبَعْدَ هَذَا كُنْتُ أَرَى وَإِذَا بِآخَرَ مِثْلِ النَّمْرِ  
وَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ طَائِرٍ. وَكَانَ لِلْحَيَوَانِ  
أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا. بَعْدَ هَذَا كُنْتُ أَرَى  
فِي رُؤْيَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ  
جِدًّا وَلَهُ أَسْنَانٌ مِنْ حَدِيدٍ كَبِيرَةٍ. أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ  
الْبَاقِي بَرَجْلِيهِ. وَكَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الَّذِينَ  
قَبْلَهُ. وَلَهُ عَشْرَةُ قُرُونٍ. كُنْتُ مُتَأَمِّلًا بِالْقُرُونِ وَإِذَا  
بِقُرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا وَقْلَعَتْ ثَلَاثَةٌ مِنْ  
الْقُرُونِ الْأُولَى مِنْ قُدَامِهِ وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الْإِنْسَانِ  
فِي هَذَا الْقُرْنِ وَقَمٍ مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمٍ.<sup>٢٢٦</sup>

ارتعب دانيال فسأل: «أما من أحد يفسر لي هذا؟» ثم  
اقترب من أحد الشخصيات الغريبة التي كانت في الرؤيا،  
«وطلبتُ منه الحقيقة.»<sup>٢٢٧</sup>

هذه سمة شائعة في الأدب الرؤيوي، نجدها أيضًا في  
سفر الرؤيا.<sup>٢٢٨</sup> فقد كان كلُّ من دانيال والرسول يوحنا

<sup>٢٢٦</sup> دانيال ٧: ٢-٨.

<sup>٢٢٧</sup> دانيال ٧: ١٦.

<sup>٢٢٨</sup> رؤيا ٧: ١٣-١٤.

ينجذبان بشدة إلى واقع الرؤى حتى بدا وكأنهما يخطوان داخل العالم الذي يشاهدانه، ويصبحان جزءًا من الرؤيا. إن جاز التعبير، هما لا يصبحان بعد متفرجين من الخارج، بل يدخلان الرؤيا، ويشاهدان نفسيهما وكأنهما جزءٌ منها! فقد كانا يشعران وكأن حياتهما عالقة بشكل ما داخل معنى ودلالة ما يشاهدانه، ولذلك سألا: «أما من أحد يفسّر هذا؟»

كان لرؤيا دانيال معنى. فقد كانت هذه الحيوانات تمثل سلاطين أو ممالك ستظهر في الأرض وتُتلفها. كانت الصورة مروّعة. فقد شُنت حرب على القديسين. لكن ظل عرش الله مثبتًا في السماء، وكان عمل ابن الإنسان هو الضامن لسلامة ملكوت الله. فقد أُعطي ابن الإنسان سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، وفي النهاية «عَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قَدِيسِي الْعَلِيِّ».<sup>٢٣٩</sup>

هذه إذن صورة مرئية مجسّمة لتاريخ العالم باعتباره بيئة الصراع بين ملكوت الله وقوات الظلمة. أليست هذه نسخة طبق الأصل من تكوين ٣: ١٥ في هيئة رؤيا؟ تنبأ دانيال عن أزمنة فيها ستظهر قوات الظلمة بسلطان هائل وقوة تخريبية شديدة، حتى سيبدو وكأن هزيمة ملكوت الله أمرًا مرجّحًا. لكن بعد ذلك يُعطي دانيال هذا اليقين والتشجيع الرائع: بأن ملكوت الله سيسحق كافة الممالك

الأخرى. تكررت هذه الفكرة في السفر. فإن ممالك ستأتي، وممالك ستمضي، وإمبراطوريات ستقوم وتسقط. لكن ملكوت الله سيثبت، ويبقى إلى الأبد. فإن الرؤيا بأكملها صورة رائعة، ووعدٌ بانتصار الله.

### الدينونة الأكيدة للشر:

ثانيًا، يتضمن هذا المشهد نبوة رائعة عن دينونة الشر العتيدة أن تأتي.

بما أننا نستطيع اليوم قراءة نصوص العهد القديم بدرجة ٦/٦ من الوضوح باستخدام نظارة العهد الجديد، فإننا نعلم جيدًا أن نبوات العهد القديم تتحقق أحيانًا على مراحل. فإن متسلق الجبال المتمرس يعلم أن القمة الصغيرة التي يراها أمامه ليست سوى أحد مراحل صعوده إلى القمة الأعلى للجبل.

تتسم بعض رؤى العهد القديم بهذه الصفة. فهي ترسم لنا صورة عن نصره الله الجبّارة، ولكن حين تتكشف هذه النصر تدريجيًا عبر التاريخ، نجدها تتحقق على مراحل. فإننا نصادف قمم صغيرة ومحطات على طول الطريق قبل بلوغ القمة الأعلى في النهاية.

هذا هو ما نجده هنا. فإن ملكوت الله سيثبت، وسلطان الظلمة سيُقهَر. ولكن في أثناء تصاعد مسار تاريخ الفداء، نكتشف مجموعة من القمم الصغيرة قبل بلوغ الإبادة النهائية لمملكة الظلمة.

كان دانيال يتطلّع إلى الأمام وإلى الأعلى. ففي الرؤيا، بدت النصرّة وكأنّها حدث واحد وحيد. ولكننا نعلّم الآن من خلال العهد الجديد أنّه في حين قد جاء ملكوت الله بالفعل في المسيح، لكنه لم يكتمل بعد. فإننا نعيش اليوم بين قمتين — إحداهما تُسمى البداية أو التأسيس والأخرى تُسمى الاكتمال. تم تسلّق قمة منهما بالفعل في موت الرب يسوع، وقيامته، وصعوده، وجلسه على العرش. وسيتم تسلق القمة الأخرى في النهاية عند مجيئه ثانية في مجد.

ففي خدمة ربنا يسوع، بدأت دينونة الشر العتيدة أن تأتي، والتي وصفها دانيال. فقد قال يسوع: «الآن دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ، الآن يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا».<sup>٣٠</sup> طُرِحَ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا بِمَوْتِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ، لكنه لم يُطْرَحَ بعد في بحيرة النار.<sup>٣١</sup>

ثم بدأ دانيال يدرك الأمر. فقد رأى عروشًا توضع في السماء، وظهر القديم الأيام، جالسًا على عرشه:

كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ  
وُضِعَتْ عُرُوشٌ  
وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْآيَّامِ.  
لِبَاسُهُ أَبْيَضٌ كَالثَّلْجِ

<sup>٣٠</sup> يوحنا ١٢: ٣١.

<sup>٣١</sup> رؤيا ٢٠: ١٠.

وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ  
 وَعَرْشُهُ لِهَيْبِ نَارٍ  
 وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ.  
 نَهْرٌ نَارٍ جَرَى  
 وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ.  
 أُلُوفٌ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ  
 وَرَبَوَاتٌ رَبَوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَّامَهُ.  
 فَجَلَسَ الدِّينُ  
 وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ.<sup>٣٣٢</sup>

ثم بعد هذا، جاء ابن الإنسان من بعيد راكباً سحب السماء، إن جاز التعبير، وأتى إلى القديم الأيام:

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ  
 وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ  
 مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى  
 وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْآيَّامِ  
 فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ  
 فَأَعْطِي سُلْطَانًا  
 وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا  
 لِيَتَعَبَّدَ لَهُ  
 كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ.  
 سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ

مَا لَنْ يَزُولَ  
وَمَلَكُوتُهُ

مَا لَا يَنْقَرِضُ.<sup>٢٣٣</sup>

أتى ابن الإنسان إلى مصدر السلطة المطلقة. لم تكن هذه السلطة آنذاك كامنة سواء في اورشليم أو في بابل. كما أنها لا تكمن اليوم في واشنطن العاصمة، أو في لندن، أو في بكين. ولكنها كامنة بشكل حصري في القديم الأيام، الجالس على العرش. والآن يشترك ابن الإنسان الذي أتى إلى القديم الأيام في هذه السلطة وفي هذه القوة، وسيظل كذلك إلى الأبد.

بينما كان دانيال يتطلع إلى هذا، ويتوق إلى فهمه، كان في الحالة نفسها التي كان عليها إشعيا، أو حزقيال، أو أي من الأنبياء الآخرين. يصف بطرس هؤلاء الرجال بأنهم فتشوا وبحثوا «بَاحْثِينَ أَيَّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهَدَ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا».<sup>٢٣٤</sup>

يمكننا إذن أن نتخيل دانيال هكذا: فقد رأى تلك الصور المملونة عالية الجودة، لكنه لا يزال يحك رأسه متسائلاً: «من هي شخصية ابن الإنسان هذه؟ ومتى سيأتي؟ وما معنى كل هذا؟»

<sup>٢٣٣</sup> دانيال ٧: ١٣-١٤.

<sup>٢٣٤</sup> ١ بطرس ١: ١١.

لكن مع أن الكثير جدًّا من تفاصيل النبوة لم تكن قد تحققت بعد، تشدّدت نفس دانيال بهذه الرؤيا العظيمة، في وقت ضيق وكرب شديد. فقد رأى، نظير إشعياء، لمحة خاطفة من جلال الله وعظمته في السماء. ونظير إشعياء أيضًا، صار على وعي بوجود شخصية أخرى، وإن كانت هويتها لم تزل مجهولة، هو «العبد المتألم»، بحسب إشعياء، و«ابن الإنسان»، بحسب دانيال.

وحين يُغلق هذا الباب الذي دخل منه دانيال، والمؤدّي إلى السماء، سيصير قادرًا على الرجوع إلى الواقع، والعيش في الحاضر في ضوء نصرّة الله. ولكنه صار يعلم الآن أن ابن الإنسان لا بد أن يظهر أولاً. وفقط بعد ذلك، سيتقدّم إلى عرش العلي كي يتسلّم مملكته. ولكن حتى ذلك الحين، وبينما كان يعيش في بابل في أزمنة متقلّبة وعصيبة، سيتمكّن من تذكّر أن الله جالس على العرش، وأن الملكوت سيُعطى لابن الإنسان يومًا ما في المستقبل. فقد رأى الأسفار تُفتح، والقديم الأيام يُمارس الحُكم، وسلطان الحيوانات يُباد. كما رأى أن الحُكم سيُعطى لقديسي العلي، وأنهم سيصبحون شركاء في رخاء الملكوت.

وفي تلك الصورة عن يسوع، كان الشيء اللافت للنظر هو أنه لم يُفصل عن شعبه قط. ينطبق هذا على كل جانب من جوانب خدمة يسوع — كنبي، وككاهن، وكملك؛ وهذا لأن عمله مرتبطٌ دائمًا بمنحنا البركة. فكما

سنرى، كانت خدمته كعبد متألم هي أيضًا بالنيابة عن شعبه. وكانت نصره ابن الإنسان المشار إليها هنا هي لأجل قديسي العلي. ولذلك، يُختتم هذا المقطع بهذه الصورة المذهلة:

وَسَتُعْطَى السِّيَادَةُ  
عَلَى كُلِّ مَمَالِكِ الْأَرْضِ  
وَسُلْطَانُهَا وَمَجْدُهَا لِقَدِيسِي اللَّهِ الْعَلِيِّ.  
وَسَتَكُونُ مَمْلَكَتُهُمْ مَمْلَكَةً أَبَدِيَّةً.  
وَسَتَخْضَعُ لَهُمْ جَمِيعُ السُّلْطَاتِ وَتَخْدِمُهُمْ وَتُطِيعُهُمْ.<sup>٢٣٥</sup>

في حقيقة الأمر، كانت هذه أحد التعاليم الأولى التي علّمها يسوع لتلاميذه. فبعد أن كرر بإنجيل الملكوت، وأظهر قوته المغيرة بواسطة أعماله القديرة، تابع معلّمًا تلاميذه عن الحياة داخل هذا الملكوت. وقد ردّدت بعض الكلمات الأولى من عظته على الجبل صدى هذه الرؤيا عنها: «طُوبَى لِلْوَدَعَاءِ لِأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ».<sup>٢٣٦</sup> هناك إذن خطوط تربط ما بين الأصحاح السابع من سفر دانيال وأسفار العهد الجديد، من خلال تنميتها في الرب يسوع المسيح.

لدينا هنا إذن وعد عن مُلك الله العتيق أن يأتي، ووعدٌ عن دينونة الشر العتيقة أن تأتي.

<sup>٢٣٥</sup> دانيال ٧: ٢٧ (الترجمة العربية المبسطة).

<sup>٢٣٦</sup> متى ٥: ٥.



لكن العنصر الثالث الذي ينبغي ملاحظته هنا هو الوعد الرئيسي في هذا المقطع.

### وعد «ابن الإنسان»: دلالة اللقب

في ضوء هذه الخلفية الموجودة في الأصحاح السابع من سفر دانيال، صرنا نُدرك أن استخدام يسوع للقب «ابن الإنسان» يتعدَّى كونه مجرد تشديد على ناسوته في مقابل لاهوته. فإن الصورة التي ترسمها الرؤيا هي صورة نصره، وبهاء، بل ومجد لا مثيل له. فإننا نرى ابن الإنسان متقدِّماً إلى عرش العلي، القديم الأيام، مستلماً السلطان على الكون بأسره. لا يمكن إذن أن يُفسَّر هذا اللقب بأنه تشديد على الاتضاع وليس على الجلال العظيم! فقد احتوت الرؤيا، بشكل ما، على كلا البُعدين.

ما معنى هذه الرؤيا، إذن؟

### سفر حزقيال:

في العهد القديم، يظهر تعبير «ابن آدم» في سفر حزقيال في غالبية الأحيان في سياق مخاطبة الله للنبي بصورة شخصية.<sup>٢٣٧</sup> فإن الله هو الله، وحزقيال هو «مجرّد» إنسان، ولذلك، كان على حزقيال أن يستودع نفسه بالكامل لله في المهمة الموكّلة إليه.

ولكن يبدو أيضاً أن تعبير «ابن آدم» كان يميّز حزقيال

<sup>٢٣٧</sup> مثلاً، في حزقيال ٢: ١، ٣، ٦، ٨. يحتوي سفر حزقيال على ٩٣ إشارة إلى هذا التعبير من أصل ١٠٧ إشارة إليه في كل العهد القديم.

عن الآخرين — فقد كان حزقيال إنسانًا أميًّا، أي إنسانًا كما ينبغي أن يكون. فقد كان تعبير «ابن فلان» أسلوبًا في اللغة العبرية يعني أن هذا الشخص «يمتلك خصائص كذا، أو يتصف بكذا، أو تظهر عليه علامات كذا». فتعبير «ابن الهلاك»، مثلًا، كان يعني أن الهلاك كان في طبيعة ذلك الشخص.<sup>٢٣٨</sup>

فكّر معي في القلب الذي أطلقه يسوع على يعقوب ويوحنا (ربما أطلق يسوع ألقابًا على جميع التلاميذ): فقد عُرفا باسم بُوَانَرَجِسَ، أي «أُبْنَي الرُّعْدِ». كان يسوع يقصد بهذا أن شخصية هذين التلميذين كانت شبيهة بالرعد. فقد أرادا ذات مرة أن تنزل نار من السماء على السامريين.<sup>٢٣٩</sup> (لم يكن سمعان بطرس هو التلميذ الوحيد الذي كانت تطلعاته تفوق إمكانياته!). هكذا إذن، حين يستخدم الكتاب المقدس تعبير «ابن آدم»، فإن أحد الجوانب الضمنية من معناه هو أن هذا «إنسان كما ينبغي أن يكون».

بالإضافة إلى ذلك، حين خاطب الله حزقيال مستخدمًا تعبير «ابن آدم»، يبدو أن التعبير كان يحمل طابعًا خفيًا من المودة — ربما شبيه بأسلوب مخاطبة رجل بريطاني من القرن الثامن عشر لصديق مقربٍ له (*My dear man*).

<sup>٢٣٨</sup> يوحنا ١٧: ١٢.

<sup>٢٣٩</sup> لوقا ٩: ٥٤.

لم تكن هذه هي الصيغة «العادية» التي كان الله يخاطب بها البشر. لكن أيضًا من الجدير بالملاحظة أن هذا التعبير قد استُخدم في سفر حزقيال دون أداة التعريف.<sup>٢٤٠</sup> فإن حزقيال هو ابن آدم، أو ابن إنسان،<sup>٢٤١</sup> وليس «ابن الإنسان»! فإن الرب يسوع هو وحده ابن الإنسان.<sup>٢٤٢</sup>

## المزمور الثامن:

يظهر المصطلح مرة أخرى، وبصورة ملحوظة، في المزمور الثامن، في السؤال التالي: «فَمَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!»<sup>٢٤٣</sup>

يُعد المزمور الثامن تأملًا في الخليقة، وفي صلاح الله المطلق، المتمثل في تنازله كي يخلق الإنسان على صورته وكشبهه. فإننا لا نساهم بأي شيء في وجودنا، ومع ذلك أغدق الله علينا بامتيازات — وقد فعل ذلك مع آدم أولاً.<sup>٢٤٤</sup> فإن ابن آدم هو صورة الله، الذي حظى بامتياز أن يشغل وظيفة ثلاثية نوعًا ما. فقد كان ينبغي أن يكون النبي الذي ينقل كلمة الله إلى كل الخليقة. وكان ينبغي أيضًا أن يكون الكاهن، الذي يصيغ العبادة الواجبة على جميع مخلوقات الله في صورة صحيحة وسليمة. وأخيرًا،

<sup>٢٤٠</sup> المترجم: هذا غير واضح في الترجمة العربية.

<sup>٢٤١</sup> المترجم: في الترجمة الإنجليزية، كلمة «آدم» هي نفسها كلمة «إنسان» (man).

<sup>٢٤٢</sup> وجود أداة التعريف في تعبير «ابن الإنسان» في اللغة الأصلية هو نمط ثابت في الأنجيل. يرد الاستثناء الوحيد في يوحنا ٥: ٢٧.

<sup>٢٤٣</sup> مزمور ٨: ٤.

<sup>٢٤٤</sup> تكوين ١: ٢٦-٢٨.

كان ينبغي أن يكون الملك الذي يمارس حكمه وسلطته. ومن ثَمَّ، يبدو أن خلفية إطلاق يسوع هذا اللقب على نفسه كانت تكمن في خلق آدم، وفي خدمة حزقيال، وفي رؤيا دانيال.

إن يسوع هو الإنسان الحقيقي كما ينبغي أن يكون، أو، بحسب تعبير مارتين لوتر، هو «الإنسان الأصيل».<sup>٢٤٥</sup> فهو «الإنسان كما خُلِق ليكون»، أو «الإنسان الذي يتمم الغرض من وجود الإنسان».

### الصورة الكبرى:

في النهاية، هذه فعليًا هي الصورة الكبرى والعامة للكتاب المقدس. فقد أخطأ آدم الأول، ابن الإنسان الأول، وسقط؛ لكن يسوع هو الإنسان الثاني و«آدم الأخير».<sup>٢٤٦</sup> خُلِق آدم ليكون ابن الإنسان، وليمارس السلطة نيابة عن الله. وكما ذكرنا في الفصل الأول، اقتضت دعوة آدم أن يستلم الجنة الصغيرة التي أعطاها الله له، ثم، بصفته سيدًا على هذا الكون المصغَّر (*microcosmos*)، كان عليه أن يعكس طبيعة الله العظيمة الظاهرة في سيادته على الكون الأكبر (*macrocosmos*).

أراد الله بهذا أن يستمتع آدم بالدخول في «تجربة مشتركة» معه، من شأنها أن تعزز من فرح الشركة بينهما،

<sup>245</sup> Martin Luther, "A Mighty Fortress Is Our God," 1529.

<sup>٢٤٦</sup> ١ كورنثوس ١٥: ٤٥.

ومن تلذُّذ أحدهما بالآخر، كأب وابن. بدا إذن وكأن الله كان يقول:

الآن يا آدم، كي نستمتع بصحبة أحدنا الآخر، سأريك عينة مما أعرفه وأستمتع به على نحو غير محدود، كخالق ومُدبِّر. إليك جنة صغيرة الحجم. سأعطيك نقطة انطلاق. وأريد منك أن تكون سيدًا ليس على هذه الجنة فحسب، بل أن تتسلَّط على كلِّ شيء على الأرض. وفيما يحدث ذلك، ستكتشف أنك تزداد أكثر فأكثر في معرفتك بي، وفي محبتك لي! بالإضافة إلى ذلك، سيتسنى لي أن أحبك أكثر فأكثر، حين كأبٍ أشاهدك يا بُني وأنت تتقدَّم في إمكانياتك، وفي فهمك ومحبتك لي. سيكون لدينا الكثير لنحدِّث فيه وأنت تتقدَّم نحو الكمال!

بكلمات بسيطة، أراد الله، الآب السماوي، أن يدخل ابنه معه في «تجارب مشتركة» من شأنها أن تؤدي إلى تعمُّق مستمر للشركة بينهما. لا يتوقف هذا فقط عند الاعتناء بالجنة، وتوسيع نطاقها، بل يصل الأمر إلى اشتراك الإنسان مع الله في «فعل خلق ثانوي»، بأن يصير هو نفسه أبًا. فكَّر معي في كلمات يسوع (هل تعكس هذه الكلمات، ربما، تجربته الشخصية في ورشة يوسف للنجارة؟): «لَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْظُرُ الْآبَ يَعْمَلُ».

ولاحقًا: «الْكَلَامَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ.»<sup>٢٤٧</sup>

هذا هو ما يعنيه أن تكون ابن الإنسان. يعني هذا أن تكون مخلوقًا على صورة الله، وأن تتمم القصد الذي عيّنه الله لك، الشيء الذي سيُنتج عالمًا منظمًا ومكتملًا، كجنة الله، يمتد إلى أقصى الأرض.<sup>٢٤٨</sup> إذن، يشمل استخدام يسوع لتعبير «ابن الإنسان» بداخله كل ما يلي: الخلق على صورة الله، والشركة معه في الحياة، واختبار محبته ومودته، ونوال مصير مجيد. فإنه هو الذي يتمم كل هذا.

### في أي اتجاه؟

لكن يوجد شيء إضافي في رؤيا دانيال عن ابن الإنسان. فحين ظهر ابن الإنسان لأول مرة في الرؤيا، إلى أين كان متجهًا؟ من المؤكد أن هذا سؤال غريب.

انظر مجددًا إلى الأصحاح السابع من سفر دانيال، واطرح على نفسك الأسئلة التالية: متى قيل إن ابن الإنسان جاء؟ وفي أي اتجاه كان آتيًا؟ ومن أين أتى؟

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيَى اللَّيْلِ  
وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ  
مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ.

<sup>٢٤٧</sup> يوحنا ٥: ١٩؛ ١٧: ٨-٧.

<sup>٢٤٨</sup> انظر رؤيا ٢١-٢٢ حيث يتبين أن أورشليم الجديدة هي مدينة حدائق وبساتين (أي مثل جنة عدن).

من أين جاء؟ وإلى أين كان ذاهبًا؟

أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْيَّامِ.<sup>٢٤٩</sup>

لماذا يشكّل هذا أهمية؟

لأننا نميل إلى التسليم بأننا كلما قرأنا عن يسوع، ابن الإنسان، «آتياً»، فإن هذا حتمًا يشير إلى مجيئه الثاني.

ولكن يثير الأصحاح السابع من سفر دانيال سؤالًا هامًا. فحين يتحدث الكتاب المقدس عن مجيء ابن الإنسان، يَلْزَمُ أن نسأل: في أيّ اتجاه كان ابن الإنسان آتياً؟ فأحيانًا، يشير «مجيئه» ليس إلى النهاية حين يأتي من السماء، بل إلى صعوده بعد قيامته من الأموات، وجلوسه عن يمين أبيه، كي يؤسس ملكوته، مع جميع ما يترتب على هذا.<sup>٢٥٠</sup>

حقًا، يومًا ما، سيأتي يسوع من عند القديم الأيام كي يتمم الاكتمال النهائي لملكوته. ولكن يبدو أن الإشارة إلى مجيء ابن الإنسان هنا كانت تعني مجيء يسوع إلى عرش الله بعد تجسده، وموته، وقيامته، وصعوده. ليس هذا المجيء هو مجيء يسوع في النهاية، بل في منتصف الزمان. فقد أتى إلى أبيه بعد أن حطّم عنق قوات الظلمة، وأخذ شوكة الموت، وحمل ذنب الخطية، وذاق لعنة دينونة الله، ثم قام من القبر. فإن «مجيئه» هو في حقيقة الأمر «ذهاب» إلى القديم الأيام، متسرّبلاً ببشريتنا، بعد أن فعل

<sup>٢٤٩</sup> دانيال ٧: ١٣.

<sup>٢٥٠</sup> لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣؛ أعمال الرسل ١: ٩-١١.

كل ما أخفق آدم وأخفقنا نحن أيضًا في القيام به، وبعد أن أخذ على عاتقه الدينونة التي يستحقها آدم ونستحقها نحن أيضًا. ومن تلك اللحظة فصاعدًا، سوف يُشرك جميع قديسيه معه في الملكوت الذي استعاده.

اعتاد آباء الكنيسة الأوائل أن يعتبروا المزمور الرابع والعشرين تصوّرًا لهذه اللحظة الحاسمة:<sup>٢٥١</sup>

ارْفَعْنَ أَيْتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ،  
وَأَرْفَعْنَ أَيْتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ،  
فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.  
مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟  
الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ،  
الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ.  
ارْفَعْنَ أَيْتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ،  
وَأَرْفَعْنَهَا أَيْتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ،  
فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.  
مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟  
رَبُّ الْجُنُودِ  
هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ.<sup>٢٥٢</sup>

تخيّل هؤلاء الكتّاب جند السماء يتطلّعون من داخل أبراج أورشليم السماويّة ليروا الرب يسوع الصاعد إلى

<sup>٢٥١</sup> «الآباء الأوائل» تشير إلى المسيحيين من القرون الأربعة أو الخمسة الأولي من تاريخ الكنيسة، الذين لا تزال كتاباتهم موجودة.

<sup>٢٥٢</sup> مزمور ٢٤: ٧-١٠.



السماء ومعه موكب من الملائكة، يهتف: «افتحوا أبواب المدينة، ليدخل ملك المجد!»

ومن داخل أبراج المدينة يأتي الرد كالتالي: «ولكن مَنْ هو ملك المجد هذا الذي ينبغي أن نفتح أمامه أبواب أورشليم السماويّة على مصراعيها؟»

وكيف كانت الإجابة؟ هو «الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ؛ هذا هو ملك المجد. افتحوا الأبواب ليدخل ملك المجد!»

وهكذا، يتقدّم ابن الإنسان إلى القديم الأيام، آتياً من أحداث الجلجثة الدامية، ومن نصرّة قيامته من الأموات، كي يستلم المملكة والسلطان والمجد. والآن سيزيل الإنجيل الغشاوة عن أعين الأمم، وسيني يسوع كنيسته في هذا العالم المحتل من العدو (لكن الذي لم يعد العدو يملكه!). وسيزغ فجر اليوم الذي فيه «تَجُثُّوْ ... كُلُّ رُكْبَةٍ ... وَيَعْتَرَفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ».<sup>٢٥٣</sup>

ومن ثَمَّ، كان التركيز المباشر لرؤيا دانيال هو على اكتمال خدمة يسوع الأرضيّة. نعم، سيأتي يسوع ثانية في جلال ومجد لينهي التاريخ، ويأتي بالسموات الجديدة والأرض الجديدة. لكن كان تركيز هذه الرؤيا منصباً على نتائج مجيئه الأول.

قطعاً أشار يسوع إلى هذا المقطع في أثناء سيره مع التلميذين المتحيرين في الطريق إلى عمواس، بينما كان يفسر لهما العهد القديم، وبينما كانت شخصيته لا تزال مجهولة لديهما. هل كان كليوباس ورفيقه متحيرين بشأن النصف الثاني من سفر دانيال، كما ربما نحن كذلك أيضاً؟ ربما قال لهما يسوع هذا:

يا صديقيَّ العزيزين، أعلم أنه يصعب عليكما فهم رؤى دانيال، وأنكما ربما أحجمتما عن دراستها بسبب الخوف، لأن معلِّمكم من اليهود قد تعاملوا معها على أنها ألغاز. ولكن ألا تدركان مَنْ هو هذا الشخص؟ ألم تفهما لماذا كان معلِّمكما يطلق طوال الوقت على نفسه اسم «ابن الإنسان»؟ وألا تريان صلة كل هذا بوعده نسل المرأة، وكذلك بالوعد الذي قُطع لإبراهيم في سفر التكوين بأنَّ في نسله تتبارك الأمم، وأيضاً بوعده المزمور الثاني: «أَنْتَ أَبْنِي ... أَسْأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ»؟ ألا تدركان أنه «كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» كما تعلَّمتما من إشعياء ٥٢: ١٣-١٥؟

هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ

يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي

وَيَتَسَامَى جِدًّا.

كَمَا اُنْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ.

كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنْ الرَّجُلِ  
وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ.  
هَكَذَا يَنْضَحُ أُمًّا كَثِيرِينَ.  
مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مَلُوكُ أَفْوَاهَهُمْ  
لَأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ  
وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهَمُّوهُ.<sup>٢٥٤</sup>

لم يَعْلَمْ التلميذان أن هذا الشخص الذي لم يعرفاه  
سيخبرهما بعد قليل بأن كل سلطان في السماء وعلى الأرض  
قد دُفِعَ إليه. ولم يعلما أنهما سيُرسلان قريبًا إلى أقصى  
الأرض كي يوسّعوا من نطاق جنة النعمة!

تناولنا حتى الآن، إذن، الكيفيّة التي يَرِدُ بها لقب  
«ابن الإنسان» في العهد القديم، وكيف يتحقق هذا  
بالكامل في يسوع.

بشكل رئيسي، تندرج الأقوال الخمسون المختلفة التي  
يطلق فيها يسوع على نفسه لقب «ابن الإنسان» تحت  
ثلاث فئات. يمكن أن يساعدنا هذا التمرين البسيط على  
أن نقدّر بشكل أفضل دلالة هذا. فإذا كنت معتادًا على  
وضع علامات في كتابك المقدس، أو لديك كتاب مقدس  
قديم يمكن أن تضع فيه علامات، لاحظ معي كلّ استخدام  
لتعبير «ابن الإنسان» في الأناجيل، ثم قم بتظليل كل قول  
باللون المناسب للفئة التي ينتمي إليها. (بغض النظر

<sup>٢٥٤</sup> إشعياء ٥٢: ١٣-١٥؛ انظر أيضًا تكوين ٣: ١٥؛ ١-٣؛ مزمور ٢: ٨؛ لوقا ٢٤: ١٣-٣٥.

عن أي شيء آخر، فإنك ستتعلم الكثير جدًا فقط بالقراءة السريعة للأناجيل كلها!

## الفئة الأولى:

تصف أقوال «الفئة الأولى» ابن الإنسان المتجسد الذي يؤسس ملكوته.

ربما كان أوضح مقطع نرى فيه هذا هو في الأصحاح الرابع وحتى الأصحاح السابع من إنجيل متى. فكما سنرى في هذا المقطع، كان يسوع هو ابن الإنسان الذي دخل في صراع مع قوات الظلمة. فقد جاء جالبًا الدينونة. كما قال لوثر:

عنا يحارب الإنسان الأصيل  
بأمرٍ من الله نفسه.<sup>٢٥٥</sup>

أو كما كتب جون هنري نيومان (John Henry Newman) في تقليد كنسي آخر:

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| O loving wisdom of our<br>God, | يا لحكمة الله<br>المُحِبَّة! |
| When all was sin and shame     | فحين سادت الخطية والعار      |
| A second Adam to the fight     | جاء آدم ثانٍ                 |
| And to the rescue came.        | إلى أرض المعركة نجدةً.       |

|                                        |                                       |
|----------------------------------------|---------------------------------------|
| O wisest love, that flesh and<br>blood | ما أحكم هذه المحبة! إن اللحم<br>والدم |
| That did in Adam fail                  | الذي أخفق في آدم                      |

<sup>255</sup> Luther, "A Mighty Fortress Is Our God."

Should strive afresh against  
the foe

يَهْبُ من جديدٍ  
ضد العدو

Should strive and should  
prevail.<sup>256</sup>

يَهْبُ ويغلب.

## إنجيل متى:

يُعد إنجيل متى مفيداً لنا بشدة في هذا السياق. فإنه يتخذ شكلاً مميزاً بدءاً من متي ٣: ١٣ وحتى متي ٧: ٢٩. ينتقل النص من (١) معمودية يسوع في نهر الأردن، حيث دخل إلى المرحلة العلنية من خدمته باعتباره ابن الله، وآدم الأخير، والمسيا. تلا ذلك (٢) التجربة التي تعرّض لها بأن يستولي على المملكة من خلال تجنب الصليب. وإذ خرج غالباً، (٣) بدأ يكرز بمجيء ملكوته، و(٤) يبرهن على وجود هذا الملكوت من خلال شفاء المرضى ومحاربة قوات الظلمة. ثم يؤدي هذا إلى (٥) عرض نمط حياة الملكوت في العظة على الجبل.

(١) المعمودية. كرز يوحنا المعمدان بأن الملكوت قد اقترب، ولهذا على الشعب أن يتوبوا. وحين استجاب الشعب، «اعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الْأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ».<sup>٢٥٧</sup>

لكن حين جاء يسوع ليعتمد، تجادل يوحنا معه. فقد كان هذا المعمدان هو المحتاج أن يعتمد من يسوع، وليس العكس. كان يوحنا يعلم أنه خاطئ، وأن يسوع هو «حمل

<sup>256</sup> From John Henry Newman's poem "Dream of Gerontius."

الله» (الذي هو بلا عيب).<sup>٢٥٨</sup> لكن كان هذا بالتحديد هو الغرض: فإن اعتمد ذاك الذي هو بلا عيب متحدًا بالخطاة، حينئذٍ فقط سيتمكّن الخطاة بدورهم من أن يعتمدوا متحدين بحامل الخطية، ومختبرين غفران الخطايا.

لكن نعمة الملكوت تجلب ما هو أكثر من مجرد غفران الخطايا. فهي تجلب الحرية من قوات الظلمة، والعودة إلى حياة جديدة. ولهذا السبب، انتقل يسوع لا محالة من المعمودية إلى الصراع مع إبليس.

(٢) التجارب. بحسب رواية إنجيل متى، كانت التجربة الأخيرة من بين التجارب الثلاثة، والتي شكّلت ذروة التجارب، مختصة بالملكوت:

ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَارَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبُ:

لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ  
وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ.<sup>٢٥٩</sup>

لماذا كان من شأن هذا أن يمثّل تجربة أو غواية ليسوع؟ ألم يكن من المتوقّع أن يبتسم ببساطة ويقول: «لا يمثّل هذا أيّ إغواء لي»؟ لكن كانت هذه تجربة حقيقية

<sup>٢٥٨</sup> يوحنا ١: ٢٩.

<sup>٢٥٩</sup> متى ٤: ٨-١٠.

لأن المهمة التي لأجلها أرسله الآب كانت بالتحديد هي استعادة ممالك هذا العالم من إبليس. فإنه لهذا تجسّد ليكون الإنسان الثاني، وآدم الأخير، وابن الإنسان!

كان إبليس على استعداد أن يعطي يسوع كلّ ما كلّفه الآب باستعادته. لكن كان ثمن هذا هو الثمن نفسه الذي دفعه آدم وحواء في حماقة شديدة وفي قصر نظر في جنة عدن: العصيان. كان الشيطان كذابًا ومضلاً منذ البدء، وهو الآن كان يسعى إلى خداع يسوع. كانت التجربة حقيقةً لأن المكسب كان حقيقياً. لكن استطاع الرب إدراك حقيقة هذا الخداع. فلو كان قد سجد، لضاع الكون بأكمله إلى الأبد. ولو كان قد اغتنم الفرصة، واختطف لنفسه ممالك هذا العالم، التي جاء كي يستعيدها بالطريقة المستقيمة، لضاع كل شيء.

حين وبّخ يسوع إبليس قائلاً: «أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ!»<sup>٣٦٠</sup> كان يتكلّم بكل السلطان الذي لديه كنبىّ عيّنه الله، وكملك أقامه الله. فقد كان يسدّد أول ضربة قاضية بحق تلقّتها مملكة الظلمة على الإطلاق.

يلزم أن نفهم أن هذا لم يحدث من قبل قط في تاريخ البشرية. فإن يسوع هو الإنسان الثاني. ولم يقدر أي إنسان آخر من آدم وحتى يسوع على فعل هذا. هذا هو ما كان ينبغي أن يفعله الإنسان الأول.

ربما لهذا السبب لم تذهب الحية إلى آدم مباشرة. فقد كانت تعلم أنها إن استطاعت في المقابل إيقاع أفضل عطية من الله لآدم، أي حواء، في الشرك، ستحظى بتأثير أكثر فاعليّة على آدم، وستتمكن من القضاء على عمله. كان من المفترض أن يسحق الإنسان الأول رأس الحية، لكنه أخفق تمامًا. لكن ما أخفق فيه آدم الأول، جاء آدم الأخير، أي يسوع المسيح، كي يتممه.

لهذا أضاف إنجيل مرقس — الذي يصف تجارب يسوع بإيجاز — هذه التفصيلة الهامة: أن يسوع كان في البرية، محاطًا بالوحوش.<sup>٢٦١</sup> فعلى خلاف آدم، لم يكن يسوع محاطًا بالأشجار جميلة المنظر وبالحيوانات التي دعاها هو نفسه بأسماء (وهو فعل يعبر عن سلطانه عليهم). لكنه في المقابل كان جائعًا وعطشًا، وكان في برية قاحلة، محاطًا «بالطبيعة المكشورة عن أنيابها».<sup>٢٦٢</sup>

لم يصمد أحدٌ أمام إبليس إلى هذا الحد من قبل. ولم يتمكن أحد من احتمال هذا المستوى من التجربة من قبل. نعم، كان يسوع عتيّدًا أن يتعرض للمزيد. لكن للمرة الأولى، اضطر إبليس أن ينسحب. نستطيع تطبيق الكلمات الشهيرة التي قالها نيل أرمسترونج (Neil Armstrong)، أول رجل يضع قدميه على سطح القمر، على انتصار يسوع

<sup>٢٦١</sup> مرقس ١: ١٢-١٣.

<sup>٢٦٢</sup> يأتي هذا التعبير من المصدر التالي:

Alfred Lord Tennyson's poem "In Memoriam."



هنا (وفي مواضع أخرى): «خطوة صغيرة بالنسبة لإنسان واحد — لكنها قفزة عملاقة بالنسبة للجنس البشري». ففي البرية، فتح المسيح ثغرة واسعة في مملكة إبليس.

٣) الكرازة بالملكوت. لاحظ ما فعله يسوع بعد هذا؛ فقد بدأ يكرز قائلاً: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ أَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ».<sup>٢٦٣</sup> ثم دعا أناساً للدخول إلى ملكوته هذا. فقد أتى إلى شخص بعد الآخر قائلاً لهم: «اتركوا مراكب الصيد والشباك، واتبعوني».

٤) استعلان الملكوت. وهكذا، أسس يسوع ملكوته، وكرز به، وأدخل التلاميذ إليه. ثم بعد هذا، بدأ في إظهار قوة هذا الملكوت. فقد طاف في أنحاء الجليل، وشفى المرضى، وأعتق أولئك الذين استُعِيدت حياتهم من قوات الظلمة. وذاع خبره، «فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَقْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ».<sup>٢٦٤</sup> ما معنى هذا؟ كان يسوع هنا يمارس سلطانه في ضوء انتصاره؛ فقد كان يُطْلِق سراح أسرى الحرب، ويبدأ في تميم عمل الاسترداد الإلهي. فقد كان لديه السلطان ليعكس نتائج الخطية.

كان جوهر معجزات الشفاء والتغيير التي صنعها يسوع هي أنها آيات أو علامات. لكن إلام كانت هذه العلامات

<sup>٢٦٣</sup> متى ٤: ١٧.<sup>٢٦٤</sup> متى ٤: ٢٣-٢٥.

تشير؟ كانت تشير إلى التجديد الأخير والقيامة الأخيرة للكون، التي سيحققها الرب يسوع المسيح في النهاية، حين يصنع كل شيء جديداً.

هذا الملكوت الأخير، الذي سيكون ظاهراً علناً في النهاية، قد بدأ نشاطه في خدمة يسوع، وظهر بالفعل في انتصاره على قوات الظلمة وعكسه لنتائج الخطية. فقد قال لأحدهم: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»، و«قُمْ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ وَأَذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» في الآن ذاته.<sup>٢٦٥</sup> ففي هذه المعجزة الواحدة، أبطلت النتائج الروحية والمادية للسقوط.

أظهر يسوع بالفعل لمحات من الخليقة المستقبلية المُجَدَّدة. ربما دخلت من قبل غرفة مظلمة، ثم حين أشعلت الضوء، انقطع التيار في الحال. لكنك في تلك اللحظة السريعة استطعت رؤية لمحة خاطفة مما كان في الغرفة. كذلك أيضاً، قدمت لنا المعجزات لمحات خاطفة من العالم الأخير المستقبلي، حيث يصبح كل شيء جديداً. كانت معجزات يسوع هي أعمال رحمة شديدة. لكن الأكثر من هذا أنها كانت تشير إلى هُويَّته كابن الإنسان الذي جاء كي يؤسس ملكوته في العالم، ويُظهر قوة هذا الملكوت.

٥) **نمط الحياة في الملكوت.** تأتي الموعظة على الجبل في إنجيل متى بعد هذا مباشرة. وقد ربطت الكلمات «وَلَمَّا

<sup>٢٦٥</sup> متى ٩: ١-٨.

رَأَى الْجُمُوعَ» بين الأصحاح الرابع والأصحاح الخامس. ماذا فعل يسوع؟ ابتداءً يَعْلَمُ عن نمط الحياة في المملوكوت. يتسم النصف الأول بأكمله من خدمة الرب على الأرض بتقدمه غازيًا مملكة الظلمة (من خلال الكرازة، والشفاء، والتعليم).

يصل كلُّ هذا إلى ذروته، وإلى نقطة انتقاليَّة، بطرح يسوع السؤال التالي (لاحظ هنا كيف يصف يسوع نفسه): «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» وعندما اعترف بطرس بأنه هو المسيح (أي نبي الله الممسوح، والكاهن، والمملك)، أوضح يسوع بعد هذا ما قد جاء كي يحقِّقه: فقد كان بصدد بناء كنيسته على أرض محتلة من العدو، ولن تقوى أبواب الجحيم نفسها على منعه من هذا!<sup>٣٦٦</sup> يقتادنا ما جاء بعد هذا التصريح إلى فئة أخرى من أقوال «ابن الإنسان».

## الفئة الثانية:

تسلَّط الفئة الثانية من أقوال ابن الإنسان الضوء ليس فقط على تأسيس ابن الإنسان المتجسِّد لمملكوته، بل على تسديد ابن الإنسان المتألِّم ثمن الفداء لأجل هذا المملوكوت.

يشكِّل اعتراف سمعان بطرس نقطة محوريَّة، ولحظة فاصلة، في قصة الإنجيل. فقد بدأت الفقرة التالية من إنجيل متى كالتالي: «مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ

<sup>٣٦٦</sup> متى ١٦: ١٣-١٨.

لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا ... وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ».<sup>٢٦٧</sup>

هل من الغريب أن يحاول إبليس مقاومته مرة أخرى — كانت أداة المقاومة هذه المرة هي كلمات سمعان بطرس، الذي قال: «لا تذهب يا يسوع إلى الصليب؛ ولا تجعلني أقرب منه أيضًا؟» يفسّر هذا الرد العنيف من جانب المخلص: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!»

يا بطرس، عليك أن تفهم أنني قد جئتُ كي أتمم وعد تكوين ٣: ١٥. هذا هو ما يعنيه أن أكون ابن الإنسان. فكي يُدْفَعَ إِلَيَّ كل سلطان، ينبغي أولاً أن يُسَحَقَ عقبي في أثناء صراعي مع إبليس. وأينما أبني الكنيسة، ستظل أبواب الجحيم على الدوام مُتَرَقِّبَةً كي تشن عليها هجوماً. لا يوجد طريق آخر غير هذا يمكن أن أسلكه.

في نهاية تجارب البرية، ترك إبليس يسوع. فقد هُزم منه، لكنه لم ينكسر نهائياً بعد. ولهذا كتب لوقا هذه الملاحظة الجانبية المشؤومة إلى حد ما: «فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ».<sup>٢٦٨</sup>

كان هذا «الحين» قد جاء الآن. كان بطرس قد اعترف بأن يسوع، ابن الإنسان، هو المسيح — أي نبي الله،

<sup>٢٦٧</sup> متى ١٦: ٢١.

<sup>٢٦٨</sup> لوقا ٤: ١٣.

وكاهنه، وملكه.<sup>٢٦٩</sup> لكنه لم يكن قد فهم بعد أن ابن الإنسان هو أيضًا العبد المتألم. فقد قاوم الفكرة القائلة إنه كي يأخذ يسوع السلطان، كان يلزم دفع ثمن باهظ للغاية، وهو أن يقدم نفسه ذبيحة على الصليب. فقد كان يدرك إلى أين كان من المفترض أن يتوجّه ابن الإنسان — إلى العلي العظيم، محاطًا بسحب المجد. لكنه لم يفهم أن الطريق إلى المجد كان ينبغي أن يمر أولاً بالجلجلة. تنطبق الكلمات التي قالها يسوع للتلميذين في الطريق إلى عمواس على بطرس أيضًا:

أَيُّهَا الْغَيَّانِ وَالْبَطِيئَانِ الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا  
تَكَلَّمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ  
بِهَذَا وَيَدْخُلَ إِلَى مَجْدِهِ؟<sup>٢٧٠</sup>

استطاع إشعياء أن يفهم هذا أكثر من أي نبي آخر. يبدأ النشيد الرابع من أناشيد العبد الموجودة في سفر إشعياء بالكلمات الآتية: «هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا».<sup>٢٧١</sup> أليست هذه هي نفسها صورة ابن الإنسان كما جاءت في الأصحاح السابع من سفر دانيال؟ لكن بعد ذلك، رأى إشعياء لمحة خاطفة مما يكمن وراء هذا

<sup>٢٦٩</sup> متى ١٦: ١٦.

<sup>٢٧٠</sup> لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦.

<sup>٢٧١</sup> أناشيد العبد الأربعة هي: إشعياء ٤٢: ١-٤ (يضيف البعض إليها الأعداد ٩-٥)؛ ٤٩: ١-٦ (يضيف البعض إليها الأعداد ٧-١٣)؛ ٥٠: ٤-٩ (يضيف البعض إليها الأعداد ١٠-١١)؛ ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢.

التسامي — أي أنه رأى الموضع الذي كان ابن الإنسان فيه قبل أن يأتي إلى القديم الأيام في مجدٍ. فإن ذلك المجد يقع على الجانب الآخر من آلامه. فقد جاء إلى العرش آتياً من الصليب، حيث «كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنْ الرَّجُلِ».<sup>٢٧٢</sup>

يقدم لنا أليك موتير (Alec Motyer) صورة نابضة بالحياة عن الطبيعة اللافتة للنظر لكلمات إشعياء:

لم يكن المقصود بهذا أن ذلك العبد قد تألم أكثر من أي إنسان آخر، أو أكثر من البشر، بل أنه قد تعرّض للتشوّه «حتى اختلف شكله عن شكل الإنسان الطبيعي ... وكأنه لم يعد ينتمي إلى الجنس البشري»؛ لدرجة أن مَنْ رآوه تراجعوا إلى الوراء مرتعبين؛ ولم يقولوا: «أهذا هو العبد؟» بل: «أهذا إنسانٌ من الأساس؟»<sup>٢٧٣</sup>

كان ينبغي أن يُفسد منظر يسوع أكثر من البشر، وأن ينزل إلى أعماق المياه المجهولة، حيث لا يعود الله يرى فيه انعكاساً لصورته، إذ صار مغطى بخطايانا. في ذلك الموضع البارد والمظلم، حدث نوع من التفسخ الشديد في كيانه. فقد شعر «الإنسان الأصيل» وكأنه يُجرّد من بشريته! وفي

<sup>٢٧٢</sup> إشعياء ٥٢: ١-٤.

<sup>٢٧٣</sup> J. Alec Motyer, The Prophecy of Isaiah: An Introduction and Commentary (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1993), 425.

أثناء تفكُّره في المزمور الثاني والعشرين،<sup>٢٧٤</sup> هل توقف عند كلماته التي تقول؟

أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لَا إِنْسَانٌ.  
عَارٌّ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُّ الشَّعْبِ.  
كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي.  
يَفْعَرُونَ الشُّفَاهَ، وَيَنْغُضُونَ الرَّأْسَ.<sup>٢٧٥</sup>

تقول رواية إنجيل مرقس إن يسوع قد ابتدأ «يَدْهَشُ»، مستخدماً فعلاً نادراً لوصف هذا الشعور.<sup>٢٧٦</sup> يقول ج. ب. لايتفوت (J. B. Lightfoot) إن هذا الفعل

يصف حالة الارتباك، والاضطراب، والتشوش،  
الناجمة عن خلل جسدي، أو تكدر عقلي كالحزن،  
أو خزي الإحباط.<sup>٢٧٧</sup>

فمع أننا مخلوقات ساقطة، يصر الكتاب المقدس على أننا نظل صورة الله. ربما نحن مشوهون، وفاسدون. وربما تحطمت المرأة التي كانت تعكس من قبل صورة الله. لكننا لا نزال بشراً، ولا يزال هناك بعض الانعكاس لما كان من المفترض أن نكون عليه. لكن كي يصلح يسوع هذا الوضع،

<sup>٢٧٤</sup> هذا هو المزمور الذي يبدو أنه كان يجول بخاطر يسوع في أثناء الجزء الأخير من صلبه.

<sup>٢٧٥</sup> مزمور ٢٢: ٦-٧.

<sup>٢٧٦</sup> الفعل Adēmonein، انظر مرقس ١٤: ٣٣.

<sup>٢٧٧</sup> J. B. Lightfoot, Saint Paul's Epistle to the Philippians (London: MacMillan, 1913), 123.

كان ينبغي أن ينزل إلى حالة أكثر انحدارًا، إن جاز التعبير، من حالتنا، وأن يقاسي هذا الشعور الرهيب بالتفسُّخ — أي أن يُعامل باعتباره خطية،<sup>٢٧٨</sup> ويحمل اللعنة،<sup>٢٧٩</sup> ويصير «دُودَة لَا إِنْسَانٌ»، وذلك حتى يحقق تكاملًا من جديد، وحتى يجلب بشريَّة جديدة.

**النعمة العامة.** في ضوء ما خطط الله بأن يعمل به بواسطة يسوع، ظل ييدي من نحو خليقته نعمة عامة. فقد سُمِحَ حتى لأشر البشر بالتمتع بامتيازات أعطيت من الله في الأصل لحملة صورته. لدى الكثير من المجرمين إمكانيات رائعة، لكنهم يفسدونها؛ كما يحظى أشخاص بغيضون بعلاقات زوجية جيدة، وبحياة عائلية مستقرة؛ ويمتلك المتكبرون والمتغطرسون مواهب طبيعية مذهلة. هكذا إذن، ظلت صورة الله المشوَّهة تتذوق من بركاته، بينما تصر على التمرد عليه. فإن الفتاة التي كان والدها يحتويها في محبة على ركبتيه قد وجَّهت له صفعه قوية؛ والابن الذي نال من أبيه عطايا بصق في وجهه.

وكي يحمل ابن الإنسان، الذي «أطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّليبِ»،<sup>٢٨٠</sup> عقوبة هذا التمرد، تطلَّع نحو أبيه خاضعًا، مشتاقًا أن يبادلَه نظرة حب — لكن على النقيض،

<sup>٢٧٨</sup> ٢ كورنثوس ٥: ٢١.

<sup>٢٧٩</sup> غلاطية ٣: ١٣.

<sup>٢٨٠</sup> فيلبي ٢: ٨.



أحاط به الظلام من كل جانب، وشعر بالنبذ التام. وبدا  
وكان الطبيعة نفسها قد تعاطفت معه، إذ سيطر الظلام  
على المشهد لمدة ثلاث ساعات، لئلا يسترق أحدُ النظر إلى  
هذا اللغز الغامض:<sup>٢٨١</sup>

Well might the Sun in  
darkness hide

حقًا اختبأت الشمس  
في الظلام

And shut his glories in

مخفية أمجاده

When God the mighty  
maker died

إذ مات الإله  
القدير الخالق

For man the creature's sin.<sup>282</sup>

عن خطايا مخلوقاته.

يَظْهَرُ هذا الوصف لابن الإنسان بأنه العبد المتألم،  
المجروح لأجل معاصينا، والمسحوق لأجل آثامنا، طوال  
رواية الأناجيل. تطلّع معي إلى ابن الإنسان وهو في طريقه  
إلى أن يُشوّه لأجلنا:

وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ  
بِهِ وَهُمْ يَجْلِدُونَهُ، وَغَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ  
وَيَسْأَلُونَهُ قَائِلِينَ: «تَنْبَأْ! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟».  
وَأَشْيَاءُ أُخَرَ كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجَدِّفِينَ.  
وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ أَجْتَمَعَتْ مَشِيخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ  
الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ، وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ  
كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحُ، فَقُلْ لَنَا!».<sup>٢٨٣</sup>

<sup>٢٨١</sup> لوقا ٢٣: ٤٤.

<sup>282</sup> Isaac Watts, "Alas and Did My Savior Bleed," 1707.

<sup>٢٨٣</sup> لوقا ٢٢: ٦٣-٦٧.

لكن لم يتبق لدى يسوع سوى شيء واحد يقوله لهم.  
فقد جاء زمانهم ومضى:

فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لَا تُصَدِّقُونَ، وَإِنْ سَأَلْتُ  
لَا تُجِيبُونَنِي وَلَا تَطْلُقُونَنِي. مُنْذُ الْآنَ يَكُونُ ابْنُ  
الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللَّهِ».<sup>٢٨٤</sup>

صرنا ندرك الآن معنى هذا، فقد كان يسوع يقول:

أنا هو ابن الإنسان الذي أشار إليه سفر دانيال.  
وها أنا الآن أتعرض منكم للإذلال، لكن أنا هو مَنْ  
سيأتي إلى القديم الأيام محاطًا بملائكته العظام مع  
سحب السماء، كي أتسلَّم سلطانًا. ترون الآن منظري  
مفسدًا أكثر من الرجل، لكن هذا هو الثمن الذي  
سيُكسِبني سلطانًا يفوق تصوُّر البشر. سيبزغ قريبًا  
فجر اليوم الذي فيه يصير كل سلطان في السماء  
وعلى الأرض لي! هذا أيضًا سترونه!<sup>٢٨٥</sup>

تلا هذه الكلمات طوفان آلام يسوع الجارف. لكن  
يحدث هنا أمرٌ مذهلٌ، يظهر بوضوح خاص في إنجيل لوقا.  
يبدو أن لدينا شيئين متناقضين — يتكرران كثيرًا — وكأن  
القصة نفسها كانت تصرخ قائلة لنا: «إياكم أن يفوتكم  
الغرض من هذا! أترون جيدًا ما كان يحدث هنا؟»

<sup>٢٨٤</sup> لوقا ٢٢: ٦٧-٦٩.

<sup>٢٨٥</sup> انظر رؤيا ١: ٧.

ففي خمسة مواقف — بالإضافة إلى موقف سادس يُفهم ضمناً — خضع يسوع للاستجواب، ثم أعلنت براءته، لكنه مع ذلك أدين:

بيلاطس: «إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الْإِنْسَانِ». (لوقا ٢٣: ٤)

بيلاطس مرة أخرى: «وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا الْإِنْسَانِ عِلَّةً». (لوقا ٢٣: ١٤)

الإشارة الضمنية: «وَلَا هِيرُودُسُ أَيْضًا [وجد فيه علة]»، لِأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ». (لوقا ٢٣: ١٥)

بيلاطس مرة أخرى أيضاً: «فَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ هَذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ». (لوقا ٢٣: ٢٢)

الصلب على الصليب: «لِأَنَّنَا نَنَالُ أَسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». (لوقا ٢٣: ٤١)

قائد المئة الروماني: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا ٢٣: ٤٧)

كيف يمكن أن تُعلن براءة يسوع، أكثر من مرة، ومع ذلك يدان ويُحكّم عليه بالموت مصلوباً وكأنه مذنب؟

قطعاً كان لوقا يريد أن يقول هذا: «ألا ترون أن الله قد كتب رسالة الإنجيل من قلب الاختبار الذي كان ابنه يجتاز فيه في تلك اللحظة؟ فقد أخذ البريء مكان المذنب، حتى يمكن أن يُعامل المذنب كبريء». يتأكّد هذا من طبيعة

الاتهامات التي وُجِّهت ضد يسوع، وهي: تهمة التجديف في المجمع (وهي جريمة تستوجب حُكم الإعدام)، وتهمة الخيانة العظمى للدولة في المحكمة المدنية (وهي أيضًا جريمة تستوجب حُكم الإعدام). وُجد يسوع «غير مذنب» في كلتا التهمتين، ومع ذلك حُكم عليه بالموت.

ما هو المعنى الكامن وراء كل هذا؟ المعنى في غاية البساطة، وهو أن هذه الجرائم لم تكن جرائمه هو.

جرائم مَنْ كانت إذن؟

إن تهمتي التجديف والخيانة العظمى للدولة هما الجريمتان المكتوبتان على لائحة الاتهامات الموجهة إلينا في محكمة الله. فقد جَدَّفنا على الله حين وضعنا أنفسنا في مركز الكون، وحين جعلنا أنفسنا أسيادًا على حياتنا. كما قد ارتكبنا فعل الخيانة العظمى ضد سلطة الله العادلة، حين رفضنا مشيئته. كان هذا هو ما فعله آدم، وما فعلناه نحن أيضًا.

حُكِمَ على يسوع بأنه مذنب، وأدين لأجل جرائمنا نحن.

في رواية الأناجيل، أصدر جميع الشهود حُكمًا عن يسوع أمام المحكمة بأنه «بريء من جميع التهم المنسوبة إليه». ليس هناك، إذن، سوى تفسير واحد مُحتمَل لموته، وهو أنه قِيلَ أن يتحمل مسؤولية التهم الموجهة إلينا أمام محكمة الديان السرمدي. فقد فسد منظره أكثر

من الرجل، وهو صورة الله الكاملة، حتى نعود نحن إلى صورة الله.<sup>٢٨٦</sup>

هذا لغز عميق، لكن يمكن صياغته ببساطة شديدة لدرجة تتيح للطفل فهمه:

|                                         |                                   |
|-----------------------------------------|-----------------------------------|
| There was no other good<br>enough       | لم يكن هناك مَنْ هو صالح<br>كفاية |
| To pay the price of sin;                | حتى يدفع ثمن الخطية؛              |
| He only could unlock the<br>gate        | كان هو الوحيد القادر<br>أن يفتح   |
| Of heaven and let us in. <sup>287</sup> | باب السماء ويُدخِلنا.             |

|                                           |                              |
|-------------------------------------------|------------------------------|
| Bearing shame and scoffing<br>rude,       | فإذ حمل الخزي<br>والاستهزاء، |
| In my place condemned he<br>stood,        | وقف مداناً<br>عوضاً عني،     |
| Sealed my pardon with his<br>blood:       | خاتماً عفوي<br>بدمه:         |
| Hallelujah! What a Savior! <sup>288</sup> | هللويا! يا له من مخلص!       |

## الفئة الثالثة:

يأتي بنا هذا إلى الفئة الأخيرة من أقوال ابن الإنسان. فقد رأينا أعلاه أن:

<sup>٢٨٦</sup> انظر رومية ٨: ٢٩؛ أفسس ٤: ٢٤؛ كولوسي ٣: ١٠.

<sup>287</sup> Cecil Frances Alexander, "There Is a Green Hill Far Away," 1848.

<sup>288</sup> Philip P. Bliss, "Man of Sorrows," 1875.

- يسوع هو ابن الإنسان المتجسّد الذي يؤسّس ملكوته.
  - يسوع هو ابن الإنسان المتألّم الذي يستعيد ملكوته
- لكن لا بد أن نضيف الآن بُعدًا ثالثًا:

- يسوع هو ابن الإنسان الغالب الذي سيُكمّل ملكوته.

هذا هو ما كان يجول في ذهن يسوع في نص الإرسالية العظمى:

فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي  
السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَأَذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ.<sup>٢٨٩</sup>

نميل عادة إلى ربط هذه الأعداد الشهيرة بفريضة المعمودية، وبحدث توديع المرسلين. قطعًا هذه الأعداد وثيقة الصلة بكلّا الحدثين. لكن بالأكثر، تتعلق هذه الكلمات بانتصار يسوع كابن الإنسان — ذلك الانتصار الذي بدونه لن يكون لكل من المعمودية المسيحية أو الإرساليّات إلى العالم أي معنى.

تردّد الكلمات «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» صدى تكوين ١: ٢٦-٢٨. فقد كان يسوع يقول الآتي:

أنا هو الإنسان الثاني، القائم من الأموات. أنا من دفعْتُ ثمن شراء العالم الساقط. فقد اشتريته من جديد، وكان الثمن هو موتي. والآن بعد أن صار لي كل السلطان، سأمضي ثانية إلى أبي، وأريد منكم

أن تبدأوا في أن تنفذوا روحياً ما قد دُعي آدم  
إلى تنفيذه مادياً: أريد أن تركزوا بالإنجيل للعالم  
أجمع. حوّلوا هذه البرية إلى جنة مرة أخرى!

من المثير للدهشة أن تلاميذ يسوع، الذين كانوا قبلاً في  
حالة من الارتباك والجُبن الشديد، بدأوا بالفعل في تنفيذ هذا.

فقد كرز سمعان بطرس (بعد تخرّجه من مدرسة  
يسوع التي كانت مدتها أربعين يومًا) وكأنه عالم لاهوت  
كتابي متمرس. ففي يوم الخمسين، أوضح كيف تشير  
جميع الكتب إلى يسوع المسيح، وكيف ارتفع يسوع عن  
يمين الله، طالبًا من أبيه الوفاء بوعده. فكي يأتي الأمم  
(وليس اليهود فحسب) إلى المسيح، انسكب الروح القدس  
على كل بشر. وتحول تمرّد برج بابل إلى النقيض، إذ سمع  
أناس من أمم كثيرة، يتحدثون بلغات مختلفة، رسالة  
الإنجيل الموحّدة لجميع الخطاة، في الآن ذاته. فالآن جعل  
ابن الإنسان قديسه من جميع الأمم شركاء في ملكوت  
الله. كان الوعد الإبراهيمي، والوعد المسياني بأن يرث  
الابن الأمم بصدّد التحقّق؛ فقد تسامى الآن العبد المتألم،  
وجعل ملوكًا يسدّون أفواههم أمامه في رهبة.<sup>٢٩٠</sup>

هكذا إذن، بدأت الأزمنة الأخيرة، وصارت تتقدّم لا  
محالة صوب اليوم الأخير. فقد أتى ابن الإنسان إلى عرش

<sup>٢٩٠</sup> للاطلاع على هذه الجوانب من تتميم المسيح للنبوّة، انظر: تكوين ١١: ٩-١٢؛

٣-١؛ مزمور ٢: ٨؛ إشعياء ٥٢: ١٣، ١٥؛ ٥٣: ١٢؛ يوثيل ٢: ١٨-٢٠.

القديم الأيام، وهو الآن يجعل قديسي العلي شركاء في الملكوت. والآن، ننتظر جميعًا ذلك اليوم الذي فيه يُستعلن انتصار ابن الإنسان في كل مكان.

يصف بولس، في أصحاح القيامة العظيم، أي الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى، الأعمال الأخيرة لابن الإنسان، بشكل نابض بالحياة. يتحدث هذا الأصحاح عن لحظة القيامة الأخيرة، ولكنه أيضًا يذهب إلى أبعد من ذلك. يرى بولس تاريخ البشر بأكمله ملخصًا في رجلين، بل في آدمين — آدم والمسيح.<sup>٢٩١</sup> فقد كتب قائلاً:

وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَصَارَ  
بَاكُورَةَ الرَّاqِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ [آدم]،  
بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ. لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ  
الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلَكِنَّ  
كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ [لاحظ الترتيب]: الْمَسِيحُ بَاكُورَةُ  
[أي، هو ضمان مجيء الحصاد الأخير]، ثُمَّ الَّذِينَ  
لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ [الحصاد الأخير]. وَبَعْدَ ذَلِكَ  
الْنَّهَآيَةُ، مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكُ لِلَّهِ الْآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ  
رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ.<sup>٢٩٢</sup>

<sup>٢٩١</sup> «ولماذا؟» هكذا سأل توماس جودوين (Thomas Goodwin)، اللاهوتي وراعي الكنيسة العظيم في القرن السابع عشر. وكانت الإجابة: «لأن مصير سائر أبناء البشر كان معلقًا على حبل يصل ما بين هذين الرجلين»:

Thomas Goodwin, The Works of Thomas Goodwin, 12 vols. (Edinburgh: James Nichol, 1862), 4:31.



ماذا كان من شأن آدم أن يفعل لو كان قد مارس بالفعل  
سلطانه، ووسَّع من نطاق جنة عدن، إلى أقصى الأرض؟

بما أن آدم قد أخفق في هذا، لا يسعنا أن نقدّم جوابًا  
قاطعًا عن هذا السؤال. لكن نستطيع أن نفترض أنه كان  
سيأتي إلى عرش القديم الأيام — كما قد يأتي أي ابنٍ أكرم  
اسم أبيه — قائلًا:

يا أبي، قد اكتمل كلُّ شيء. لم تَعُد هناك أعشاب  
ضارة. وقد انتشرت الورود في كل مكان! يا أبي، قد  
أعطيتي كل هذا. فهلا تقبَّلت مني هذه الجنة  
هبة محبة؟

تخيّل معي ذلك الحزن المتبادل الذي كان سينتج عن هذا.  
لكن قد أخفق آدم.

إلا أن بولس يقول إنه في اليوم الأخير، سيأخذ يسوع،  
ابن الله، بحسب منصبه كابن الإنسان، ذلك الملكوت  
الذي اشتراه، وسيأتي ثانية إلى أبيه قائلًا:

تفضّل يا أبي؛ فبصفتي الإنسان الثاني، وابن الإنسان،  
قد خلَّصْتُ واستعدتُ كل هذا لأجلك ولأجل  
مجدك. هذه هبة محبة لك. ها أنا أقدمها لك  
نيابة عن جميع مَنْ سفكتُ دمي الثمين عنهم،  
والذين صاروا الآن أبناءك بالتبني.

وسيحتوي ذلك الملكوت على جميع مَنْ يؤمنون بيسوع.

فإننا سنصير جميعًا مشاهدين.

لا! بل إننا سنتعدَّى هذا أيضًا. فإننا سنصير جميعًا شركاء.

لكن الآن، احبس أنفاسك جيدًا. لأن بولس يتابع حديثه قائلاً:

وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الْإِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا  
سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، كَيْ يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ  
فِي الْكُلِّ.<sup>٢٩٣</sup>

لم يكن بولس يقصد بهذا أن الله الابن سيفقد مكانته. كما لم يكن ينكر مساواة الابن مع الآب في الكرامة، والسلطان، والسرمدية، والمجد. بل في المقابل، كان بولس يتحدث عن الرب يسوع في منصبه الخاص كابن الإنسان. فإذا تجسّد يسوع في بشرتنا، صار ممثلًا، ووسيطًا، وبدليًا، ومخلصًا، وملوكًا لنا. فهو مَنْ يقودنا في العبادة أمام عرش الله. وهو المتحدث الرسمي عنّا أمام الآب السماوي، وهو إذن مَنْ سوف «يأتي» مرة أخرى إلى الآب، قائلاً: «يا أبي، إن الكلّ لك — ونيابة عن شعبك المفدي، أقول: نريد أن تكون الكل في الكل».

تخيل معي هذا المشهد، وتطلع إلى ابن الإنسان آتياً إلى عرش القديم الأيام، وجائياً أمامه بصفته الرأس الممثل لنا،

والنائب عنّا. ثم، في حدث مجيد، تجثو كل ركبة ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب.

ما أروع أن نتواجد هناك في تلك اللحظة!

وما أروع أن نرى الابن يُكرّم من الآب!

وما أروع أن نقول: «يا أبانا، كن أنت الكلّ في الكلّ!»

حينئذ، قطعاً، يصير الملك والقوة والمجد لله — إلى أبد الأبد، في عالم لا نهاية له.

في ضوء ذلك، لن يلزمنا أن نقول إننا في حاجة إلى المزيد من التفكير في التسامي المجيد لمخلصنا. لكن قبل أن نفعل ذلك، نحتاج أن نلقي نظرة أخرى عليه بصفته العبد المتألم.

## الفصل السادس

### يسوع المسيح، العبد المتألم



تمثّل دينونة الله على شعبه وسبيهم إلى بابل الخلفية القائمة للنصف الثاني من نبوة إشعيا.<sup>٢٩٤</sup> فرويدًا رويّدًا، من وسط هذا المشهد الكئيب، تبرز شخصية ما. يصف الله هذه الشخصية باسم «عبدي»؛ وكما رأينا من قبل، يهيمن وجود هذه الشخصية على سلسلة من النصوص الشعرية تُعرّف معًا باسم «أناشيد العبد».

#### «نشيد العبد» الرابع:

يُعدّ النشيد الرابع من هذه الأناشيد، الوارد في إشعيا ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢، هو الأشهر إلى حد كبير. ففيه يظهر العبد في صورة العبد المتألم، وهي صورة أثّرت بشدة على الكيفيّة

---

<sup>٢٩٤</sup> من إشعيا ٣٩ أو ٤٠، وحتى إشعيا ٦٦.

التي تحدث بها كُتَّاب العهد الجديد عن يسوع.<sup>٢٩٥</sup>

يُظهر العبد في البداية كشخصية عظيمة ومجيدة:

هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ،

يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي

وَيَتَسَامَى جِدًّا.<sup>٢٩٦</sup>

ولكن بعد ذلك، ولسبب غير مفهوم، يصير هذا العبد مُتَأَلِّمًا.

كَمَا اِنْدهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ.

كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ،

وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ.<sup>٢٩٧</sup>

ثم، في بقية النشيد، يوصف هذا العبد بأنه «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلٌ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ». ثم تبدأ الحقيقة في الت كشف: كان هذا العبد يأخذ مكان آخرين؛ أي أنه كان يتألم عنهم.

لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا،

وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.

وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا

<sup>٢٩٥</sup> تسرد طبعة «العهد الجديد باللغة اليونانية» التي أصدرتها (The United Bible Societies) سبع اقتباسات، وأربعة وثلاثين تلميح وتشابهات لفظية في العهد الجديد

مع إشعياء ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢.

<sup>٢٩٦</sup> إشعياء ٥٢: ١٣.

<sup>٢٩٧</sup> إشعياء ٥٢: ١٤.

مَضْرُوبًا مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُومًا.  
 وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا،  
 مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا.  
 تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ،  
 وَبِحُبِّهِ شُفِينَا.  
 كُلُّنَا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا.  
 مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ،  
 وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ  
 إِثْمَ جَمِيعِنَا ...  
 أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ  
 بِالْحَزَنِ.  
 إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِنْثَمَ  
 يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ،  
 وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.  
 مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ،  
 وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ  
 يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ،  
 وَأَثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا.<sup>٢٩٨</sup>

ثم مرة أخرى أيضاً نجده متسامياً، ثم نجد تفسيراً  
 للصلة ما بين انحطاط شأنه ورفعته:

لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ

وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَفْسِمُ غَنِيمَةً،  
 مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ  
 وَأُحْصِيَ مَعَ أَثْمَةٍ،  
 وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ  
 وَشَفَعَ فِي الْمُدْنِيِّينَ.<sup>٢٩٩</sup>

كُتِبَ الْأَصْحَاحُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ مِنْ سَفَرِ إِشْعِيَاءَ  
 بِإِرْشَادٍ مِنْ رُوحِ اللَّهِ. كَانَ كَاتِبُهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ شَيْءٍ يَفُوقُ  
 إِدْرَاكَهُ؛ وَلَكِنْ فِي الْآنِ ذَاتَهُ، كَانَتْ هَذِهِ كَلِمَةُ اللَّهِ بِفَمِ  
 إِنْسَانٍ.<sup>٣٠٠</sup> وَلِذَلِكَ، وَصَفَ النَّبِيُّ مَا رَأَاهُ دَاخِلَ مَحْدُودِيَّاتِ  
 حَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَبَشَرِيَّتِهِ.

### أَسْئَلَةُ عَلَى طَاوِلَةِ الْعِشَاءِ:

تَخَيَّلْ مَعِي، مِنْ فَضْلِكَ، إِشْعِيَاءَ وَقَدْ كَتَبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ،  
 ثُمَّ مَضَى فِي نَهَايَةِ الْيَوْمِ إِلَى بَيْتِهِ وَأَسْرَتِهِ. وَفِي أَثْنَاءِ قَضَائِهِ  
 وَقْتًا مِنَ الرَّاحَةِ مَعَهُمْ، سَأَلَهُ أَحَدُ أَبْنَائِهِ قَائِلًا: «هَلْ كَتَبْتَ  
 شَيْئًا الْيَوْمَ يَا أَبِي؟»

كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ إِشْعِيَاءُ أَنْ يَجِيبَ بِهِ هُوَ بِالتَّأَكِيدِ شَيْءٌ  
 مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ: «حَسَنًا، قَدْ دَوَّنتُ الْيَوْمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ:

مَنْ صَدَّقَ خَبَرَكَ،  
 وَلِمَنْ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟

<sup>٢٩٩</sup> إِشْعِيَاءَ ٥٣: ١٢.

<sup>٣٠٠</sup> هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَعْتَادَةُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِتَعْرِيفِ وَوَصْفِ النَّبُوَّةِ؛ قَارِنْ إِرْمِيَا

نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرَّخُ  
وَكَعِرَقَ مِنْ أَرْضِ يَابِسَةٍ،  
لَا صُورَةَ لَهُ وَلَا جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ،  
وَلَا مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ.  
مُحْتَقِرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ،  
رَجُلٌ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرِ الْحَزَنِ،  
وَكَمْسَرٍّ عَنْهُ وَجُوهُنَا،  
مُحْتَقِرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.<sup>٣٠١</sup>

لكن ماذا لو طرح عليه فرد آخر من عائلته هذا السؤال: «وماذا يعني ذلك تحديداً؟ وعمَّنْ كُتِبَتْ هذه الكلمات؟ هل تعرف هذا الشخص؟»

كُلُّ ما يمكن أن يجيب إشعيا به هو: «لا أستطيع أن أعرف هذا بصورة مؤكَّدة. فمع أنني كُنت جالساً أكتب، لكنني شعرتُ في أعماقي وكأنني واقف على أطراف أصابعي أتطلعُ إلى ما بعد خط الأفق، محدِّقاً في المستقبل. وقد طرحْتُ أنا نفسي هذه الأسئلة عينها، متسائلاً، بل ومحاولاً أن أتخيَّل مَنْ عساه يكون هذا الشخص، وكيف سيتحقق كل هذا».

هذا ليس مجرد تخمين من جانبنا؛ فإن بطرس يقول إنه بينما يتساءل الملائكة فيما بينهم كيف يبدو اختبار المؤمنين لنعمة الله في الإنجيل، كان الأنبياء يتساءلون أيضاً

<sup>٣٠١</sup> إشعيا ٥٣: ١-٣.



مَنْ هُوَ الشَّخْصُ «أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا».<sup>٣٠٢</sup>

فقد أنعم علينا اليوم بقراءة الكتاب المقدس في الاتجاه العكسي من النهاية للبداية. فإن تفسيرات وشروحات العهد الجديد تتيح لنا فهم نصوص العهد القديم، وتساعدنا على أن نرى كيف يشير كل شيء إلى الرب يسوع. وعلى وجه الخصوص، يُظهر لنا العهد الجديد تكميم كلمات إشعياء هذه.<sup>٣٠٣</sup>

على هذه الخلفية إذن — أي المسيح باعتباره العبد المتألم — دعونا، إن جاز التعبير، نتبّع يسوع بقدر استطاعتنا في درب آلامه.

## الْمُتَأَلِّمُ:

ما المقصود بأن يسوع هو «العبد المتألم»؟ للإجابة على هذا السؤال — ولو بشكل جزئي — يلزم أن نحاول تتبّع يسوع في الليلة التي صُلب فيها حتى إلى بستان جثسيماني.

وَحَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلَامِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِي لَا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ». وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ

<sup>٣٠٢</sup> ١ بطرس ١: ١٠-١٢.

<sup>٣٠٣</sup> انظر، على سبيل المثال، متى ٨: ١٧ (إشعياء ٥٣: ٤)؛ يوحنا ١٢: ٣٨ (إشعياء ٥٣: ١)؛

أعمال الرسل ٨: ٣٣-٣٢ (إشعياء ٥٣: ٧-٨)؛ ١ بطرس ٢: ٢٢ (إشعياء ٥٣: ٩).

وَجِئْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ  
أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي  
بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلَأَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. وَإِذْ  
كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرْقُهُ  
كَقَطَرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ. ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلَاةِ  
وَجَاءَ إِلَى تَلَامِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزَنِ. فَقَالَ  
لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامُ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَدْخُلُوا  
فِي تَجَرِبَةٍ».<sup>٣٠٤</sup>

في الفصل الأول من هذا الكتاب، كنا في جنة أو بستان.  
وها نحن نأتي هنا إلى بستانٍ آخر. كان هذا البستان،  
بستان جثسيماني، مكانًا مألوفًا لدى يسوع وتلاميذه.<sup>٣٠٥</sup>  
وهو في حقيقة الأمر بستان زيتون. ولكن في تلك الليلة  
بالتحديد، احتلَّ هذا البستان مركز الكون، وشكَّل مفترق  
طرق في التاريخ.

## وصف فريد:

لا يحتوي العهد الجديد على أي وصف جسدي ليسوع.  
وبغض النظر عن الكتب التي ربما كانت عندك في مرحلة  
الطفولة، والتي كانت تحوي صورًا ليسوع، فإنك تعلم  
جيدًا أن هذه كانت مجرد محاولات من جانب الرسَّامين  
لإيجاد طريقة يصفونه بها — وعادةً ما كان الوصف غريبًا

<sup>٣٠٤</sup> لوقا ٢٢: ٣٩-٤٦.

<sup>٣٠٥</sup> كان يسوع يذهب إلى هناك كثيرًا مع تلاميذه؛ يوحنا ١٨: ٢.

تقليدياً للغاية. ولكن ليست تلك الصور مستمدة من أية معلومات يعطيها لنا الكتاب المقدس.

ولكن هنا في جثسيماني نرى لمحة نادرة. فإننا نجد وصفاً بالحقيقة؛ ولكنه وصفٌ للحالة الوجدانيّة، والعقليّة، والنفسيّة للرب يسوع، فيما كان يواجه الصليب. فأماننا هنا، تظهر أعماق طبيعته البشريّة بطريقة لم يكن يُظهِرنا لنا قط أي موقف آخر.

يُمدُّنا كلُّ إنجيل من الأناجيل الثلاثة الأولى بوصفٍ محرّكٍ للمشاعر لما اجتاز فيه يسوع. كان المشهد مزعجاً للغاية. فقد كان يسوع، الذي كان قد تنبأ قبلاً في هدوء عن آلامه العتيدة أن تأتي، وعن كل ما سيقاسيه على أيدي أناس قساة وأشرار، يعبرُ عما بداخله الآن «بِصُراخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ».<sup>٣٠٦</sup>

مرَّ حوالي واحد وعشرون عاماً على ذلك اليوم الذي كان فيه يسوع في ساحة الهيكل، حين قال لمريم ويوسف إنه ينبغي أن يكون في ما لأبيه.<sup>٣٠٧</sup> في ذلك اليوم، لم يفهم أبواه الأرضيان قصده من هذا الكلام. ومن المؤكّد أنه في طريق العودة، قال أحدهما للآخر: «في رأيك، ماذا كان يسوع يقصد بقوله: 'أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَيِّ؟'» هل قال يوسف لمريم: «حسنًا، أنتِ والدته؛ ألا

<sup>٣٠٦</sup> عبرانيين ٥: ٧.

<sup>٣٠٧</sup> لوقا ٢: ٤١-٥٢.

تفهمين ما يقصده؟ ما رأيك؟» وهل أجابته مريم: «لا زلتُ أفكر في كلِّ الكلام، وسأظل أفكر. فإنني طوال الوقت كنتُ أحفظ كلامه وأتفكر به مليًا في قلبي»؟

ولاحقًا، حين أخبر يسوع تلاميذه — وهذه لم تكن المرة الأولى — بأنه ينبغي أن يصعد إلى أورشليم، لم يستوعبوا معنى كلامه:

«هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالْأَنْبِيَاءِ عَنِ ابْنِ الْإِنْسَانِ، أَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلَى الْأُمَمِ، وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُسْتَمْتَمُ وَيُتَقَلَّ عَلَيْهِ، وَيَجْلِدُونَهُ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ مُخْفَى عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ.<sup>٣٠٨</sup>

كان هؤلاء التلاميذ أقرب إليه من أي شخص آخر. وقد سمعوا كرازته وشهدوا آياته ومعجزاته. ومع ذلك، نجدهم هنا غير فاهمين شيئًا من كلامه. كان معنى كلِّ هذا مخفيًا عنهم.

يجب هنا ألا نتصلف قائلين: «يا للهول! أعتقد أنني لو كُنت موجودًا هناك، لفهمتُ كلَّ شيء جيدًا. لا أصدق هؤلاء التلاميذ! فقد تبَيَّن في النهاية أنهم ليسوا شديدي الذكاء! ما أضعف مستواهم! فقد أخبرهم يسوع بذلك

عدة مرات. هل كان الأمر صعبًا لهذه الدرجة؟ 'أنا صاعدٌ إلى أورشليم. وسأُتألم. وسأُمت على أيدي رجال قُساة'».

لكن كيف كان يمكن للتلاميذ التوفيق بين هذا الكلام عن الآلام والمعلّم العظيم الذي كانوا يتبعونه؟ كيف كان يمكنهم الجمع بين كونه ملكًا سيسمو فوق جميع الملوك، وكاهنًا سيقدم ذبيحة نهائية غير محدودة القيمة، ونبياً سيمحو جهلهم إلى الأبد؟ ولكن، بالرغم من الطبيعة غير المستساغة لكلام يسوع، كان المعنى الذي يقصده واضحًا لا لبس فيه؛ لكنهم ببساطة لم يتمكنوا من استيعابه.

### توجّه من الاتضاع:

إن كُنّا أمناء، فسنرى هذه المشكلة نفسها فينا نحن أيضًا. لهذا السبب، ينبغي أن نقدّر قيمة تلك الترتيلة التي يقول قرارها:

Oh, make me understand it,

ساعدني حتى أفهم،

Help me to take it in,

وأعني حتى أدرك،

What it meant for thee, the

ما كان يعنيه بالنسبة لك، أيها

Holy One

القدوس

To bear away my sin.<sup>309</sup>

أن ترفع خطاياي.

يأتي هذا الفهم — الذي من خلاله يُحدّث الإنجيل تأثيرًا حقيقيًا على حياتنا — فقط كنتيجة لنعمة الله وصلاحه من حولنا. فأمام كل هذا الغموض، يلزم أن نتعلم

<sup>309</sup> Katherine Kelly, "Give Me a Sight, O Savior," 1944.

كيف نفكر في خشوع وبشكلٍ صحيح حين نقف أمام مقطع كهذا. يلزم أن نسأل: ماذا يحدث هنا بالتحديد؟ أيضًا من الممكن جدًا أن يتوقف الأمر عند تأثرنا عاطفيًا بهذا المشهد، دون أن نصارع بالحقيقة لفهم معناه الباطني أو دلالاته. ومن ثمّ، ينتهي بنا الحال وقد تجاوزنا مع آلام المسيح بطريقة لا تزيد عن كونها انفعاليّة أو عاطفيّة.

في هذا الوصف الذي قدّمه إشعياء للعبد المتألم، نصادف عبارات من قبيل: «أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ».<sup>٣١٠</sup> ما معنى هذه العبارات؟

تكشّف كل هذا بالفعل في حدث الصلب، الذي كان المسيح الآن في هذا البستان ينتظره. يبدو الأمر برمته فوضى عارمة ورهيبة: فإن يسوع، العبد الأمين، كان على وشك أن يُصلب بين لصين، فوق كومة من القمامة خارج أسوار مدينة أورشليم — بعد أن تعرّض للخيانة، والإنكار، والتخلي، والبصق، والجلد، والإذلال. كيف يمكن أن يكون قصد الله في لبّ كل هذا؟ كيف أمكن لإشعياء أن يقول — ولو بتوقيرٍ — إن الله هو المتحكّم في كل هذا، وإن «الرَّبُّ سَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ»؟

يفسّر لنا بولس هذا قائلاً إن يسوع قد صار لعنة لأجلنا، حتى ننال نحن فيه بركة الله.<sup>٣١١</sup> ولماذا صار

<sup>٣١٠</sup> إشعياء ٥٣: ١٠.

<sup>٣١١</sup> غلاطية ٣: ١٣.

«لعنة» لأجلنا؟ لأنه «جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِّأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَ اللَّهِ فِيهِ».<sup>٣١٢</sup> وقد لنا الرسالة إلى العبرانيين يد المساعدة أيضًا في هذا الشأن: فإن يسوع قد «كَفَّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ»،<sup>٣١٣</sup> إذ صار هو الذبيحة التي ابتلعت كل غضب الله على خطايانا.

كان يسوع في جثسيماني إذن ينتظر تقديم نفسه ذبيحة كفاريّة «نيابيّة» أو «بدليّة» عن خطايانا.

وما لم نُقدِّر قيمة فكرة الكفارة البدليّة، سيصير تعليم العهد الجديد عن موت المسيح لغزًا غامضًا تمامًا بالنسبة لنا — وفي أفضل الأحوال سيصير رواية تراجيديّة عن شجاعة وُجّهت بطريقة خاطئة.

سنعود إلى ذلك لاحقًا. ولكن يلزم أن نبدي في الوقت الحالي ثلاث ملاحظات بسيطة، لكنها هامة.

## ترفُّق:

حين ننظر إلى المسيح من خلال عدسة كتابيّة، ونراه كعبدٍ متألم، سيكون أول رد فعل لنا على الأرجح هو: «يا لهذا الترفُّق!»

فكّر معي في الظروف التي كان المسيح يجتاز فيها بينما كان يدخل البستان، ثم لاحظ الفكرة الأولى التي خطرت على باله. لم تكن الفكرة تتعلق به، بل بأتباعه. فقد حوّل

<sup>٣١٢</sup> ٢ كورنثوس ٥: ٢١.

<sup>٣١٣</sup> عبرانيين ٢: ١٧.

اهتمامه إلى هؤلاء الرجال الذين كان قد دعاهم، وعلمهم بطول أناة، وعاش بينهم؛ والذين كان يحبهم أكثر جدًا مما يمكنهم حتى محاولة التصور (كما قال يوحنا: «إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى»<sup>٣١٤</sup>).

تطلع معي جيدًا إلى إنكار يسوع لذاته. فقد قال قبلاً: «وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ»<sup>٣١٥</sup> والآن وبصفة خاصة، ظل يخدم مصالح تلاميذه على الرغم من قسوة الموقف المتناهية التي كانت قد بدأت تسحقه.

لاحظ كيف حثهم في عطف ومودة على أن يحافظوا على تواصلهم الوثيق مع الآب لئلا يدخلوا في تجربة. «إِسْهَرُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ»<sup>٣١٦</sup>.

وفي وقت سابق، حين تحدّث إلى بطرس، لا بد أنه نطق بهذه الكلمات بقلبٍ مفطورٍ:

سَمْعَانُ، سَمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُم لِي  
يُغْرِبَكُم كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِي لَا  
يَفْنَى إِيمَانُكَ.<sup>٣١٧</sup>

جاء الضمير الأول في ذلك التصريح («طَلَبَكُم») في صيغة الجمع، بينما جاء الضمير الثاني («مِنْ أَجْلِكَ») في صيغة

<sup>٣١٤</sup> يوحنا ١٣: ١.

<sup>٣١٥</sup> لوقا ٢٢: ٢٧.

<sup>٣١٦</sup> مرقس ١٤: ٣٨.

<sup>٣١٧</sup> لوقا ٢٢: ٣١-٣٢.



المفرد. يبدو وكأن يسوع كان يقول: «يا سمعان، لقد طلب الشيطان أن يُغربلك، ليس أنت فحسب، يا سمعان، بل جميعكم. ستجتازون جميعهم في الطاحونة، وستصلون جميعكم إلى حافة الانهيار، من جراء الأحداث التي على وشك الوقوع. ولكن، اعلم يا سمعان أنني صليْتُ من أجلك أنت بشكل خاص».

يعجز البعض منا عن إيجاد الوقت أو الطاقة لأي شيء أو لأي شخص آخر حين لا يسير أقل شيء في حياتنا على ما يرام. ألا ينطبق هذا ربما بشكل أساسي على الرجال؟ لدى الزوجات قدرة استثنائية على التحمل والمضي قدمًا، لكن حين لا يسير أقل شيء في حياة البعض منا نحن الرجال على ما يرام، نبدأ في الانسحاب، وننتظر أن يأتي آخرون ويهتموا بنا!

لكن لم يكن يسوع هكذا. فعلى الرغم من كل ما كان يواجهه، ومن كل ما رآه مكتوبًا على وجوه هؤلاء التلاميذ، أبدى اهتمامًا بهم، وقال: «وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ». كان يَعْلَم أنهم سيجربون بالشك فيه والتخلي عنه، بل وبإنكاره أيضًا.

نجد هذه الروح نفسها من الاهتمام المتفرق متغلغلة في كلمات يسوع في صلاته العظيمة الواردة في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا، تلك الصلاة التي ينبغي أن تُقرأ جنبًا إلى جنب مع رواية الأناجيل الإزائية. فهنا،

في مشهد جثسيماني، يوصي يسوع التلاميذ بأن يصلُّوا لئلا يدخلوا في تجربة. وفي مشهد الصلاة، في إنجيل يوحنا، صلَّى يسوع من أجل أن يظلُّوا أقوياء في التجربة العتيدة أن تأتي عليهم.<sup>٣١٨</sup> كان الهدف من صلوات العبد المتألم إذن هو أن يُحفظوا، حتى يتمكنوا من أن يصلُّوا لأجل أنفسهم كي يُحفظوا!

لن يكون ثبات هؤلاء التلاميذ في هذا الموقف المتناهي القسوة شيئاً سيحدث بمحض الصدفة. كما أنه لم يكن شيئاً سيحدث فقط عن طريق أمر إلهي بحت. بل كان هذا سيحدث بنعمة الله، التي تُعطى لهم من خلال وسائط من الله.

### وسائط النعمة العادية:

هذا وقتٌ مناسبٌ كي نذكّر أنفسنا ببُعْدٍ من أبعاد الحياة المسيحيّة صار مُهملاً بصورة متزايدة. فإننا بحاجة إلى تقدير أفضل لقيمة ما نطلق عليه عادة اسم «وسائط النعمة العادية».

ما هي هذه الوسائط؟ الصلاة، والوعظ، وشركة المؤمنين، وفريضتنا المعموديّة وعشاء الرب، واختبار الضيقات، وغير ذلك. ومن ثمّ، فحين يقول الكتاب المقدس: «احفظوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ»،<sup>٣١٩</sup> يوحى هذا ضمناً بأن الله

<sup>٣١٨</sup> يوحنا ١٧: ١١.

<sup>٣١٩</sup> يهوذا ١: ٢١.

يُكْمِلُ العملَ الصالحَ الذي ابتدأه بأن يعملَ فينا ومن خلالنا.<sup>٣٢٠</sup> فإننا محفوظون من الله، وإننا أيضًا نحفظ أنفسنا بالاتكال عليه.

السمة الثانية لخدمة يسوع هي:

## التكريس والتسليم:

تُخبرنا الأناجيل بأنه حين دخل يسوع بستان جثسيماني، طلب من ثمانية من تلاميذه البقاء في موضع معيّن، ربما للحراسة. ثم أخذ ثلاثة منهم (بطرس، ويعقوب، ويوحنا) إلى مسافة أبعد داخل البستان. وبعد ذلك، دخل أيضًا إلى مسافة أبعد بمفرده، وابتدأ يُصلي.<sup>٣٢١</sup>

ثم ماذا حدث؟

يصف لنا لوقا وضعية الصلاة التي اتخذها يسوع: «جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ».<sup>٣٢٢</sup>

في موضع سابق في الإنجيل، يصف لنا لوقا وضعية الصلاة التي اتخذها واحدٌ من الفريسيين، قائلاً إنه «وَقَفَ».<sup>٣٢٣</sup> اعتاد اليهود الوقوف للصلاة (نظير ما كان المسيحيون يفعلونه لسنوات عديدة أيضًا في خدمات العبادة في الكنيسة). ولكن، لم يقف يسوع في وضعية الصلاة

<sup>٣٢٠</sup> فيلبي ١: ٦؛ قارن فيلبي ٢: ١٢-١٣.

<sup>٣٢١</sup> لوقا ٢٢: ٤١.

<sup>٣٢٢</sup> لوقا ٢٢: ٤١.

<sup>٣٢٣</sup> لوقا ١٨: ١١.

الرسمية، بل جثا على ركبتيه — في البداية على الأقل. فإن متى يروي لنا أنه بعد هذا «خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ».<sup>٣٢٤</sup> ويروي مرقس أيضًا أنه «خَرَّ عَلَى الْأَرْضِ».<sup>٣٢٥</sup> كان هذا يمثل نوعًا من اللجاجة، بل والاستماتة أيضًا — لكن كان هذا مصحوبًا أيضًا بخضوع واستسلام، إذ انطرح يسوع في التراب أمام أبيه. لم يكن هناك مفر من هذه المشاعر القوية والحادة. فقد كان يسوع على وشك الانتقال من الشق النظري، إن جاز التعبير — أي من المعرفة التي كان يحتفظ بها منذ أمد طويل بأن الصلب ودينونة الله ينتظرانه في نهاية الدرب — إلى الشق الملموس والفعلي.

ربما كان الخضوع لعملية جراحية كبيرة هو الموقف الأقرب إلينا من هذا الموقف. فإنك تسجّل تاريخ العملية في مفكرتك الخاصة. وإلى أن يحين هذا التاريخ، ربما تلتقي باستمرار بأناس في المسار اليومي للحياة، فتجيب على أسئلتهم قائلاً: «نعم، سأدخل غرفة العمليات في الساعة الثامنة صباحًا، ثم سيحدث كذا. ثم في الساعة التاسعة صباحًا، سيحدث كذا. أما في الساعة الحادية عشر، فسيحدث كذا». وربما نقول لأنفسنا: «في حوالي الساعة الثالثة ونصف ظهرًا، سأكون في غرفتي أتناول المثلجات» — متحلّين بالأمل طوال الوقت بأننا سنتمكن من الوصول بسلام إلى نقطة النهاية.

<sup>٣٢٤</sup> متى ٢٦: ٣٩.

<sup>٣٢٥</sup> مرقس ١٤: ٣٥.

لكن بعد ذلك، يأتي اليوم الفعلي للعملية الجراحية.  
حينئذ يجف حلقك.

وعندئذ، تهزم الأجواء المعقمة شجاعتك.  
وحينئذ، سيختلف شكل صلاتك ...

### عند مفترق الطرق إلى درب الصليب:

جثا المسيح على ركبتيه؛ ثم انطرح أرضاً؛ ثم خرَّ على وجهه في الأرض، منبطحاً في الصلاة أمام أبيه. لم يرَ الرسول بولس هذا المشهد، لكنه أدرك معناه: فقد كان يسوع بهذا يطيع حتى الموت، موت الصليب.<sup>٣٣٦</sup>

وقد عبّرت الوضعيّة الجسديّة التي اتّخذها الرب هنا عن حجم الألم الذي كان يعتمل بداخله.

فكّر فيما كان يعنيه بالنسبة ليسوع أن يتحدث إلى أبيه قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ».

ففي نقطة ما داخل دائرة تدبير الله الواسعة في الأزل، دخل الآب، والابن، والروح القدس معاً في عهدٍ وبكلمات بسيطة، ألزم كل واحد منهم نفسه بإتمام جانب معين من جوانب فدائنا. فقد اشترك الأقانيم الثلاثة جميعهم دائماً معاً في كل عمل يعمله الله. ولكن كان دور الآب هو أن يخطّط للخلاص، ودور الابن أن يأتي ليتّممه، ودور الروح القدس أن يُرسل لتطبيقه.

<sup>٣٣٦</sup> انظر فيلبي ٢: ٨.

جاء الابن ليتّم مهمة الخلاص التي كُلف بها. وقد اختار أن يترك الأمجاد الرائعة وغير المحدودة للحياة في السماء ويأتي إلى عالمنا الساقط. فقد ترك ألفة السماء، حيث كان يستمتع منذ الأزل بلذة الشركة الحميمة مع أبيه داخل دائرة حياة الله، وجاء إلى هذا العالم الملوّث والفساد أخلاقياً وروحياً. وقد وُلد ولادة طبيعيّة، وتقدّم في القامة والنّعمة، عند الله والنّاس.<sup>٣٣٧</sup> كما تعلّم من يوسف أيضاً شؤون العمل في ورشة النجارة، وغير ذلك من أشياء. ولكن طيلة الوقت، كان لديه وعيٌّ بأن حياته تتحرك لا محالة صوب تاريخ كتبه الله في المفكرة الإلهيّة. وقبل ذلك التاريخ، لم تكن «ساعة» يسوع قد أتت بعد.<sup>٣٣٨</sup>

لكن الآن، وهنا، في بستان جثسيماني، أتت ساعة يسوع — في تزامنٍ مع ما أطلق عليه «ساعة سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ».<sup>٣٣٩</sup>

كان عقرب ساعة المصير الإلهيّة يتحرك الآن لا محالة صوب منتصف الليل. وبالرغم من الظلام، استطاع يسوع أن يرى أوضح صورة على الإطلاق للآلام والعذابات التي كانت في انتظاره. هل هناك ضرر من أن نقول إنه قد تعرض هنا لهجوم شيطاني؟ فبالأكيد، أُطلق العنان لجيوش عالم الظلمة البغيضة ضده، مهاجمة نفسه وعقله، وقامعة

<sup>٣٣٧</sup> لوقا ٢: ٥٢.

<sup>٣٣٨</sup> تتخلل هذه الإشارات إنجيل يوحنا. انظر يوحنا ٢: ٤؛ ٧: ٣٠؛ ٨: ٢٠؛ قارن يوحنا

١٢: ٢٣؛ ١٣: ١؛ ١٧: ١.

<sup>٣٣٩</sup> لوقا ٢٢: ٥٣.

إيَّاه حتى النخاع. فإن الأفق البعيد قد اقترب الآن بكل واقعه الذي يعتصر الأحشاء.

لا بد أن يسوع كان يعرف كيف يبدو الصלב، وكيف هو وقعه، وماذا يفعل بالإنسان. وربما فكر كثيراً في أعماقه في أن الأمر سيكون شبيهاً بالصور التي رسمها المزمور الثاني والعشرون للألم: أسود زائرة تُمزق فريستها، وثيران قوية تحيط به.

لكن كانت هذه الليلة مختلفة. فقد كان التخيل والتفكير المسبق الآن يفسح المجال للواقع. الآن قد هجمت قوات الجحيم!

كاد الهلع أن يتمكّن من يسوع. ولا يثير تعليق مارتن لوثر دهشتنا، إذ قال: «لم يُصَب إنسانٌ برعب الموت مثلما أصيب هو ... فقد شعر واختبر مخاض الموت أكثر منا كلنا مجتمعين».<sup>٣٣٠</sup>

يخبرنا مرقس بأنه حين كان يسوع لا يزال مع التلاميذ: «ابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَبُّ». وكانت خلاصة كلماته هي: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ!»<sup>٣٣١</sup> وكما رأينا قبلاً، تعبر هذه اللغة عن شعور بالاضطراب والتشويش الناجم عن صدمة عنيفة.

<sup>330</sup> Martin Luther, The Complete Sermons of Martin Luther, vol. 5, ed. Eugene F. A. Klug (Grand Rapids, MI: Baker, 2000), 384.

<sup>331</sup> مرقس ١٤: ٣٣-٣٤.

في ذلك الوقت، رأى بطرس، ويعقوب، ويوحنا يسوع من زاوية جديدة. فقد رأوه قبلاً المعلم الذي يعلمهم، والنبى الذي ينادي بكلمة الرب، والمتحنن الذي يحمل الأطفال على ركبتيه. كما رأوه يمارس سلطانه على الرياح والأمواج. لكنهم لم يروه هكذا من قبل.

ربما وجَّه له أحدهم هذه الكلمات: «يا يسوع، هل أنت بخير؟ هل تشكو من خطبٍ ما؟» فأجابهم الرب: «إن الحزن يغمر نفسي». لم يقل لهم: «أشعر اليوم أنني لست بخير بعض الشيء. لست على ما يرام هذا المساء. لست اليوم في حالي الطبيعية نوعاً ما»؛ لكنه قال: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا».

كان يسوع هنا يجتاز في تجربة غير مسبوقة، يفوق رعبها الخوف الشديد الذي اعترى التلاميذ في السفينة وهم يواجهون عاصفة بحر الجليل. فقد صرخوا قائلين: «يا يسوع، استيقظ! إننا نغرق! أنقذنا! أَمَا يَهْمُكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟»<sup>٣٣٢</sup> لكن كان يسوع بمفرده تماماً في هذا القارب المبحر نحو قلب عاصفة الغضب الإلهي. الآن كان رمز اعتماده في مياه نهر الأردن لأجل خطايا شعبه يتحقق في واقع اعتماده في الدم في الجلجثة. ففي دينونة مياه شديدة وعاتية، انطلقت كل لجج الله صوبه، وطمت عليه

<sup>٣٣٢</sup> انظر مرقس ٤: ٣٥-٤١.



تياراته، فيما كان يأخذ على عاتقه خطايا شعبه: ٣٣٣

خَلَّصْنِي يَا إِلَهُ،  
لَأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي.  
غَرِقْتُ فِي حَمَاءٍ عَمِيقَةٍ،  
وَلَيْسَ مَقَرٌّ.  
دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ،  
وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي.  
تَعَبْتُ مِنْ صُرَاخِي.  
يَبِسَ حَلْقِي.  
كَلَّتْ عَيْنَايَ  
مِنْ أَنْتِظَارِ إِلَهِي.  
أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي  
الَّذِينَ يُبَغِضُونَنِي بِلَا سَبَبٍ.  
أَعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِي  
أَعْدَائِي ظُلْمًا.  
حِينَئِذٍ رَدَدْتُ  
الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ». ٣٣٤

انكمش يسوع، في ناسوته المقدس، فزعًا من بشاعة  
الهوان، والألم، والموت الذي كان في انتظاره.

٣٣٣ مزمور ٤٢: ٧.

٣٣٤ مزمور ٦٩: ١-٤.

ولذلك طلب «النجاة» قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ».<sup>٣٣٥</sup>

لو لم يكن قد فعل ذلك، لقلنا إنه ليس إنساناً حقيقياً. فهو لن يكون إنساناً أو قدوساً (أليس كذلك؟) إن كان الواقع الماثل أمامه لا يمثل له أيّة أهميّة. فهو لم يكن قد اختبر من قبل هذا الواقع البشع الذي كان يواجهه الآن — أي انصباب غضب الآب على نفسه المقدسة. كان هذا المشهد المنتظر يفوق التصور.

### إنسان كامل وحقيقي:

لطالما تراوح فهم الكنيسة عن شخص يسوع المسيح ما بين التأرجح والثبات. فقد تأرجح البندول كثيراً ما بين الانتقاص من لاهوت يسوع والانتقاص من ناسوته. وفي المئة وخمسين عاماً الأخيرة، انتقص الفكر الليبرالي من لاهوت المسيح، بينما عرّضت العقيدة المستقيمة نفسها لخطر الانتقاص من ناسوته، جزئياً كرد فعل على هذا. فمع إصرارنا على أن يسوع ربّ، وعلى أنه هو الإله الملك — الشيء الذي نوّكده بكل صراحة ودون أي تحفظ — علينا ألا نسقط البتة في ضلالة أن نجعله إما أدنى أو أعلى من إنسان. فإننا إن فعلنا ذلك، نختزل خلاصه إلى مجرد معادلة رياضية، بل والأسوأ من ذلك أننا سنجعله مسيحاً غير مؤهل لأن يكون مُخلصاً.

لكن إن كان مُخلّصنا إنسانًا كاملاً وحققيًّا، فلا بد أن يكون عمله إذن حقيقيًّا، من لحم ودم. لدينا إذن إنسان حقيقي، متواجدٌ في هذا البستان الحقيقي، بين أحبّاء حقيقيين، خذلوه أمام هذا الهجوم الحقيقي. ومن ناحية، كان هذا الهجوم آتياً من الجحيم (هل هناك تجربة أكثر شراسة على الإطلاق من تلك التي كان يواجهها الآن؟)، ومضمونه: «تراجع عن طاعتك حتى الموت، موت الصليب». لكن من ناحية أخرى، كانت الكأس التي ارتعد يسوع من تجرّعها تحوي هجومًا من السماء،<sup>٣٣٦</sup> سيصل به في النهاية إلى حد الصراخ قائلاً: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»

كان يسوع يعلم جيدًا أن هذا هو ما كان يعنيه أن يتألم ويموت كذبيحة كفاريّة عن الخطايا. فقد كان على وشك أن يذوق ويختبر معنى التخلّي الإلهي.

### مُخلّص شَعَر ولا زال يشعر:

هناك بُعد عقلي لهذه الآلام. لهذه الآلام جانبٌ فكريّ، بالإضافة إلى الجانب النفسي الجسماني. فقد تملّكت من يسوع مشاعر وانفعالات الموقف. كان قد أكد مرارًا وتكرارًا على ضرورة الإلهيّة لآلامه، لكنه كان الآن يواجه المحنة عن قُرب. ففي ليلة استدعت برودتها إشعال نار للتدفئة في ساحة رئيس الكهنة، تصبّب عرق يسوع كقطرات كبيرة

<sup>٣٣٦</sup> للاطلاع على إشارات أخرى إلى كون هذا هو معنى «الكأس»، انظر: مزبور ٧٥:

٨؛ إشعياء ٥١: ١٧، ٢٢؛ إرميا ٢٥: ١٥-١٧؛ حزقيال ٢٣: ٣٢-٣٣؛ حبقوق ٢: ١٦.

من الدماء، سقطت ملطَّخة الأرض.<sup>٣٣٧</sup> كيف يمكن لأحد أن يتصبَّب عرقًا بهذا الشكل في ليلة باردة لدرجة أن بطرس أسرع في الذهاب ليستدفئ بقرب النار؟<sup>٣٣٨</sup>

يُدرِك بعضنا جيدًا معنى الكرب والعذاب العقلي. فإن البعض منا يشعر به إلى حدٍّ أننا نخشى بالفعل على سلامتنا العقليَّة، بل وعلى حياتنا أيضًا. تصيب عقول البعض منا المخاوف، ويشعرون أحيانًا بأنهم على حافة اليأس وفقدان الأمل.

وهل لدى رسالة الإنجيل شيءٌ تخبرنا به في هذا الشأن؟

قطعًا لديها ما تخبرنا به! تخبرنا رسالة الإنجيل بأن المسيح قد اختبر كلَّ هذا في أعماقه. هل تعلِّم أن الرب يسوع يدرِك جيدًا طبيعة هذا الشعور بالضغط والضيِّق الشديد؟ ليس عبثًا إذن أنَّ كاتب العهد الجديد الذي قال:

الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصَرَاحٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ  
طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ،  
وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ  
الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ.<sup>٣٣٩</sup>

هو نفسه الذي قال أيضًا:

يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ.<sup>٣٤٠</sup>

<sup>٣٣٧</sup> لوقا ٢٢: ٤٤.

<sup>٣٣٨</sup> لوقا ٢٢: ٥٥.

<sup>٣٣٩</sup> عبرانيين ٥: ٧-٨.

<sup>٣٤٠</sup> عبرانيين ١٣: ٨.

لا تصف هذه الكلمات الأخيرة طبيعة الابن السرمديّة وغير المتغيّرة. صحيح أن هذا حق كتابي، ولكنه ليس الحق المقدم في هذا النص. بل يخبرنا هذا النص بأن يسوع لا يزال كما كان في أثناء خدمته على الأرض، في كلّ شيء. فإن ترفّقه الشديد، وتحنّنه، وتفهمه التام للألم سواء العقلي أو الجسدي — الذي صوّرته الأناجيل بوضوح شديد — لا يزال حقيقيًا اليوم كما كان بالأمس. والأكثر من هذا أنه سيظل دائمًا هكذا! فهو لا يزال اليوم كما تصفه رواية الأناجيل تمامًا — وكل هذا لأجلنا!

**هناك جانب جسدي لهذه الآلام.** هذا الأمر جديرٌ بالذكر، ولا داعي للاستفاضة فيه. فإن الصلب، بالتأكيد، هو أشد العقوبات وحشيّة، وقسوة، ولا آدميّة التي اخترعها الإنسان على الإطلاق. يجب أن يكون واضحًا أمامنا تمامًا أنه لم يكن هناك شيء في ناسوت المسيح يستطيع أن يجعل مشاعره تتبلّد، أو يستطيع أن يخدّره للتقليل من حجم آلامه. فإن الكيفيّة المروعة التي نُفّذت بها عقوبة الموت التي صدرت ضده — على الرغم من براءته — لم تكن جزءًا من رواية، بل هي واقع حقيقي.

بل في حقيقة الأمر، حرص يسوع بشدّة على أن يتألّم دون تخفيف، لدرجة أنه حين قُدّم له خلٌّ ممزوجٌ مرارة كنوع من المخدر لإماتة حواسه والتسكين من آلامه، أبى أن

يشرب.<sup>٣٤١</sup> فقد عزم على أن يتجرّع كأس الآلام حتى الثمالة.

**هناك بُعد اجتماعي لهذه الآلام.** ربما لم يخطر ببالك قبلاً أن هذا البُعد قد يشكّل أيّة أهميّة فعليّة لدى يسوع. ولكن فكّر معي في ذلك الآن: كان يسوع شخصاً ودوداً. فهو لم يكن في خدمته كصخرة صلبة أو كجزيرة نائية.

لم يبنِ يسوع أسواراً بينه وبين الناس، بل بنى جسوراً. فقد جمع الناس حوله، وأحبّه الأطفال. وقد أتاه أناس من الصفوة، كما أنصت إليه أناس عاديون. كان أصدقائه وأحباؤه يمثلون أهميّة عنده. كما أنه أحب جيرانه. فقد كان حنوناً ومحبباً. وكان يستمتع بالعلاقات الإنسانية.

ولهذا، حين جثا يسوع على ركبتيه في هذا البستان (الذي كان قبلاً بالنسبة له موضعاً لراحة البال والعلاقات الجيدة)، لم يكن بالأمر الهين عليه أنه كان على وشك أن يُهمّش، ويُعزّل، ويُدان. كان رفقاؤه طوال ثلاث سنوات على وشك خيانتهم، أو إنكاره، أو الازدراء به والتخلي عنه. ولن يجد وجهًا ودودًا، أو يدًا تمسك به، أو كلمة تشجيع تُهمس في أذنه.

كان يسوع على وشك التعرض للظلم وسوء المعاملة من المؤسسة الدينيّة التي سعى قبلاً إلى معاملتها باحترام وتوقير. وكان على وشك التعرّض علناً للذل والمهانة — تلك

المهانة التي قطعاً شعر بها أعز أصدقائه وأقرب أفراد عائلته. فقد كان يسوع، الذي كان جاثياً الآن في البستان، على وشك أن يموت ظلماً، وحيداً، بينما وقف أحباؤه على مبعدة منه تقريباً حتى النهاية، ناهيك عمّن تخلوا عنه تماماً. هل شعر يسوع أيضاً بأن أولئك الذين كانوا يمثلون أهميّة لديه في هذه الحياة الأرضيّة هم أكثر من ظنوا أنه قد خذلهم؟

نستطيع أن نرى إذن أنه لو كان يسوع إلهاً فحسب، كنا سنميل إلى التفكير هكذا: «حسنًا! أين تكمن المشكلة؟ فإنه ابن الله، وهذا لا يمثل مشكلة بالنسبة له».

لا، بل كان هذا بالحقيقة يمثل مشكلة لديه.<sup>٣٤٢</sup>

في أثناء سنوات نشأتنا في جلاسكو، بإسكتلندا، اعتدنا أن تأتينا زيارات من مجموعات من المؤمنين من الولايات المتحدة الأمريكيّة. وكانوا يحضرون معهم مُرمّين وأنواع مختلفة من التراتيل كي نتعلّمها. وقد ترك البعض من هذه التراتيل أثراً عميقاً في أذهان الشباب وقلوبهم. تبدأ واحدة من هذه التراتيل بالكلمات الآتية:

There were ninety and nine  
that safely lay

In the shelter of the fold.

كان هناك تسعة وتسعون  
رابضون في سلام

داخل الحظيرة.

<sup>٣٤٢</sup> ربما ينبغي أن نشير هنا إلى أن هذا لن يكون تجاهلاً لناسوت الرب فحسب، بل أيضاً سوء فهم للاهوته.

But one was out on the hills  
away,

Far off from the gates of  
gold.

Away on the mountains wild  
and bare.

Away from the tender  
Shepherd's care.

Away from the tender  
Shepherd's care.

“Lord, Thou hast here Thy  
ninety and nine;

Are they not enough for  
Thee?”

But the Shepherd made  
answer: “This of Mine

Has wandered away from  
Me;

And although the road be  
rough and steep,

I go to the desert to find My  
sheep,

I go to the desert to find My  
sheep.”<sup>343</sup>

لكن ابتعد واحدٌ  
نحو التلال،

بعيداً عن الأبواب  
الذهبية.

ابتعد في الجبال البرية  
وفي العراء.

بعيداً عن رعاية  
الراعي الحنونة.

بعيداً عن رعاية  
الراعي الحنونة.

«يا رب، لديك  
تسعة وتسعون؛

ألا  
يكفونك؟»

لكن أجاب الراعي: «ذاك الذي  
هو لي،

قد ضلَّ  
بعيداً؛

وبالرغم من وعر الطريق  
وانحداره،

سأمضي إلى الصحراء  
لأجد خروفي،

سأمضي إلى الصحراء لأجد  
خروفي.»

<sup>343</sup> Elizabeth Clephane, “The Ninety and Nine,” 1868.



كانت هذه الكلمات التي كتبتها إليزابيث كليفان (Elizabeth Clephane) تُرتل دائماً بالحن الذي ألفته إيرا د. سانكي (Ira D. Sankey). كانت الترتيلة مؤثرة للغاية. كان يبدو لنا أن البيت الأول والثاني يسيران بسلاسة مع اللحن؛ ولكن بدءاً من البيت الثالث. كان ينتابنا شعورٌ بحلول الظلام، ويغيب يسوع عن المشهد. كنا نعلم أننا لا نقدر أن نقطع كلّ المسافة معه.

|                                                       |                                     |
|-------------------------------------------------------|-------------------------------------|
| But none of the ransomed<br>ever knew                 | لكن لم يدرك أحدٌ<br>من المفتدين     |
| How deep were the waters<br>crossed;                  | عمق المياه التي عبر<br>فيها الرب،   |
| Nor how dark was the night<br>the Lord passed through | أو ظلمة الليلة التي<br>اجتاز فيها،  |
| Ere He found His sheep that<br>was lost.              | حتى يجد<br>خروفه الضال.             |
| Out in the desert He heard<br>its cry,                | فخارجاً في الصحراء<br>سمع صراخه،    |
| Sick and helpless and ready<br>to die;                | عليلاً وعاجزاً، على مشارف<br>الموت؛ |
| Sick and helpless and ready<br>to die;                | عليلاً وعاجزاً، على مشارف<br>الموت؛ |

ثم بدا وكأن البيت الرابع والخامس يصفان لنا كل ما كان مسموحاً لنا أن نعرفه:

“Lord, whence are those blood  
drops all the way  
That mark out the mountain’s  
track?”

“They were shed for one who  
had gone astray  
Ere the Shepherd could bring  
him back.”

“Lord, whence are Thy hands  
so rent and

“They are pierced tonight by  
many a thorn;

They are pierced tonight by  
many a thorn.”

And all through the  
mountains, thunder riven  
And up from the rocky steep,  
There arose a glad cry to the  
gate of Heaven,

“Rejoice! I have found My  
sheep!”

And the angels echoed around  
the throne,

“Rejoice, for the Lord brings  
back His own!

Rejoice, for the Lord brings  
back His own!”

«يا رب، من أين تأتي قطرات الدماء  
المتساقطة على طول الطريق

صابغة طريق  
الجبل؟

«قد سُفِكت هذه

لأجل ضالٍ

كي يعيده

الراعي».

«يا رب، لماذا يداك مشققتان

وممزقتان هكذا؟»

«قد ثقتبهما اليوم

أشواك كثيرة؛

قد ثقتبهما اليوم

أشواك كثيرة».

وطوال الطريق إلى الجبال،  
عصفت الرعد  
ومن فوق قمة الصخرة المنحدرة،

انطلقت صرخة مبتهجة نحو  
باب السماء،

«افرحوا! قد وجدتُ

خروفي!»

فرددت الملائكة

حول العرش،

«افرحوا، لأن الرب

استعاد خاصته!

افرحوا، لأن الرب

استعاد خاصته!»

لا أحد منا يدرك جيداً البرودة اللاذعة لهذه المياه، أو عمق تلك الظلمة. كان الرب بمفرده تمامًا في جثسيماني. نستطيع أن نطيل النظر إلى هذا المشهد، وأن نبذل قصارى جهدنا لفهمه، لكننا لن نتمكن البتة من استيعابه بالكامل. ولهذا نحن ممتنون لكلمات بولس القائلة:

بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتِي لَدَى أَبِي ... لِيَكِي يُعْطِيَكُمْ  
بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي  
الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ ... وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ  
فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ  
الْقَدِيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُّ،  
وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ.<sup>٣٤٤</sup>

تبادر إلى ذهننا الآن ترتيلة أخرى، تنتمي هذه المرة إلى إقليم ويلز:

|                                         |                           |
|-----------------------------------------|---------------------------|
| Here is love, vast as the<br>ocean,     | محبة واسعة<br>كالمحيط،    |
| Loving kindness as the flood,           | ومراحم غزيرة كالطوفان،    |
| When the Prince of Life, our<br>Ransom, | رئيس الحياة،<br>فديتنا،   |
| Shed for us His precious<br>blood       | قد سفك عنا<br>دمه الثمين. |
| Who His love will not<br>remember?      | من منا لا يذكر<br>محبتة؟  |

Who can cease to sing His  
praise?

He can never be forgotten,

Throughout Heav'n's eternal  
days.<sup>345</sup>

مَنْ يستطيع التوقف عن  
الإنشاد بحمده؟

لا يمكن أن يُنسى البتة،

طوال الأبدية  
في السماء.

في حقيقة الأمر، كانت قسوة الموقف الذي تعرّض له  
يسوع في البستان عنيفة، وكانت آلامه غائرة للغاية، لدرجة  
أن ملاكاً أُرسِل من السماء ليعلمه. (أليست الملائكة  
«أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرْتُوا  
الْخَلَاصَ»؟<sup>٣٤٦</sup>)

هل يمكنك تخيل شكل الاستدعاء الذي جاء إلى هذا  
الملاك؟

فكان الآب قال له: «أريد أن تقوم بزيارة معيّنة.  
أريدك أن تنزل إلى أورشليم، إلى جبل الزيتون — وبالتحديد  
إلى بستان جثسيماني. وهناك ستجده».

«مَنْ هو هذا يا رب؟»

«عبدي. هناك ستجد المتألم. هو ابني. اذهب واخدمه».

مَنْ يستطيع وصف طبيعة خدمة ذلك الملاك —  
ناهيك عن تفسيرها؟ قال ألكسندر وايت (Alexander

<sup>345</sup> William Rees, "Here Is Love, Vast as the Ocean," 1876.

<sup>٣٤٦</sup> عبرانيين ١: ١٤.

(Whyte)، راعي كنيسة سان جورج الحرة بمدينة إدنبرج في القرن التاسع عشر، إنه حين يصل إلى السماء، وبعد أن يلتقي بالمسيح أولاً، سيكون هذا الملاك هو أكثر شخص يرغب في لقاءه.

نحن قطعاً نتفهم هذا جيداً. فعلى الأرجح، لم يعرف ألكسندر وايت كيف يفسر هذه الآية بالتحديد. لكن ربما حين تتضح جميع الأمور، ولا يعود بعد ينظر في مرآة معتمدة — وكذلك نحن أيضاً — ربما حينئذ يتضح شيء من الإجابة.

قطعاً، بمجرد مجيء الملاك (هكذا نظن)، أصبح كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟ ربما تظن ذلك، لأنك تحكم على الأمر من خلال بعض الكتب الحالية التي تتحدث عن الملائكة. فحين يأتي الملاك، يصير كل شيء بخير ... أليس كذلك؟

هل هذا صحيح؟

ليس صحيحاً. بل بعدما جاء الملاك، صارت الأمور أبعد ما يكون عن الحال الجيد.

لاحظ معي الجملة الصادمة التي تلت هذا: «وَوَظَّهَرَ لَهُ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ».<sup>٣٤٧</sup>

قطعاً كان الرب يسوع ممتناً لله لأجل التعزيز الذي جاءه من السماء، لكن لم يقلل هذا من حدة صراعه، بل

فقط أتاح له أن يواصل الصراع حتى النهاية. (بالمناسبة، لاحظ أن يسوع لم «يستعِن» بأية قوة خاصة من لاهوته في هذه اللحظة — فإن لاهوته وناسوته لم يمتزجا أو يختلطا البتة بهذه الطريقة. بل بالأحرى، حصل يسوع على معونة من أبيه عن طريق زيارة الملاك).

أكد دونالد ماكليود (Donald Macleod) على حدة الأمر حين كتب هذه الكلمات:

في كلِّ هذا، لا يزال المسيح يساند أولئك الراحين تحت ضغوط أحزانهم، ولا يجدون في أنفسهم قدرة على احتمال الحزن والارتباك، بل ويخشون أن يقضي هذا عليهم.<sup>٣٤٨</sup>

يا لشدة التحنن! ويا لشدة التسليم والتكريس!

يتحتم علينا الآن أن نتناول بعداً آخر يخص الرب يسوع بصفته العبد المتألم.

## تناقض:

وأخيراً، قام يسوع من الصلاة.

وانتهى الصراع.

وعلى نقيض انبطاحه السابق، رجع يسوع إلى تلاميذه هادئاً.

والآن صار مستعداً أن يسلك درب الآلام.

---

<sup>348</sup> Donald Macleod, From Glory to Golgotha (Fearn, Ross-shire: Christian Focus, 2002), 88.

لم يعد هناك الآن أدنى شك في أنه سيسلك درب الآلام حتى نهايته.

والآن سيتحول كل ما ترقَّبَه في اللحظات الكثيبة في البستان إلى واقعٍ.

فقد جاءه الملاك وقوّاه. والآن كان واقفًا على قدميه.

فقد صمد في جثسيماني، وahan الآن وقت عودته إلى تلاميذه. لكن، مع أنه حث التلاميذ على السهر والصلاة، غلبهم النعاس. لكنه الآن قد أمسك بالكأس بين يديه، وسيرفعها إلى شفّيته.

يقول لوقا في لطفٍ شديد إن التلاميذ كانوا منهكي القوى من شدة الحزن. لكن ربما لم يكن هذا مجرد لطف من جانب لوقا. فقد كان طبيبًا، وقد أولى اهتمامًا لطبيعة العرق الذي تصبب من يسوع. ربما إذن كان يريد منا هنا أن نفهم شيئًا. فقد اجتاز هؤلاء الرجال في تجربة مريعة تهز المشاعر، وعجزوا هم أيضًا عن احتمالها. لكن الشيء الرائع هو أن يسوع خاطبهم مرة أخرى قائلاً: «لماذا أنتم نيام؟ دعوني أوصيكم مرة أخرى بما تحتاجون أن تفعلوه: اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة».

ثم حين جاء الجنود مع يهوذا للقبض على يسوع، خطا يسوع إلى الأمام وقال: «أظن أنكم تبحثون عني». لا نجد أثرًا هنا لانكماش، أو هروب، أو اختباء.

أعرب مارتن لوثر، جزئيًا في ضوء فهمه للألم العنيف الذي اجتازه المخلّص، عن قلقه الشديد حيال حال الكنيسة في زمانه. فقد أصبحت الكنيسة قوية ماديًا، وصار يملأها شعورٌ بالقوة، والمجد، والرفعة؛ وكانت تتبنى ما دعاه لوثر *theologia gloriae* — أي لاهوت المجد، الذي هو مجدها الشخصي. ولكن ما كانت بحاجة إليه بالفعل هو *theologia crucis* — أي لاهوت الصليب.

وإن ما نجده هنا هو لاهوت الصليب. فحين نرى المسيح العبد المتألّم، ليت الله يساعدنا على أن نكتفي بلا رجعة من تلك الغطرسة السطحية التي تنبعث بكل أسف من الكثير جدًّا من الهيئات والكنائس المسيحية.

هل فكرتَ قبلاً في أن رعاية الكنائس يخدمون، في أيام الآحاد العادية، أناسًا تمتلئ حياتهم باليأس المنعزل — الذي على الأغلب يشوّهها؟ لكن للأسف، صارت بعض الكنائس و«الخدمات» الباحثة عن الربح المادي، والتي صارت موجودة بكثرة، شديدة البراعة في إخفاء كل هذا بوعود بالنصرة، وبحياة بعيدة عن متناول الألم والحزن.

فإن إخفاء الاحتياجات العميقة عن طريق شريط لاصق هو دائماً علاج غير مجدٍ ومنافٍ للعقل للقلوب المحطّمة. يكشف استخدام هذا الشريط عن لاهوت لا يمت للكتاب المقدس بأية صلة — بل وشديد القسوة أيضًا. فللأسف الشديد، لم تُعد أعين المكسورين، والمقهورين،



والمحطّمين، والبائسين، والحزاني توجّه قط نحو العبد المتألم الذي سيحبهم، ويرثي لهم، ويخلصهم، ويغيرهم تدريجيًا بقوة.

لن تكون لدى كنائسنا أية خدمات تقدمها للأدنياء وآخر الكل، وللضالين والمهمّلين، إلا حين نصير على استعداد أن نقر بأن المسيح نفسه كان عبدًا متألمًا دخل حتى إلى أعماق طبيعتنا البشرية. ولذلك، علينا نحن أيضًا، كأتباع يسوع، مع أننا لا نزال خطاة، أن نكون عبيدًا متألمين.

إن ابتساماتنا التي تكشف عن نصرّة سطحيّة لا تجذب أولئك الذين يصارعون مع بحر الحياة المضطرب، بل بالأحرى تنفرهم. فإن رسالة الإنجيل الكتابية تهدم جميع تأكيداتنا السخيفة على أن تدخل الله في حياتنا يبعِدنا عن متناول الضيقات والمصاعب؛ أو تلك الشهادة عن عمل يسوع والتي تبدو وكأنها توحى بأنك إن كنت مؤمنًا، فإن جميع إشارات المرور ستعمل لصالحك إن كنت على عجلة من أمرك؛ أو ستكون بناتك جميلات، أو أبنائك وسماء وسيعملون في أفضل الوظائف، أو أنك ستحصل دائمًا على أعلى الدرجات في الاختبارات التي تجتازها. فإن المؤمنين هم حقًا رابحون، ولكن المكافأة الحقيقية تنتظرهم على الجانب الآخر من الآلامهم.

كيف يمكننا تصوّر أن حالنا سيكون مختلفًا، بينما جاء ربنا ومخلصنا كعبدٍ متألمٍ؟

## مُخلص متألم لأجل المنبوذين:

تأمل معي في الجماعة المحظور لمسها، التي تُصنّف في قاع النظام الطبقي التقليدي في الهند؛ أو في الأعداد الغفيرة من أولئك الذين ينتمون بحسب الميلاد إلى جماعة الداليت. يعيش هؤلاء بلا رجاء. فإنهم منبوذون، وفاقدو الأهلية، وممنوعون من شغل الوظائف. تخيل معي ماذا سيحدث إن ذهب إليهم شخص وأخبرهم عن يسوع، المُخلّص الذي كان محتقرًا ومخذولًا من الناس، والمعلّم الذي كان رجل أوجاع ومُختبر الحزن؛ وعن يسوع المسيح ابن الله الذي ستر الناس وجوههم عنه — كما لو كان ينتمي إلى جماعة الداليت!

ربما يجيب حينئذ أحد الداليت: «لم نسمع قط عن هذا الشخص. مَنْ هو؟» لا عجب إذن أن يجذب العديد من هؤلاء إلى المسيح.

ألا يختلف كل هذا اختلافًا شاسعًا عن المسيحية الأمريكية، أو الأسترالية، أو البريطانية، أو عن مسيحية جنوب أفريقيا؟ فإن هذه الأنواع من المسيحية تناشد أبطال الرياضة، ومشاهير الفن، وأعضاء فرق المُشجعين، ورجال الأعمال الناجحين. لكننا لم نستمد هذا الفكر من الكتاب المقدس. حان الوقت كي نكتفي من كل هذا، إن أردنا، في القرن الحادي والعشرين، أن نقدم، في خضوع لله، الإنجيل إلى المعوزين والمُهْمَّشين.

نحن نُريد يسوعًا يأخذ كل الألم على عاتقه بمفرده، أليس كذلك؟ كما قال أ. و. توزر (A. W. Tozer)، منذ سنوات، متنبئًا: «نُريد أن نخلّص، لكننا نصر على أن يتولّى المسيح بمفرده كل الموت. لسنا نريد صليبيًا، أو نزولًا عن عروشنا، أو موتًا. فإننا نظل ملوكًا داخل مملكة النفس البشرية الضئيلة، مرتدين تيجاننا المبهرجة بكل كبرياء القياصرة؛ لكننا بهذا نحكم على أنفسنا بالظلام والضعف والعقم الروحي».<sup>٣٤٩</sup>

ولكن بَمَ تخبرنا الأناجيل في هذا الشأن؟ تخبرنا بأنه بعدما قال يسوع للتلاميذ إن «ابنَ الإنسانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ»، قال لهم أيضًا: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِزْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا».<sup>٣٥٠</sup>

كذلك أيضًا، حين كان بولس قد وصل إلى نهاية حياته، وكان يكتب رسالته الأخيرة إلى تيموثاوس، أوصاه قائلاً: «اشْرَكَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللَّهِ ... فَاشْرَكَ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ».<sup>٣٥١</sup>

<sup>349</sup> From The Root of the Righteous, in Gems From Tozer (Carlisle, UK: Send the Light Trust, 1969), 20.

<sup>٣٥٠</sup> مرقس ٨: ٣١-٣٧.

<sup>٣٥١</sup> ٢ تيموثاوس ١: ٨؛ ٢: ٣.

نعم، على عبيد العبد المتألم أن يتألموا معه. هذا هو  
الطريق إلى المجد.

لذلك، فاليوم إن سمعتَ صوتَ الله، لا تُقسِّ قلبك.<sup>٣٥٢</sup>



# الفصل السابع

## يسوع المسيح،

### الخروف الجالس على العرش



توجد أشهر لوحات الرسام الفرنسي جوجان (Gauguin)، الذي ينتمي إلى المدرسة الانطباعية، على الأرجح في متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن. وفي الركن الأعلى على يسار اللوحة الزيتية، كتب هذا الرسام الكلمات التالية باللغة الفرنسية: «من أين نأتي؟ ومن نحن؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟» يجيب الكتاب المقدس عن كل سؤال من هذه الأسئلة، ولا يترك أي مجال للشك في أصلنا ومصيرنا الأخير.

وبالرغم من الوضوح الذي يتكلم به الكتاب المقدس، خدع الشرير أعداداً غفيرة من الرجال والنساء من جهة كل من أصلهم ومصيرهم النهائي. وبسبب هذا، يصيبهم الارتباك لا محالة بشأن كل من ماضيهم ومستقبلهم. ففي

مدن العالم الضخمة، كما أيضًا في المناطق النائية الشاسعة البعيدة عن المراكز السكانية الرئيسيّة في العالم، يبحث الرجال والنساء عن المعنى.

كانت هذه القضية بالتأكيد محط اهتمام العالم الأكاديمي — مثل علماء الاجتماع، وعلماء النفس، وآخرين. ولكن كانت الفنون هي من تناولتها بدرجة أكبر، وعادة بأشد حدة.

منذ بضعة سنوات، عُرضت المسرحيّة التي قامت ببطولتها سيدة واحدة، بعنوان *The Search for Signs of Intelligent Life in the Universe*، والتي كانت من تأليف جاين فاجنر (Jane Wagner)، على مسارح برودواي؛ وكانت من بطولة الممثلة ليلي توملين (Lily Tomlin).

بينما كانت ليلي تتأمل في حياتها، توقفت عند نقطة ما، وقالت: «أتساءل أين تقع هذه الليلة في المخطط الكوني الأكبر للأحداث؟» ثم أضافت: «أخشى أنه لا يوجد شيء يسمّى المخطط الكوني الأكبر للأحداث».<sup>٣٥٣</sup>

صحيح أن هذا مضحك، لكنه أيضًا حاد ولاذع.

كتب أينشتاين أيضًا، في الخطاب الذي قدمه بعنوان (Credo)، ما يلي:

<sup>353</sup> Jane Wagner, *The Search for Intelligent Life in the Universe* (New York: Harper Collins, 1987), 26.

يبدو وضعنا في هذه الأرض غريبًا. يأتي كلُّ منا هنا  
رغمًا عن إرادته، ودون دعوة، ليقضي مدة إقامة  
قصيرة، دون أن يعرف الأسباب أو الحِثِّيات.<sup>٣٥٤</sup>

من منا كان يتصور أن يشترك أينشتاين في الألفاظ مع  
المغنية البريطانية الشهيرة بيتيولا كلارك (Petula Clark) —  
والعكس صحيح؟ فقد غنت في الستينيات هذه الكلمات:

|                                                               |                                            |
|---------------------------------------------------------------|--------------------------------------------|
| You wander around on your<br>own little cloud,                | أنت تهيم في الأنحاء على<br>سحابتك الصغيرة، |
| and you don't see the <i>why</i> or<br>the <i>wherefore</i> . | حين لا تفهم السبب<br>أو الحِثِّية.         |

وماذا كانت النصيحة التي قدمتها؟

|                                                    |                                 |
|----------------------------------------------------|---------------------------------|
| Don't sleep in the subway,<br>darlin'              | لا تنم يا حبيبي<br>في الأنفاق   |
| Don't stand in the pouring<br>rain. <sup>355</sup> | ولا تقف تحت<br>الأمطار الغزيرة. |

هل هذا هو كلُّ ما يمكن قوله؟

على هذه الخلفية، يأتي الإنجيل برسالة من الرجاء  
المجيد. نجد جزءًا من تلك الرسالة في سفر الرؤيا، السفر  
الأخير في الكتاب المقدس. يؤكِّد هذا السفر باستمرار على  
الحق الكتابي المحوري بأن تاريخ الخلاص هو الذي يحدِّد

---

<sup>٣٥٤</sup> كُتِب هذا الخطاب في الأصل في عام ١٩٣٢، ثم تم تسجيله صوتيًا لأجل الرابطة  
الألمانية لحقوق الإنسان.

<sup>355</sup> "Don't Sleep in the Subway," Tony Hatch and Jackie Trent.



بصورة مطلقة تاريخ عالمنا. بل وأن التاريخ لا يمكن أن يُقرأ أو يفهم بشكل صحيح دون استخدام العدسات الكتابية.

في سفر الرؤيا نجد يوحنا، كاتب السفر، على جزيرة بطمس الصغيرة، التي تقع بالقرب من تركيا الحديثة. فقد نُفي هناك بسبب أمانته من نحو الإنجيل. وقد وصف نفسه مَنْ يكتب إليهم قائلاً: «أَخَاكُمْ وَشَرِيكُمْ فِي الضِّيْقَةِ».<sup>٣٥٦</sup> كان قراؤه الأصليون مؤمنين يحاولون، نظيرنا، فهم معنى حياتهم. وبصفة خاصة، كانوا يحاولون في القرن الأول التوفيق بين ظروفهم الشخصية المتعبة والقاسية ورسالة نصره المسيح على الخطية، وإبليس، والموت.

سمع هؤلاء المؤمنون الكرازة بالإنجيل التي قُدِّمت لهم، وربما استمعوا إلى عظات كتلك التي قدمها بطرس في يوم الخمسين. فقد قَدَّمَ بطرس، بقوة الروح القدس، نظرة بانورامية شاملة عن التاريخ، موضحاً لمستمعيه أن يسوع الذي يتكلَّم عنه هو ذاك الذي صُلب، ومات، ودُفن. لكن الله أقامه من الأموات، وقد ظهر لتلاميذه، والآن قد صعد عن يمين الله. وكان حلول الروح القدس هو البرهان المنظور على تتويجه غير المنظور. وكل هذا كان ببساطة حسب الكتب.

كان مؤمنو القرن الأول هؤلاء يدركون أن ربَّهم وملِكهم الذي صعد إلى السماء هو مَنْ يتحكَّم بالكامل في كل الظروف. فهو، كما رأينا فيما سبق، مَنْ «فِيهِ

يَقُومُ الْكُلُّ».<sup>٣٥٧</sup> وقد كانوا ينتظرون تلك اللحظة الحاسمة والأساسية التي فيها سيكتمل تمامًا كل ما خطط له الله، وستتثبت ربوبية المسيح في كل أنحاء الأرض إلى الأبد.

كان هؤلاء المؤمنون قادرين على الإقرار بجميع مواد قانون إيمان الرسل.<sup>٣٥٨</sup> فقد كان يؤمنون بها، لكن كانت الصعوبة الحقيقية تكمن في أن الكثير مما أقرؤا به بدا أنه لا يتحقق — ولا سيما وعود الإنجيل بغلبة الله، ونصرة ملكوته.

كان سمعان بطرس الرسول نظير يوحنا قد كتب بالفعل عن «قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ» سيأتون «في آخِرِ الْأَيَّامِ» — وهذا تعبير يشير إلى الحقبة الواقعة ما بين المجيء الأول ليسوع في تجسده، ومجيئه ثانية في النهاية في القوة والمجد. ففي أثناء هذه الفترة، على المؤمنين أن يتوقعوا أن هؤلاء القوم المستهزين — أي أولئك السالكين بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ — سيقولون: «أَيَّنْ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَلِكٌ غَالِبٌ، وَإِنَّهُ رَبُّ سَيَّاتِي ثَانِيَةً. حَسَنًا، أَيْنَ هُوَ؟ يَبْدُو كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ هَذَا الْعَامَ كَمَا كَانَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَالْعَامِ السَّابِقِ لَهُ».<sup>٣٥٩</sup>

بالطبع، كان هؤلاء المستهزون على حق من ناحية ما.

<sup>٣٥٧</sup> كولوسي ١: ١٧.

<sup>٣٥٨</sup> لسنا نوحى ضمناً بهذا أن قانون إيمان الرسل كان موجوداً كما هو في صورته الحالية في السنوات الأخيرة من القرن الأول، لكننا نقصد ببساطة أن تصريحاته كانت عناصر أساسية من «الْإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقَدِيسِينَ» (يهوذا ١: ٤).

<sup>٣٥٩</sup> انظر ٢ بطرس ٣: ٣ وما يليه.

فإن ما كان المؤمنون في انتظاره لم يأتِ كلية. فمع أن هؤلاء المؤمنين كانوا هم الكنيسة، عروس المسيح، وأتباع يسوع، لكنهم كانوا بلا قيمة أو أهمية في مجتمعهم. فقد كانوا جماعة صغيرة — ربما تزداد شخصاً أو شخصين بين الحين والآخر — لم تكن تمثل أيّة أهميّة. لكن في الوقت نفسه، حين كانوا ينظرون إلى العالم المحيط بهم، كانوا يرون إمبراطوريات الإنسان تنمو حسب الظاهر في تأثيرها، ولا سيما في قدرتها على مضايقة أتباع يسوع هؤلاء. فقريباً، كانت هذه الإمبراطوريات ستضطهدهم بشراسة، باستخدام القوة والحيلة. كما كانت عبادة الإمبراطور في ازدهار، وأولئك الذين رفضوا الاعتراف بقيصر ربّاً، ومن ثمّ رفضوا إنكار ربهم يسوع، سيتعرضون لعقوبة الموت.

ليس من الصعب إذن أن نتخيل أن يتعلق الحديث الذي يُجرى على مائدة العشاء بين أفراد عائلة مسيحية متوسطة بهذه التهديدات. ربما يقول أحد الأبناء هذه الكلمات:

حسنًا، ما هي الحياة المسيحية في النهاية؟ وكيف يسير الأمر؟ هل هي مجرد أمر شخصي وخاص يا أبي؟ هل بوسعنا الخروج بها إلى المجتمع؟ وهل لديها تأثير على الإمبراطورية الرومانية؟ ماذا عسانا نفعل بها؟ وأين هو يسوع؟ أعتقد أنك قلت إن يسوع سيأتي ثانية. هل سيحدث هذا قريباً؟

ومع أن المسيحيين يعترفون بيسوع ربّاً، لكن لا بد أنه

قد بدا لكثيرٍ منهم أن قيصر لا يزال ربًّا. كم شخص من هؤلاء أتاه الشرير — الكذاب وأبو الكذاب<sup>٣٦٠</sup> — وتسَلَّل إلى عقله قائلاً: «أتعلم شيئاً؟ ربما تسير وراء سراب عظيم. فإنك تكون بخير طالما كنت داخل دائرة جماعتك، تنشد التراتيل. لكن حين تخرج منها بمفردك وتفكر في الأمر ... تجد أنه لم يتغير الكثير، أليس كذلك؟»

يقول ليون موريس (Leon Morris):

إلى كنيسة أربكتها هذه المشكلات كُتب سفر الرؤيا. فقد أُرسل السفر إلى كنيسة ضئيلة الحجم، ومضطهدة، وخائبة الآمال، لم تكن تعرف كيف تتعامل مع الوضع الذي وجدت نفسها عالقة فيه.<sup>٣٦١</sup>

هذا منظور شديد الأهمية ينبغي تبنيّه بشأن سفر الرؤيا. ليس هذا السفر مكعب روبيك في اللاهوت. فهو لم يُكتب كي يكون لغزاً فكرياً يُرسل إلى مجموعة من الأشخاص يستمتعون بحل المسائل الحسابية. ليس هذا صحيحاً على الإطلاق. بل كان القراء الأصليون للسفر عالقين في مسألة حياة أو موت تمنعهم من الاستمتاع بهذا النوع من التسلية.

<sup>٣٦٠</sup> يوحنا ٨: ٤٤.

<sup>٣٦١</sup> Leon Morris, *Revelation: An Introduction and Commentary* (London: Tyndale, 1969), 20.

ربما تقول لي: «حسنًا، كل هذا جيد، لكن ألسنا بعيدين كل البعد عن هذا؟ فإننا لسنا مهذّدين اليوم بعبادة الإمبراطور!»

هذا صحيح؛ لكن حياتنا محاطة بعالم في حالة من الاضطراب: هناك أزمات اقتصاديّة، وبؤس وحرمان بشري، وحروب على العديد من الجبهات، وتفشٍ للفساد الأخلاقي. فإننا نستيقظ في كل صباح لتتناول جرعة منتظمة من الأخبار التي بمقدورها أن تدفعنا إلى اليأس. والأمر لا يتوقف البتة. فحقًا، للقرارات التي يتخذها رجال السياسة في واشنطن، وبكين، ولندن، وكابول، والقاهرة، وأورشليم، ودلهي تأثيرات بعيدة المدى على حياتنا. لكننا نعلّم أيضًا أننا محصورون داخل حقائق كونية أضخم من أن نفهمها أو نتنبأ بها، فما بالك بالتحكّم فيها. كما أننا ندرك أن أولئك الذين يدّعون المعرفة لا يدركون مدى ضآلة ما يعرفونه. وبالرغم من كل أنظمة الحماية التي لدينا، سواء الشخصية أو القوميّة، فإن انعدام الأمن متفشٍ للغاية في مجتمعنا الحديث.

قليلون من كتاب التراثيل في القرن العشرين يستطيعون أن يظاهوا براعة بول سايمون (Paul Simon) في نقل هذا الشعور بالعبثيّة والقلق بهذه الدرجة من الوضوح والأسى. ففي عالمنا هذا، الواقع محطّم ومنهار.

كيف إذن يغير يسوع من هذا الفهم عن الواقع؟

## لندخل إلى سفر الرؤيا:

في بعض الأحيان، نجد أنفسنا نطرح هذا السؤال: «هل هناك أية وسيلة يمكننا بها الذهاب إلى ما وراء كواليس كل هذا؟ هل هناك مَنْ يمكن أن يعطينا لمحة بسيطة عن المكان الذي نحن ذاهبون إليه، وما الذي سنفعله؟»

حسنًا، هل هناك وسيلة بالفعل؟

الجواب هو نعم! فإن هذا هو ما حدث ليوحنا في يوم الرب على جزيرة بطمس.

فقد أُخِذَ يوحنا إلى ما وراء كواليس الزمن والتاريخ. فقد قال: «كُنْتُ فِي الرُّوحِ ... وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ».<sup>٣٦٢</sup> أبدى أحد المفسرين ملاحظة بارعة تقول إن يوحنا لم يُؤخَذَ إلى أرض خيالية، بل في المقابل أُخِذَ إلى الأرض الحقيقية والأبدية، إلى أرض قوانين الله وحكمه الأبدي.

ثم سرعان ما نجد يوحنا في الأصحاح الرابع واقفًا أمام عرش أعلى وأكبر من أي عرش آخر معروف في هذا العالم. وهذا العرش يجلس عليه الله ذاته!

كان هناك سفر في يمين الله، وكان مكتوبًا عليه من الداخل والخارج، لكنه كان مختومًا بسبعة أختام. ثم صدر نداء في كل أنحاء الكون لإيجاد من يستطيع فك الأختام، وفتح السفر.

لكن في الحال، انتهى كل شيء تمنى يوحنا رؤيته  
نهاية قاسية.

فقد وُعد يوحنا بأنه سيعطى فهماً لمقاصد الله المتكشّفة  
تدريجياً، وبأن الستار سيُرفع حتى يتمكن من تفحص أسرار  
الله، حتى يتسنى له أن يكتب كلمات يشجع بها القديسين  
المحاصرين بالضيق في زمانه، مطمئناً إياهم برسالة عن  
نصرة الله. لكن لندع يوحنا يروي القصة بكلماته:

وَرَأَيْتُ مَلَاكًا قَوِيًّا يُنَادِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَنْ هُوَ  
مُسْتَحِقُّ أَنْ يَفْتَحَ السُّفْرَ وَيَقُوكَ خُتُومَهُ؟». فَلَمْ  
يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَلَا عَلَى الْأَرْضِ وَلَا تَحْتَ  
الْأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السُّفْرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَصِرْتُ أَنَا  
أَبْكِي كَثِيرًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ أَحَدٌ مُسْتَحِقًّا أَنْ يَفْتَحَ  
السُّفْرَ وَيَقْرَأَهُ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ.<sup>٣٦٣</sup>

ماذا عليه أن يفعل الآن؟

«لَمْ يَوْجَدْ أَحَدٌ».

هل كان يوحنا يقصد أنه «لم يوجد أحد في بطمس»؟

لا.

حسنًا، ربما كان يقصد أنه «لم يوجد أحد هنا على  
الأرض».

لا.

بل «لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ ... عَلَى الْأَرْضِ وَلَا تَحْتَ الْأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ السَّفَرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ».

حسنًا، إذن، ربما يستطيع أحد الملائكة الأقوياء، أو رؤساء الملائكة، أو الكروبيم أو السّرافيم أن يفتح السفر؟ لا.

بل «لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ ... أَنْ يَفْتَحَ السَّفَرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ». لم يكن الأمر يتعلق بقوة جبارة، بل بأن يكون الشخص «مستحقًا» أن يفعل هذا.

ولذلك، قال يوحنا: «فَصِرْتُ أَنَا أَبِي كَثِيرًا». لكن بعد ذلك،

فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ الشُّيُوخِ: «لَا تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ الْأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُودَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ السَّفَرَ وَيُقِفَّكَ خُتُومَهُ السَّبْعَةَ».<sup>٣٦٤</sup>

هكذا قال له واحد من الأربعة والعشرين شيخًا الواقفين حول العرش: «لا تبكي يا يوحنا! هناك أسد جبار قادر أن يفعل هذا».

لا يساورنا أدنى شك حيال هوية هذا الأسد. فهو «الْأَسَدُ الَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُودَا، أَصْلُ دَاوُدَ»؛ أي هو المسيا الموعود به في كُتُب العهد القديم،<sup>٣٦٥</sup> والملك الغالب، والابن الذي

<sup>٣٦٤</sup> رؤيا ٥: ٥.

<sup>٣٦٥</sup> تكوين ٤٩: ١٢-٩.



مسحه الله وعيَّنه ليملك على صهيون جبله المقدَّس،  
والذي سيعطى الأمم ميراثًا،<sup>٣٦٦</sup> وسيوضِّع أعداؤه موطئًا  
لقدميه.<sup>٣٦٧</sup> فلا الموت ولا الجحيم، ولا إبليس ولا الخطيئة  
سيستطيع أن يمنع هذا الانتصار. فإن في هذا الشخص  
تتحقق مقاصد الله بشكل نهائي، ومجيد.

أمدنا الله في يسوع بالحل لدموع يوحنا «لَا تَبْكِي!»  
لكن بعد ذلك التفت يوحنا لينظر،

وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسْطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَفِي  
وَسْطِ الشُّيُوخِ خُرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ  
قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ  
إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ. فَأَتَى وَأَخَذَ السُّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ  
عَلَى الْعَرْشِ.<sup>٣٦٨</sup>

توقع يوحنا أن يرى الأسد الذي من سبط يهوذا. فقد  
كان هذا بالحقيقة هو التوقع المسياني العظيم. لكن كانت  
حاسة البصر اللاهوتيَّة ليوحنا هنا أفضل مما كانت عليه  
قبلاً حين دعاه يسوع، ربما في سن صغيرة، كي يتبعه. فقد  
صار الآن يرى ما رآه يوحنا المعمدان منذ البداية: غلب  
الأسد الذي من سبط يهوذا بأن صار «حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي  
يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ».<sup>٣٦٩</sup>

<sup>٣٦٦</sup> مزمور ٢: ٦-٨.

<sup>٣٦٧</sup> مزمور ١١٠: ١.

<sup>٣٦٨</sup> رؤيا ٥: ٦-٧.

<sup>٣٦٩</sup> يوحنا ١: ٢٩.

هذا هو الشكل الوحيد الذي يمكن أن نرى الأسد الملك عليه. فإننا نعرفه ونؤمن به فقط حين يأتينا في هيئة خروف مذبوح. فقط في المسيح مصلوبًا نجد الحل لكل اغتراب وتشويش أدت إليه الخطية. ولهذا السبب، فإن الكلمات التالية هي رد الفعل المناسب الوحيد:

وَلَمَّا أَخَذَ السُّفْرَ حَرَّتِ الْأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ  
وَالْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا أَمَامَ الْخُرُوفِ، وَلَهُمْ  
كُلُّ وَاحِدٍ قِشَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ  
بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقَدِّيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَمَّوْنَ  
تَرْيِمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ:

«مُسْتَحِقُّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السُّفْرَ  
وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ،

لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَأَشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ  
مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ،  
وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً،  
فَسَنَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ».<sup>٣٧٠</sup>

لسنا بحاجة إلى المسيح كي يخبرنا بأن عالمنا مليء  
بالاضطرابات والمتاعب، لكننا حقًا بحاجة إلى انتصاره على  
مصادر متاعبنا، إن أردنا أن نتوقف عن إرباكنا وهزيمتنا.  
ولهذا، يمثل سفر الرؤيا بشرى سارة. فمن تلك اللحظة  
فصاعدًا، ينقل لنا السفر تلك الفكرة المذهلة، والمجيدة،

والمشجعة بأن الملك الحمل قد غلب، وأنه يستطيع أن يفك الختوم ويكشف الأسرار.

## لَقْبَانِ:

لهذا الغالب لقبان عظيمان.

يعود أصل اللقب الأول — أي لقب الأسد — إلى النبوة التي نطق بها يعقوب عند وفاته عن شخص سيأتي من نسل ابنه يهوذا، شبيه بالأسد، وسيملك، ويتَّسم حكمه بازدهار ورخاء مصدره الله.<sup>٣٧١</sup>

هذه هي المرة الوحيدة التي ذُكر فيها الأسد في سفر الرؤيا (في حين ذكر الخروف تسع وعشرين مرة). لكن بالرغم من عدم تكرار اللقب، من الواضح أن لقب «الأسد» ينطبق على يسوع طوال السفر. فإن السفر يعج بالصور والأمثلة عن قوته، ونصرته، وسلطانه.

هذا الأسد هو أيضًا «أَصْلُ دَاوُدَ». يعود أصل هذا الوصف إلى الوعد الذي قُطع لداود، بأن من نسله سيأتي المسيا الملك. لكن يستلزم هذا الوعد المزيد من التفسير، الذي نجده بالفعل في سفر إشعياء وفي سفر إرميا.<sup>٣٧٢</sup> فإن المسيح هو رب داود، وهو غصن من داود في الآن ذاته! فقد أتى المسيا بعد داود، لكنه كان في حقيقة الأمر هو رب داود، ومن ثَمَّ كان قبله. كانت هذه هي الشهادة التي

<sup>٣٧١</sup> تكوين ٤٩: ٩-١٢.

<sup>٣٧٢</sup> إشعياء ١١: ١-٢؛ إرميا ٢٣: ٥-٦.

أدلى بها مزمور ١١٠: ١-٢، ذلك النص الذي ذكّر يسوع  
الفريسيين بعجزهم التام عن تفسيره: <sup>٣٧٣</sup>

قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي:

«أَجْلِسْ عَنْ يَمِينِي

حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ».

يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ

مِنْ صِهْيُونَ.

تَسْلُطُ فِي وَسْطِ أَعْدَائِكَ.

كيف أمكن أن يكون ابن داود هو ربه في الآن ذاته؟  
فقط إن كان هذا «الابن» هو الرب يسوع — ذاك الذي  
هو من نسل داود وابن الله الأزلي في الآن ذاته.

لكن حين التفت يوحنا، رأى خروفاً. فقد امتلأت عيناه  
بمنظر لاتضاع المسيح، يشبه البساط المنسوج. فإنه قد  
أطاع أباه، إلى حد الخضوع للموت، موت الصليب. <sup>٣٧٤</sup>

يشبه سفر الرؤيا لوحة تلوين بحسب الأرقام. فحين  
يلوّن الطفل الصغير الرسم المرقّم بالألوان الملائمة لكل رقم  
من لوح الألوان، ينتج عن هذا لوحة ملوّنة تفوق في  
جودتها كثيراً إمكانيات الطفل الطبيعي.

كذلك أيضاً في سفر الرؤيا، «لَوْن» يوحنا اللوحة بجودة  
تفوق إمكانياته بمعونة الروح القدس. لكن في هذا السفر،

<sup>٣٧٣</sup> متى ٢٢: ٤١-٤٦.

<sup>٣٧٤</sup> فيلبي ٢: ٨.

كان «لوح الألوان» هو عبارة عن نصوص من العهد القديم. فقد كان ذهن يوحنا لوح ألوان مشبَّعًا بالنصوص المقدسة. وبينما كان يلوّن هذه المشاهد والصور حتى يقرأها المؤمنون المتضايقون، تألّف وصفه من نصوص كتابيّة، وتلميحات، ونبوات، وغير ذلك. فإن المناخ العام لهذا البساط الملوّن يحمل طابع تتميم العهد القديم في المسيح.

لا يسعنا التأكيد تمامًا من مدى معرفة القراء الأصليين ليوحنا بالعهد القديم، لكن لا بد أن البعض منهم كانوا على دراية جيدة بالكثير من تعليم العهد القديم.<sup>٣٧٥</sup> ولذلك، لا بد أنه حين وُضعت صورة الخروف هذه في الصدارة، ذهبت أذهانهم سريعًا إلى أحداث عيد الفصح، الواردة في الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج. فقد كانوا يعلمون أن إنقاذ الله في حدث الخروج كان من خلال حمل الفصح الذي قُدّم ذبيحة.<sup>٣٧٦</sup> وحتماً تبادر إلى ذهنهم أيضاً

<sup>٣٧٥</sup> إذا كان أسلوب بولس في الخدمة في أفسس (وهي واحدة من الكنائس التي أرسل إليها سفر الرؤيا، رؤيا ١: ١١) كان هو الأسلوب المعتاد المتَّبَع في خدمة الكنيسة الأولى، فلا بد أن الكثير من المسيحيين الأوائل كانوا متشَبِّعين بالتعليم الكتابي. فقد علم بولس كل يوم من أيام الأسبوع في ساحة مدرسة تِيرَانُس (أعمال الرسل ١٩: ٩)، لمدة تقرب من عامين. تفترض بعض مخطوطات نص سفر أعمال الرسل أنه كان يفعل هذا في وقت القيلولة، أي من الساعة العاشرة صباحًا وحتى الساعة الثالثة مساءً (انظر الحاشية السفلية في ترجمة ESV). إن كان هذا صحيحًا، فقد قُدّم بولس للبعض من القراء الأصليين لسفر الرؤيا تعليمًا لاهوتيًا في الدراسات الكتابية وفي علم اللاهوت!

<sup>٣٧٦</sup> من الأهمية بمكان أنه حين تحدث لوقا عن الحديث الذي أجراه يسوع مع موسى وإيليا فوق جبل التجلي، ذكر أنهم تكلموا عن «خروج» يسوع (أو exodus بحسب اللغة اليونانية)؛ لوقا ٩: ٣١.

الأصاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء، الذي يصف العبد المتألم الذي كان «كَشَاةٌ تُسَاقُ إِلَى الدَّبْحِ».<sup>٣٧٧</sup> هذا هو الخروف الذي رآه يوحنا — «خُرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ». لكن هذا الخروف لم يعد مذبوحًا، بل كان قائمًا! فهو ينبض بحياة وقوة القيامة.

لاحظ شيئًا آخر. كان لا يزال ظاهرًا أن هذا الخروف قد ذُبِح بالفعل في الماضي، إذ كانت جراحه لا تزال ظاهرة. وتُذَكِّرنا هذه الجراح بالموت باهظ الثمن الذي به تحقّق فداؤنا، وبحقيقة أن هذا الخروف المذبوح قائمٌ بنصرة قيامته.

حين تبصر هذا بعيني ذهنك، ألا تشعر أنك تريد أن ترنم مع جند السماء، أو على الأقل مع الكنيسة على الأرض في محضر المسيح عن

Those wounds, yet [still] visible  
above,

In beauty glorified:

Crown Him with many crowns,  
the Lamb upon His throne.

Hark! How the heavenly  
anthem drowns all music but  
its own.

تلك الجراح، التي لا تزال ظاهرة  
في السماء،

لكنها ممجّده بالجمال:

تُوجّوه بتيجان كثيرة، الخروف  
الجالس على عرشه.

اسمعوا كيف يشوّش  
النشيد السماوي على  
كل موسيقى أخرى.

Awake, my soul, and sing of  
 Him who died for thee,  
 And hail Him as thy matchless  
 King through all eternity.  
 Crown Him the Lord of life,  
 who triumphed over the grave,  
 And rose victorious in the strife  
 for those He came to save.  
 His glories now we sing, who  
 died, and rose on high,  
 Who died eternal life to bring,  
 and lives that death may die.  
 Crown Him the Lord of peace,  
 whose power a scepter sways  
 From pole to pole, that wars  
 may cease, and all be prayer  
 and praise.  
 His reign shall know no end,  
 and round His pierced feet  
 Fair flowers of paradise extend  
 their fragrance ever sweet.  
 Crown Him the Lord of love,  
 behold His hands and side,  
 Those wounds, yet visible  
 above, in beauty glorified.  
 No angel in the sky can fully  
 bear that sight,

استيقظي يا نفسي، ورمي عن  
 ذاك الذي مات عنك،  
 واهتفي له إلى الأبد، مَلِكُكَ الذي  
 لا مثْلَ له.  
 تَوَجُّوا رب الحياة،  
 الذي هزم القبر،  
 وقام من المعركة غالبًا،  
 لأجل مَنْ جاء ليخلِّصهم.  
 اليوم نرنم بأمجاده، ذاك الذي  
 مات، وقام، وصعد،  
 الذي مات كي يجلب حياة أبدية،  
 وهو حيٌّ كي يبيد الموت.  
 توجوا ربَّ السلام، الذي سلطانه  
 يتحكَّم في ملوك،  
 في كل العالم،  
 موقفًا حروبًا،  
 ليصير الكل صلاة وحمدًا.  
 لن يكون لملكه نهاية، وحول  
 قدميه المثقوبتين،  
 تنبعث من ورود الفردوس  
 الجميلة رائحة عطرة دائمًا.  
 توجوا ملك المحبة، انظروا يديه  
 وجنبه،  
 تلك الجراح، التي لا تزال ظاهرة  
 في السماء، لكنها ممجَّدة بالجمال.  
 لا يقدر ملاك في السماء أن  
 يحتمل المنظر،

|                                                                            |                                                |
|----------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| But downward bends his<br>burning eye at mysteries so<br>bright.           | بل يشيح بعينه<br>أمام هذه<br>الأسرار البراقة.  |
| Crown Him the Lord of years,<br>the Potentate of time,                     | توجه رباً على السنين،<br>وحاكماً للزمن،        |
| Creator of the rolling spheres,<br>ineffably sublime.                      | خالق الأفلاك الدائرة، المهوب<br>بشكل لا يوصف.  |
| All hail, Redeemer, hail! For<br>Thou hast died for me;                    | أحمدك، أيها الفادي، أحمدك!<br>لأنك متَّ لأجلي؛ |
| Thy praise and glory shall not<br>fail throughout eternity. <sup>378</sup> | فإن حمدك ومجدك لن يزولا<br>إلى الأبد.          |

لكن لا يزال هناك المزيد في هذا البساط المنسوج عن يسوع. فكما نرى، لهذا الخروف «سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ».<sup>٣٧٩</sup>

يمكن لهذه الكلمات، إن قُرئت في مجموعة لدراسة الكتاب المقدس، أن تشبه اللحم بالنسبة لأسد! ما أكثر مجموعات دراسة الكتاب المقدس التي خرجت عن مسارها عند الوصول إلى جملة صغيرة كهذه — «سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ»، أو غيرها. فقبل أن تتنبَّه، ستندفع أحد السيدات على الفور لتخبر الجميع بكل ما تعرفه عن القرون السبعة — وفجأة تختفي الصورة الكبرى عن هوية يسوع داخل حديث عن روسيا، أو الصين، أو الاتحاد الأوروبي. وعندئذ،

<sup>378</sup> Matthew Bridges, "Crown Him with Many Crowns," in *The Passion of Jesus* (1852).



يطلب القائد الصارم والحكيم للمجموعة من هذه السيدة الذهاب لإعداد الشاي والقهوة! ففي النهاية، كان ينبغي ألا تشتري هذه السيدة هذا الكتاب الضخم الذي يقدم الكثير من الشرح التفصيلي عن تاريخ العالم المعاصر، وكيف يوصف بالتفصيل الدقيق في سفر الرؤيا، بينما لا يقول شيئاً عن المجد الكامل للرب يسوع! يمكن لهذا أن يكون جذاباً ورائعاً، مثل لعبة السودوكو، أو مثل مسألة حسابية، لكن بمقدوره أن يقتادك إلى أعماق الظلام.

فإن الله أبسط كثيراً من كل هذا. فإن القرون تشير إلى القوة والجلال، وتذكّرنا الأعين بأن المسيح قد أرسل روحه القدوس إلى العالم، ومعه علمه الكلي، وفهمه الكامل، وبصيرته المذهلة. وتعتبر حقيقة وجود سبعة قرون، وسبع أعين، وسبعة أرواح ببساطة عن فكرة الكمال في صورة أرقام.

سيكون من المؤسف بشدة أن ترى هذه الصورة النابضة بالحياة عن الآب الجالس على العرش، والابن بكل نعمة فدائه ومجده، والروح القدس بملء خدمته الخلاصية، بينما لا يلفت انتباهك سوى قرون، وأعين، وأرقام! فإنك بهذا ستكون وكأنك تحجب ما هو ظاهر، وتهتمش ما هو محوري.

في حقيقة الأمر، هناك اختبار فيصلي في النص نفسه. هذا هو الاختبار: ما هو التأثير الذي تحدثه فينا هذه الرؤية؟ هل تصيبنني هذه الرؤيا بالارتباك؟ أم تنتج جدالاً؟ أم تجعلني أجري عمليات حسابية؟ جميع ردود الأفعال

هذه خاطئة. لأن هذا هو رد فعل السماء:

خَرَّتِ الْأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا  
أَمَامَ الْخُرُوفِ، وَلَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ قِثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ  
مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٌ بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ.  
وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ:

«مُسْتَحَقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السَّفَرَ

وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ،

لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَأُشْتَرِيتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ

مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ».<sup>٣٨٠</sup>

هذه ترنيمة الفداء. وقد ذكر يوحنا ثمنه: سفك دم الخروف. ففي الجلجثة، اشترى المسيح فداءنا مرة واحدة وإلى الأبد. ولهذا السبب تظهر لاحقًا، في الأصحاح السابع من سفر الرؤيا، صورة أخرى داخل الرؤيا. فقد طرح أحد الشيوخ على يوحنا سؤالاً (هل كان هذا هو الشيخ نفسه الذي سمعه يوحنا سابقًا؟<sup>٣٨١</sup>)، يقول:

أُتِرَى هَذَا الْجُمْهُورُ الَّذِي لَا يُحْصَى مِنَ الْوَاقِفِينَ أَمَامَ

الْخُرُوفِ، مَتَسَرِّبِينَ جَمِيعَهُمْ بَثْيَابٍ بِيضَاءَ؟ أَتَعْلَمُ

مَنْ هَؤُلَاءِ وَلِمَاذَا ثِيَابُهُمْ بِيضَاءٌ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟

ألم يكن رد يوحنا هو الرد الذي كان من شأنى ومن

شأنك أن نجيب به؟

<sup>٣٨٠</sup> رؤيا ٨: ٩-٨.

<sup>٣٨١</sup> رؤيا ٨: ٨.

يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَعَلَّمَ. أَخْبِرْنِي أَرْجُوكَ.

أجابه الشيخ:

أنت تعلم مَنْ هؤلاء يا يوحنا. فهم مؤمنون قد  
أَتَوْا مِنَ الصِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ  
وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ.

من هؤلاء؟ هم مؤمنون تطهَّروا من خطاياهم بدم  
الخروف الذي سَفِكَ، وهم الآن متسربلون ببره الكامل.  
ربما إن قرأنا سفر الرؤيا كثيرًا، ونحن مثبَّتون أعيننا  
على الرب يسوع، سيزداد حماسنا تجاه بعض التراتيل  
القديمة. إليك ترتيلة أخرى لا نرغمها إلا نادرًا:

With harps and with viols,  
there stands a great throng  
In the presence of Jesus, and  
sing this new song:

Unto Him Who hath loved us  
and washed us from sin,

Unto Him be the glory  
forever, Amen.

All these once were sinners,  
defiled in His sight,

Now arrayed in pure  
garments in praise they  
unite:

بالقيثارات والرباب، يقف  
جمهور عظيم

في حضرة يسوع، يرمون هذه  
الترنيمة الجديدة:

للذي أحبنا وقد غَسَّلنا من  
خطايانا

المجد إلى الأبد،  
آمين.

هؤلاء جميعًا كانوا قبلاً خطاة،  
ونجسين في نظره،

والآن هم محتشدون في ثيابٍ  
طاهرة، مرَّمين بصوت واحد:

*Unto Him Who hath loved us  
and washed us from sin,  
Unto Him be the glory  
forever, Amen.*<sup>382</sup>

للذي أحبنا وقد غسّلنا من  
خطايانا  
المجد إلى الأبد،  
آمين.

إن حمل الله الذي يرفع خطية العالم يقف متوجّجاً في  
مركز هذه الصورة. فهو يحتل مركز خطة الله للفداء،  
التي لا يشوبها أي خطأ.

حين يجذب الناس إلى هذا المشهد، ويلتفّون حوله،  
يدركون أول كل شيء أن لدينا فاديًا، ومخلّصًا، مات بديلاً  
عنا. هذه هي رسالة الإنجيل، التي هي أيضًا رسالة  
الأصحاحين الرابع والخامس من سفر الرؤيا.

O perfect redemption the  
purchase of blood,  
To every believer the  
promise of God.

يا لهذا الفداء الكامل الذي  
اشترى بالدم،  
وهو وعد الله  
لكل مؤمن.

The vilest offender who truly  
believes

فإن أشر خاطئ  
يؤمن حقًا

That moment from Jesus a  
pardon receives.<sup>383</sup>

في تلك اللحظة ينال عفوًا من  
يسوع.

## لص عند باب السماء:

فكّر معي في اللصين اللذين صُلبا على جانبي يسوع.

<sup>382</sup> A. T. Pierson, "With Harps and with Viols, There Stands a Great Throng," n.d.

<sup>383</sup> Fanny J. Crosby, "To God Be the Glory," 1875.

في البداية، بدا أن كليهما قد صَبَّ عليه جام أَلهما  
وغضبهما.<sup>٣٨٤</sup> لكن بعد هذا صمت أحدهما، ثم بعد قليل،  
تكلَّم قائلاً: «توقف عن قول هذه الأشياء! نحن هنا لأننا  
نستحق أن نُصَلَّب. لكن هذا الإنسان لم يرتكب أي خطأ». ثم  
التفت إلى يسوع في اعترافٍ تائب، قائلاً في توسُّل: «يا  
يسوع، اذكرني متى جئت في ملكوتك».<sup>٣٨٥</sup>

وعلى مرأى من الملائكة في المجد، وبثمنٍ يفوق إدراكه  
— وإدراكنا أيضاً — وصل هذا اللص إلى باب السماء.

لم يحظ هذا الرجل قط بمقابلة شخصية للانضمام  
كعضوٍ إلى الكنيسة. فلم يكن هناك وقت لهذا. لكن هل  
تستطيع أن تتخيل معي شكل المقابلة الشخصية التي  
أجراها معه ملاكٌ عند باب السماء؟ فرمما طرح عليه  
الأسئلة الحيوية التالية:

الملاك: هل تبرَّرت بالإيمان؟

اللص: حسناً، لست متأكداً إن كنتُ أعرف معنى  
هذا. فإنني لا أعتقد أنني سمعت بهذا التعبير  
من قبل.

الملاك: حسناً، سأضطر إلى مناداة أحد المسؤولين،  
فرمما هناك مشكلة أو خطب ما.

<sup>٣٨٤</sup> متى ٢٧: ٤٤.

<sup>٣٨٥</sup> لوقا ٢٣: ٤٠-٤٢.

ثم توالى الأسئلة على اللص. لكن بعد ذلك، حُسمت المسألة حين تحدث اللص مرة أخرى، قائلاً:

اللص:

كل ما أعرفه هو أنني كنتُ على الصليب بجوار يسوع. كنتُ مذنبًا، أعاني من الضيق والكرب. كنتُ أحتضر، وكان الغضب يملأني. ومن بين كل ما سمعته، سمعتُ الناس يتحدثون عن هذا الشخص، قائلين إنه ادَّعى كونه المسيا. حينئذ قلتُ لنفسِي: حسنًا، إن كان كذلك، فليُنقذنا من هذه الفوضى! لكنني بعد هذا راقبته واستمعت إليه. ثم سمعت البعض يتلفظون بكلمة «مخلَّص»، ففجأة استنار ذهني: لم يرتكب هذا الرجل أي خطأ، بل كان يموت بسبب خطايا الآخرين.

استنار عقلي بغتة، لا أعلم كيف بالتحديد. فإن هذا هو المسيا، لكنه كان يموت بسبب خطايا الآخرين. فإن اسمه يسوع، وكنت أعلم أن الاسم يعني «مخلَّص». ولذلك، التفتُ إليه، عالمًا جيدًا أنه ليس بيدي شيء أفعله كي أسدد دين خطاياي، وطلبتُ منه هذا: «يا يسوع، هل تسمح بأن تدخلني إلى ملكوتك؟ وبأن تصير مخلَّصي والحامل لخطاياي؟ هل يمكن أن تكون حمل الله الذي يرفع خطاياي؟»

وحينئذ أجابني يسوع: «إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي  
الْفِرْدَوْسِ».<sup>٣٨٦</sup> السبب الوحيد الذي لأجله أنا هنا  
هو أن يسوع كان مُعلِّقًا على الصليب في الوسط.  
أعلم أنه مات عن الخطاة. وهو قد وعدني بأنني  
أستطيع دخول ملكوته.

بمَ ستجيب في ذلك اليوم؟ قدّم اللص الإجابة الوحيدة  
التي يمكن أن تفتح باب السماء: «قد مات يسوع عني».  
ونتيجة لهذا، كان هو موجودًا هناك، في مكان ما بين  
الجمع الكثير الذي رآه يوحنا، الذي سمع هذه الكلمات:  
لَأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ.<sup>٣٨٧</sup>

لاحظ جيدًا معنى هذه الكلمات: «اشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ. فَإِنْ  
الكلمة اشْتَرَيْتَنَا هنا تعني «فداء، أو شراء لمالك جديد».

هل أدركنا بوضوح هذا الجانب من الإنجيل، في أذهاننا  
أولاً ثم في سلوكنا؟ فإننا قد اشترينا، كما كتب بولس: «أَنْتُمْ  
لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ... لِأَنْتُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ  
فِي أَجْسَادِكُمْ».<sup>٣٨٨</sup>

حسنًا، وهل تفعلون هذا؟

<sup>٣٨٦</sup> لوقا ٢٣: ٤٣.

<sup>٣٨٧</sup> رؤيا ٥: ٩.

<sup>٣٨٨</sup> ١ كورنثوس ٦: ١٩-٢٠.

## جمعٌ كثيرٌ:

تُظهر الترتيمة السماوية الموجودة في الأصحاح الخامس من سفر الرؤيا أيضًا نطاق ومجال فداء المسيح. فإن ثمن الفداء هو دم الخروف، ونطاقه مذهل. فقد اشترى المسيح البشر لله «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ».<sup>٣٨٩</sup> يعبر هذا عن الامتداد الضخم وواسع النطاق لخلاص الله إلى كل أنحاء العالم. لا توجد أية حدود جغرافية أو عرقية.

هل تتذكر اللحظة التي أدرك فيها بطرس هذا أخيرًا، حين سكب يسوع روحه على الأمم في بيت كرنيليوس قائد المئة الروماني؟<sup>٣٩٠</sup> فأخيرًا، أدرك بطرس المعنى الكامل للإرسالية العظمى ولعطية الروح القدس في يوم الخمسين — بالإضافة إلى جميع دلالات ومعاني العظة التي قدمها هو نفسه في ذلك اليوم. فقد قُطع لإبراهيم وعدٌ بأن في نسله تتبارك الأمم، كما سيُعطي الملك المسياني الأمم ميراثًا، وسينضح العبد المتألم أمةً كثيرين.<sup>٣٩١</sup> قال بطرس: «الآن فهمتُ كل شيء. صرتُ أعلم الآن أن ليس عند الله محاباة، ولا توجد لديه أمة مفضلة».

فإن رسالة الإنجيل الآن تذهب إلى العالم أجمع. لدينا أصدقاء — من كنائسنا ومن كنائس كثيرة أخرى أيضًا — يعملون بكل جهد وعناية لترجمة الكتاب المقدس بين

<sup>٣٨٩</sup> رؤيا ٥: ٩.

<sup>٣٩٠</sup> أعمال الرسل ١٠: ١-٤٨.

<sup>٣٩١</sup> تكوين ١٢: ١-٣؛ مزمور ٨: ٢؛ إشعياء ٥٢: ١٥.



هنود جواتيمالا، وفي جبال الأنديز، وفي المكسيك، وبين القبائل البدائية في قرى العالم غير الموجودة على الخريطة، والتي نعجز حتى عن لفظ أسمائها، والتي تتحدث لغات لا نعرفها البتة، وتستخدم كلمات لا يسعنا أن ننطق بها.

ولماذا؟ لأن الله، منذ الأزل، قد خطط بأن يأتي بجمع كثير لا يستطيع أحد أن يعدّه إلى الإيمان بالمسيح، وفي النهاية إلى المجد. وقد عيّن الطريقة والوسائل التي بها سيتم هذا.

أدرك بولس هذا حين قال: «كَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلَا كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِرُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟»<sup>٣٩٢</sup>

يرسلنا المسيح إلى المناطق المجاورة لنا، وإلى أماكن عملنا، وإلى مؤسسات مجتمعنا، وإلى المقاهي، وإلى التعاملات اليومية مع تفاصيل الحياة، حاملين معنا قصة نخبر بها الأمم.

لدى المسيحيون قصة تختلف عن أية قصة أخرى.

ليس لدى الإسلام سوى موازين، حيث الحسنات تُذهب السيئات. وأفضل ما عند الهندوسية هي آمال في تناسخات عديدة للأرواح. وليس لدى بوذية الزن أي إله حقيقي على الإطلاق. أما نحن، فلدينا هذه القصة العجيبة عن المسيح، التي لأجلها ارتضى الكثير من المؤمنين أن يهَمَّشوا، ويُضطَهِدوا، بل ويقتلوا أيضًا.

يقول لنا يوحنا: «نعم، سيكون هناك ألم واضطهاد. لكن ينبغي أن تعرفوا، يا أصدقائي المؤمنين الأعزاء، أنني قد دخلتُ من باب، أدخلني إلى السماء، وألقيتُ نظرة إلى ما وراء الكواليس، وهذا ما لا بد أن أخبركم به: تقف أمام عرش الله رفقة لا تُحصَى من الرجال والنساء والصبيان والفتيات الذين افتدوا بدم الحمل!»

ربما نجيب قائلين: «لكننا كنا نعتقد أن الأصحاح السابع من سفر الرؤيا يقول إنهم فقط مئة وأربعة وأربعون ألفاً!»<sup>٣٩٣</sup>

ألا ترى أن جميع هذه الأرقام رمزيّة؟ هل تنظر إلى الصور والرموز وكأنها هي الحقيقة؟ فهناك مئة وأربعة وأربعون ألفاً لأن هذا الرقم هو مربع العدد ١٢ (ليس من قبيل الصدفة أنه كان هناك اثنا عشر سبطاً)، مضروباً في مكعب العدد ١٠. هذا «رقم كمال» من نوع ما، ذات نسب ضخمة. يعني هذا أنه لم يهلك ولو فرد واحد! لم يكن عدد هؤلاء ١٤٣,٩٩٩,٠٠! وهذا لأن يسوع قال لأبيه: «يا أبي، قد حفظتهم جميعاً. فقد فعلتُ كل ما طلبته مني. ولم يهلك منهم أحد.»<sup>٣٩٤</sup>

<sup>٣٩٣</sup> انظر رؤيا ٧: ٤.

<sup>٣٩٤</sup> انظر يوحنا ١٧: ١٢.

ثم تطلّع يوحنا، فرأى «جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ»<sup>٣٩٥</sup>، يشبهون رمل البحر، والنجوم في السماء المظلمة؛ جمعًا لا يُعَدُّ من كل قبيلة، وشعب، وأمة، ولسان.  
يا له من خبر مجيد ومذهل، يُذَكِّرنا بنطاق الإنجيل الواسع والشامل، وبمدى عمل الفداء الذي تَمِّمه الخروف الجالس على العرش!

### امتياز تام:

بالإضافة إلى الثمن الباهظ لفدائنا، ونطاقه الواسع، هناك حقيقة أخرى أيضًا، وهي الامتياز التام الذي حصلنا عليه باختبارنا هذا الفداء. فقد سمع يوحنا فريق تسبيح مكوَّنًا من الحيوانات الأربعة، بالإضافة إلى الأربعة والعشرين شيخًا يرمون الكلمات الختامية لترنيمة الحمد نيابة عن المفدين، قائلين:

وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمَلِكُ عَلَى الْأَرْضِ.<sup>٣٩٦</sup>

ثم بدا وكأن جميع سكان السماء من الملائكة قد انضموا إلى هذا الفريق، «رَبَّوَاتٍ رَبَّوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ»<sup>٣٩٧</sup>، مرفعين ترنيمة حمد أخرى للخروف. ثم انضم إليهم أيضًا فريق التسبيح من كل الكون، «كُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا»<sup>٣٩٨</sup>،

<sup>٣٩٥</sup> رؤيا ٧: ٩.

<sup>٣٩٦</sup> رؤيا ٥: ١٠.

<sup>٣٩٧</sup> رؤيا ٥: ١١.

<sup>٣٩٨</sup> رؤيا ٥: ١٣.

## مرممين وقائلين:

|                                                             |                                            |
|-------------------------------------------------------------|--------------------------------------------|
| To God be the glory, great<br>things he has done;           | لله المجد، لأجل العظائم التي<br>صنعها؛     |
| So loved he the world that<br>he gave us his Son,           | فإنه هكذا أحب العالم حتى<br>بذل ابنه،      |
| Who yielded his life an<br>atonement for sin,               | الذي أسلم حياته كفارة عن<br>الخطايا،       |
| And opened the life gate that<br>all may go in.             | وفتح باب الحياة ليدخل منه<br>الجميع.       |
| O perfect redemption, the<br>purchase of blood,             | يا لهذا الفداء الكامل الذي<br>اشترى بالدم، |
| To every believer the<br>promise of God;                    | وهو وعد الله<br>لكل مؤمن؛                  |
| The vilest offender who truly<br>believes,                  | فإن أشر خاطئ<br>يؤمن حقًا،                 |
| That moment from Jesus a<br>pardon receives. <sup>399</sup> | في تلك اللحظة ينال عفوًا من<br>يسوع.       |

هذه أيضًا حقيقة مجيدة تحدث عن العبادة في  
السماء! فسيكون لدينا الكثير لنفعله، وسيكون الأمر رائعًا.  
ثم ماذا نجد إن ذهبنا إلى الأصحاح السابع من سفر  
الرؤيا، الذي يتشابه في العديد من الأوجه مع تسبيح  
الأصحاح الخامس؟ نجد هذا الجمع الكثير يرنم بتسابيح  
الله، ويخدم مقاصد الله.<sup>٤٠٠</sup> فإن القديسين في المجد

<sup>399</sup> Fanny Crosby, "To God Be the Glory."

<sup>٤٠٠</sup> رؤيا ٧: ١٢، ١٥.

واقفون أمام عرش الله، يخدمونه نهارًا وليلاً في هيكله. وهم تحت حماية عنايته الواسعة: «وَأَلْجَأِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ».<sup>٤٠١</sup>

ما نتيجة كل هذا؟ أنهم «لَنْ يَجُوعُوا بَعْدُ، وَلَنْ يَعْطَشُوا بَعْدُ».<sup>٤٠٢</sup> فإنهم مكثفون تمامًا بإعالة الله لهم. ثم أضاف يوحنا ملاحظة صغيرة رائعة تحوي قليلاً من الأسلوب الشعري: فإن الخروف الذي ذبح من أجلهم صار هو الراعي الذي يقتادهم:

لَأنَّ الْخُرُوفَ الَّذِي فِي وَسْطِ الْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ،  
وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنْابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ،  
وَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ.<sup>٤٠٣</sup>

هذا هو إذن الحل النهائي الذي قدمه الله لكل اغترابنا وشتاتنا. هذا هو الحل للقلق الذي يعاني منه جيلنا وكل جيل.

فمن سواه يستطيع أن يمسح كل دمعة من عيوننا؟ ومن سواه يستطيع دخول أعماق ظروفنا والتعامل معها؟ ومن سواه يستطيع أن يمدَّنا بالماء الحي كي لا نعطش ثانية أبداً؟ يسوع وحده هو مَنْ يستطيع. حمل الله وحده هو مَنْ يستطيع.

<sup>٤٠١</sup> رؤيا ٧: ١٥.

<sup>٤٠٢</sup> رؤيا ٧: ١٦.

<sup>٤٠٣</sup> رؤيا ٧: ١٧.

إن استطعتَ أن تقرأَ الأصحاح الخامس وحتى الأصحاح السابع من سفر الرؤيا في جلسة واحدة، ستلاحظ أن هذا البساط المنسوج، يحيط يسوع، الذي يوجد في مركزه، بدائرة دائمة الاتساع من المدح والتسبيح:

• الحيوانات الأربعة والأربعة والعشرين شيخاً يسبحونه  
(٩:٥)

• ربوات ربوات وألوف وألوف من الملائكة يسبحونه  
(١١:٥)

لكن هناك المزيد والمزيد أيضاً:

• وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: «لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخُرُوفِ الْبَرَكَاتُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ». (٥: ١٣)

قال صمويل راذرفورد (Samuel Rutherford)، اللاهوتي والواعظ والكاتب العظيم للقرن السابع عشر الذي يُعدّ واحداً من أبناء وطننا المفضّلين، هذه الكلمات:

ليس الرب بحاجة إلى شهادة من دودة مثلي. فلو سكت العالم أجمع، ستصرخ الحجارة نفسها. فإن اعترافي بالمسيح أمام كلِّ من البشر والملائكة هو دَيْنٌ لا بد أن أسدده، بل وأكثر من دَيْن.

فإنني سأختبر شعباً يفوق الوصف إن استطعتُ،  
 أمام عرش الرب يسوع المرتفع فوق السحاب،  
 وفوق سماء السماوات، على جانبي الشمس، أن  
 أساهم، بنعمته، تلك المساهمة الواهنة، بأن أرثم  
 مع أولئك الذين بصوت عالٍ يترنمون قائلين:  
 «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السَّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتْمَهُ».  
 لِأَنَّكَ دُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ.

ما أعظم البركة التي سأحصل عليها فقط إن  
 استطعتُ أن أميل أذني إيماني كي أستمع إلى الترانيم  
 التي ينشدها الملائكة الكثيرون الواقفون حول  
 العرش، والحيوانات، والشيخوخ، وربوات ربوات  
 وألوف وألوف، وهم بصوت عالٍ يترنمون قائلين:  
 «مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ  
 وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ  
 وَالْبَرَكَةَ!»؛ وإن استطعتُ أن أسمع كُلَّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي  
 السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ،  
 كما سمعهم يوحنا، يقولون: «لِلْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ  
 وَلِلْخُرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى  
 أَبَدِ الْأَبَدِينَ».<sup>٤٤</sup>

<sup>404</sup> Samuel Rutherford, A Testimony to the Covenanted Work of Reformation from 1638 to 1649 in Britain and Ireland, Still Waters Revival Books, <http://www.swrb.com/>.

فقد أخذ هذا الشيخ قلمًا وورقة، ودوّن فيها كلّ ما كان في قلبه وأعماقه. يا لها من شهادة عن مجد المسيح!

وبعد ذلك بمائتي عام، تأثرت آن روس كاندل كوزين (Anne Ross Cundell Cousin) بكتاب «رسائل صامويل راذروفورد» بشدة لدرجة أنها نسجت الكثير من أقواله في ترتيلة واحدة مكوّنة من تسعة عشر بيتًا، بعنوان (The Sands of Time Are Sinking). نادرًا ما تُرثَم هذه الترتيلة اليوم، لكن حتى إن حدث ذلك، فإن النسخة المعدّلة المكوّنة من خمسة أو ستة أبيات هي التي تُرثَم. في هذه الترتيلة يوجد مقطع بارز بشكل خاص، ويبدأ كالتالي:

لا تنظر العروس إلى ثوبها، بل إلى وجه عريسها المحبوب.

يعلّم أي قس عقد زفافًا أن هذا صحيح. فبغض النظر عما أنفقه والد العروس من المال على ثوب زفاف ابنته الحبيبة؛ وبغض النظر عن مدى إجراء العروس تحسينات عليه في الليلة السابقة للزفاف؛ وبغض النظر عن عدد من نسقوه لها قبل دقيقتين من دخولها إلى الكنيسة لتسير في الموكب، فإننا لسنا نجد العروس منشغلة بثوبها بينما تسير في الموكب متجهة نحو الرجل الذي تحبه، بل هي لا تثبّت عينيها سوى على رجل واحد فحسب.

The Bride eyes not her  
garment, but her dear  
Bridegroom's face;

لا تنظر العروس إلى ثوبها،  
بل إلى وجه  
عريسها المحبوب؛



I will not gaze at glory but  
on my King of grace.

Not at the crown he giveth  
but on his pierced hand;

The Lamb is all the glory of  
Immanuel's land.

لن أصدق في المجد، بل في وجه  
ملكي، ملك النعمة.

لن أنظر إلى الإكليل الذي  
يعطيه، بل إلى يده المثقوبة؛

فإن في الخروف كلُّ مجد أرض  
عمانويل.

يومًا ما، ستزول جميع الظلال، وستنتهي أيام الاستعداد،  
وسيبرز فجر اليوم الأخير. نحن نعتزف اليوم بالفعل بأن  
يسوع رب، لكننا حينئذ سنعرفه كما لم نعرفه قط من  
قبل. فإننا سنراه، في شركة وجهًا لوجه. وحينئذ نَكُونُ مِثْلَهُ،  
لأنَّنا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ.<sup>٤٠٥</sup>

حينئذ سنرى يسوع نسل المرأة الذي سحق رأس الحية،  
ويسوع نبي الله الذي تقود كلماته حياتنا، ويسوع رئيس  
الكهنة العظيم الذي يشفع فينا، ويسوع الملك الذي  
يخضع كل أعدائنا ويملك علينا إلى الأبد. وحينئذ سنعرفه  
كابن الإنسان الجالس بجوار القديم الأيام، والعبد المتألم  
الذي ارتفع وتسامى الآن بصفته الخروف على العرش.

في ذلك اليوم سنرى دون أي احتجاب لماذا أعطاه الآب

اسمًا فوق كل اسمٍ.